

الزاوية المهجورة

السَّاق

عبد العزيز السُّفْيَانِي

اسم الكتاب: الزاوية المهجورة - (الجزء الثاني) السَّاق

المؤلف: عبد العزيز السُّفَياني

الناشر: بورصة الكتب للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: نوف عبد العزيز السُّفَياني



٢٥ شارع شريف - القاهرة

Email: adel.metwaly69@yahoo.com

٠٢/٢٣٩٢٠٣٦٩ - ٠١٠١٨٨٩٣٦٣

رقم الإيداع: ٢٠١٥/٨٧٠٥

الترقيم الدولي: ١ - ٩١ - ٥٠١٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

السُّفَياني، عبد العزيز.

الزاوية المهجورة - ج ٢ السَّاق: رواية / عبد العزيز السُّفَياني - ط ١. - القاهرة:

بورصة الكتب للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.

ص؛ ٢٠ سم.

تدمك: ١ - ٩١ - ٥٠١٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - القصص العربية.

أ- العنوان.

الزَّأْوِيَّةُ الْمُهْجُورَةُ

السَّاق

عبد العزيز السُّفْيَانِي



٢٠١٦م

obeikandi.com

إلى روح

محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن حامد بن محمد بن زايد بن سفر
المحمدي الحجي السفياني الثَّقفي

obeikandi.com

انتهى "ماهر" من قراءة هذه المذكرات، حاول أن يتذكر شيئاً قد يدلّه على لغز أو أحجية يمكن حلّها، فلم يجد، شعرَ بالوقت وهو يسرق بعضه، السّاعة تُشير إلى الرّابعة صباحاً حسب التّوقيت المحليّ، أقفل الملف، وألقى بنفسه على الأريكة، حاول أن يغمض عينيه، وضعَ يديه فوق عينيه، لاحظَ أثناء محاولة وضعه ليديه أنّ هناك ما يشبه الأرقام تتراقص في سقف الصّالة تتحرّك مع شعلة المدفأة، أخرج القلم وكتب ٠٥٠٦٠٧٠٢٠٢، قبل أن يتأكّد كانت الشّعلة تلفظ أنفاسها الأخيرة، وقبل أن تنطفئ لاحظَ الصّفَر بجواره سهم متّجهاً نحو اليمين، كتب الملاحظات وهو متناقل من التّب والإرهاق من جرّاء ما حدث خلال الأيّام السّابقة.

غلبه النّوم على الأريكة، واستسلم لسبات عميق ولم يفق إلّا وصوت السيّدة قاروتي تحاول أن توقظه ليرتاح في غرفة النّوم المعدّة، طلب كوباً من القهوة، سحب قدميه سحباً ودفع باب الحّمّاء الملحق بغرفة النّوم الخاص، خلع ملابسه بهدوء وألقى بقطعها على أرضيّة غرفة النّوم، تمّدّد في حوض الاستحمام تاركاً الباب موارباً، ألقى ببعض الماء البارد على وجهه، فتح محبس الماء البارد وتركه يمطر على جسده علّه يوقظ خلايا جسده المتعبّة وهو يتمتّع بتساقط الماء بهذه الطّريقة، بعد عدّة دقائق ترك الحوض ونظر في المرآة، عيناه لونها يميل إلى الاحمرار، أمّا المنطقة المحيطة حول العينين فقد انتفخت بعض الشيء واكتست باللون الرّماديّ المائل للسّود، حاول جاهداً أن يتنسم حرّك حاجبيه، أخرج لسانه، وأخذ ينظّف أسنانه بنشاط، ارتدى ملابسه الدّاخلية بعد أن تأكّد من جفاف جسده، وضمّ رداء الحّمّاء على كتفيه، خرج متّجهاً نحو الصّالة بعد أن باعد بين حبّات شعره، وذلك بإدخال أصابعه العشرة بينها إلى الخلف، أخذ يحفّفه بالفوطة المخصّصة، وبالتالي بمشطه مستغلاً الرّطوبة، ألقى ببعض من القهوة في جوفه وتناول طعام الإفطار بعد

الانتهاء نظر في ساعته، وسأل نفسه هل لازال الوقت مبكراً للاتصال بحميدي؟ أخذ ورقة وقلماً... نظر إلى الورقة التي كتبها قبل نومه، قرأها مرة... مرتين، وضعها أمامه بجوار كوب القهوة، يسترق النظر إليها ويسرح بفكره، ماذا يريد الشيخ بهذه الشفرة؟ أتصل بحميدي.

حميدي: ألو.

ماهر: صباح الخير.

حميدي: صباح الخير هل من جديد.

ماهر: لقد وجدت أرقامًا.

حميدي: هل فهمت منها شيئاً؟

ماهر: ثلاثة أرقام متتالية ورقمان متشابهان وبين كل رقم والآخر صفر.

حميدي: المهم ما تستنتج من ذلك؟

ماهر: رقم لحساب في سويسرا؟!

حميدي: جائز؟

ماهر: رقم هاتف لشخص ما في بلد ما؟!

حميدي: احتمال؟

ماهر: رقم خزانة في مكان ما؟!

حميدي: خزانة! آه تذكرت لقد ترك الشيخ خزانة قديمة لدي.

ماهر: وهل هي من ذوات الأرقام؟

حميدي: لا أعرف... أعتقد ذلك... انتظر لحظة سوف أتأكد.

ماهر: أوكيه.

حميدي (بعد برهة): ألو.

ماهر: ألو.

حميدي: نعم... ذات أرقام ومفتاح.

ماهر: وأين المفتاح؟

حميدي: معي.

ماهر: هل حاولت فتح الخزانة؟

حميدي: نعم... ولكن لم أفلح.

ماهر (يحدّث نفسه): المفتاح والخزانة مع شخص لا يعرف العربيّة والأرقام لا تظهر إلّا بعد الاستلقاء على الأريكة في زمن معيّن لا يتجاوز دقائق يا لذكاء الشّيخ.

ويتحدّث لحميدي: سوف أطلب سيّارة أجرة وألتحق بكم.

حميدي: عندما تصل محطة سالزبيرج... الرّجاء الاتصال من هاتف عام لتبلغني عن وقت الرّحلة، وسوف أكون في انتظارك.
ماهر: أوكيه باي.

حاول الاثنان فتح الخزانة، جرّبوا المفتاح أوّلًا وبعد ذلك الأرقام، الأرقام أوّلًا ومن ثمّ المحاولة بالمفتاح دون جدوى، استلقى ماهر واضعًا يديه تحت رأسه متذكّرًا ترتيب الأرقام كما شاهدها، شرب كأسًا من الكونياك أعدّه له "حميدي"، أخرج الورقة... وضعها فوق الطاولة، صرّخ فجأة... السّهم والصّففر.

حميدي: ماذا؟

ماهر: يجب أن تكون الأصفار نحو اليمين والأرقام نحو اليسار.
حاولا سماع صوت الخزانة وكأنّها توشك أن تفتح، أدار المفتاح بهدوء، وحرّك بحذر المزلاج نحو الأسفل، دقّات قلبه تزداد وصرخة الفرح بالانتصار صدحت في أرجاء الغرفة، وألقى بجسده على الأرض رافعًا قبضته إلى أعلى فرحًا بانتصار لولاه لما تحقّق، وترك الخزانة لفضول "حميدي" الذي لم يغب عن ناظره.

حميدي: هناك رسالة!

ماهر: أرني إنَّها باللغة العربيَّة... إنَّها من الشَّيخ (ولمَّح بعض الأوراق المائيَّة من فئة المائة دولار في الخزانة... إنَّ هذا ما يبحث عنه ولكن هذا المبلغ قليل نسبة لما كان يحلم به).

فتح الرِّسالة، قرأ

أئيها الفضوليّ...

مبروك لقد نجحت، وهذه المرحلة الأولى فقط من اللغز الذي تبحث عنه وجائزتها مائتا ألف دولار عدداً ونقداً إذا أردت الاستمرار، فالخريطة واللغز الجديد موجودان في الدَّرج، تجد المفتاح الصَّغير في سقف الخزانة من الدَّاخل، حل اللغز وسوف تكمل المرحلة التَّالية، إذا رغبت في ترك المغامرة يمكنك ذلك، ولكن تذكر أنَّك لم ترَ أو تسمع أو تقرأ أيَّ شيء كي تتجنَّب المتاعب. تحيَّاتي وبالتَّوفيق

أخذ الرِّسالة، مدَّ يده... تحسَّس مكان المفتاح، وجد مفتاحاً صغيراً... تركه... سحب النُّقود وعدَّها... مائتا ألف دولار أمريكي، ضمَّها لصدره، وبيده الرِّسالة، جلس بهدوء على الأريكة، الفرحة تظهر في عينيه وفي تقاطيع وجهه، فرح بتواضع بعيداً عن الغرور والقلق من الاستمرار أو التَّوقُّف عند هذه المرحلة، ولكن هناك حسم مقداره اثنان في المائة، وبعد ذلك أربعون في المائة، وكم يريد "حميدي" من هذا المبلغ؟

حميدي التَّاجر يتابع تحرُّكات "ماهر" بعينه بنوع من الإعجاب، الدَّقائِق تمرّ، "ماهر" يختلس النَّظر في وجه ذلك الرَّجل الأربعينيِّ علَّه يقرأ شيئاً، باغته حميدي بالسَّؤال: كم المبلغ؟

ماهر: مائتا ألف دولار.

حميدي: جيّد نقسمها خمسين... خمسين.

ماهر: ولكن!

حميدي: ولكن ماذا؟

ماهر: الجائزة لي وحدي حسب رسالة الشيخ.

حميدي: ماذا قالت الرسالة؟

ماهر: إنها موجهة لي والجائزة لي لمغامرتي.

حميدي: ولكن الخزانة والمفتاح كانا معي، وقد حافظت عليهما كل هذه السنين.

ماهر: وأنا من غامر وحل الشفرة.

حميدي: الشفرة... أنا الذي أخذتك إليها كان من الممكن أن أعتذر حتى عن لقاءك.

ماهر: وبالتالي لن تحصل على شيء.

حميدي: وأنت أيضًا إذا الفرصة متساوية في الربح والخسارة بيننا.

ماهر: مجهودك لا يقدر بأكثر من خمسة في المائة.

حميدي: هل أنت مجنون؟ أنا لن أقبل أقل من النصف.

ماهر: سيد حميدي... اهدأ... بهذه الطريقة لن نصل لحل.

حميدي: وهل يصل لحل من يتفاوض مع شخص مثلك؟

ماهر: لكل مشكلة حل.

حميدي: وما هو الحل في رأيك.

ماهر: أن تقبل بعشرة في المائة.

حميدي: نصف المبلغ لا ينقص ستًا واحدًا.

ماهر: اسمع يا سيدي.

حميدي: بل تسمع أنت أيها الشاب.

ماهر: تكلم.

حميدي: أنا أقدر مغامرتك والتي هدفها التقد فقط؛ لذا سوف أكون عادلاً معك ستون أربعون.

ماهر: لا... لأنّ معي أشخاص آخرون.

حميدي: بدأنا في الطريقة السّعوديّة!

ماهر: أقسم بالله العظيم إنّ معي شخص سوف يأخذ أربعين في المائة ممّا أحصل عليه.

حميدي: وماذا فعل لتعطي له هذه النّسبة؟

ماهر: لقد كان الخطوة الأولى في طريق وصولي لهذه النتيجة.

حميدي: وأنا؟

ماهر: حتّى أنت... كلام نهائي خمسة وعشرون في المائة.

حميدي: وماذا ستفعل بعد ذلك؟

ماهر: سوف أغامر في المرحلة القادمة.

حميدي: هل هناك مرحلة قادمة؟

ماهر: فلنورّع النقود الآن، وبعد ذلك نتحدّث عن المرحلة القادمة... خذ

هذه خمسون ألف دولار.

حميدي (يمدّ يده لاستلام النقود): شكرًا.

ماهر: هل لديك حقّية؟

حميدي: نعم (وهو يضحك) بألف دولار.

ماهر: الخمسون ألف التي استلمتها قيمة الحقّية (وهو يضحك).

حميدي (يحضر الحقّية): ومجهودي!

ماهر (وهو يضحك): صفر.

حميدي: هل تريد أن تحمل كلّ هذا التّقد معك؟

ماهر: وماذا ترى؟

حميدي: هل لديك حساب في لندن؟

ماهر: نعم.

حميدي: نذهب إلى البنك وتحوّل النقود.

مطار (هيثرو) لندن إنجلترا... "ماهر" بانتظار إقلاع رحلة الخطوط السعودية، من آرائه إذا أردت الذهاب إلى بلد، ما عليك إلا حجز كرسي في الخطوط التابعة لها، ماريا التي كانت تداعب شعره وتلقي برأسها على كتفه بين الفينة والأخرى، وفيما بينهما تتمتع ناظريها بوجهه المكتسبي بالمرح، التصقت الشفتان... أحسّ أنّ هذه المرأة تحبّه بكلّ ما تحمل هذه الكلمة من معنى (الإعلان الأخير لرحلة السعودية الخطوط الجوية السعودية رقم ٩٦ والمتوجهة من جدة إلى الرياض) كانت ذراعاها تطوّق رقبته، أمّا ذراعاها فقد احتضنت خصرها، دموعها تنهمر، مسح دموعها بيديه وقال: إنّها رحلة عمل عشرة أيّام بالكثير ما هي آخر رحلة.

ماريا: Do not say that a gain

ماهر: لقد حوّلت على حسابك خمسة آلاف جنيه لترتيب الشّقة كما اتّفقنا (وقبلها قبلة طويلة قبل أن يهرب من يديها ودموعها).

ألقي بنفسه على المقعد A1، وضع حقيبته على الأرض بالرّغم من تحذير المضيفة إلّا أنّه اعتدّر لأنّ لديه أعمالاً، ولا يريد أن يضايق الرّكاب بجواره بكثرة حركته وغمز بعينه طالبا (بكاردي) مع الثلج؛ ممّا جعل المضيفة تتبسّم في وجهه وتتركه دون مضايقة ما.

الطائرة التابعة للخطوط السعودية القادمة من لندن الرحلة ٩٦ على وشك الهبوط في مطار الملك عبد العزيز و"ماهر" في عراك مع التعب والرّغبة الحقيقية في النوم، لكنّ ملازمة إطارات الطائرة لأرض المطار لم يعطه أيّ فرصة حتّى للتّفكير في ذلك، عندما توقّفت الطائرة تماماً طلب الطيّار من

الرُّكَّابُ البقاء في أماكنهم، حتَّى إشعار آخر، نَظَرَ ماهر إلى المسافر بجواره مستفسراً، ولكن حالة الارتباك التي يمرّ بها الجار وقلقه أجابت ليس السَّائل بأعلم من المسؤل!

ماهر: تعتقد راح يفتّشوا الرُّكَّاب وهم في الطَّائرة؟

الرَّاكب: وليش العجلة؟

ماهر: في إرهابي في الطَّائرة؟

الرَّاكب: الله أعلم!

ماهر: في الدَّرَجَة الأولى ولَّا الثَّانية؟

الرَّاكب: رُكَّاب الدَّرَجَة الأولى كلَّهم معروفون.

ماهر: تظنّ معاه سلاح؟

الرَّاكب: فال الله ولا فالك.

باب خدمات الطَّائرة على يمين "ماهر" يُفَتِّح، ووقف بعض المضيفين والمضيفات حاجبين باب الرُّكَّاب، صعد ثلاثة رجال، أحدهم توجَّه من الممرِّ القريب من الباب نحو الدَّرَجَة السَّيَّاحِيَّة، ولكنَّه عاد مرَّةً أخرى من الممرِّ الآخر وكأنَّه متَّجِه نحو الكبينة، أمَّا الرَّجل الثَّاني فقد مرَّ من تحت مكان شاشة العرض السَّينمائي، أمَّا الثَّالث فقد التقى معهم أمام المضيفات وكأنَّه قادم من الكبينة، وقف ثلاثتهم بالقرب من المقعدين، هذا هو الإرهابي إذن وأنا جالس أتحدّث معه طول الوقت، صقع عندما سمع اسمه والطلُّب منه النزول معهم، لم يصدِّق أذنيه المضغوطة بسبب الهواء والتَّعب والإرهاق، سأل في بلاهة: أنا؟!

الرَّجل القادم من المقدِّمة وهو يتسم: الأستاذ "ماهر الفيصل"؟

"ماهر" وهو يتلع ريقه: إيه أنا!

الرَّجُل يَصَافِح "ماهر": الحمد لله على السَّلامة طال عمرك، خادكم عدنان... السَّيَّارة في انتظارك الله يطوِّل عمرك (ويمدّ يده نحو الحقيبة).

نهَض "ماهر" متثاقلاً وهو يحدث نفسه (س) يرسل ناس يقابلوني من الطَّيَّارة مثل الشَّيوخ (لعن أبو الفلوس يا شيخ) تبسّم للركاب جواره وللركاب الآخرين عندما وقفَ طلب منه الرَّجُل جوازه وبطاقات العفش، سلّمه الجواز والبطاقات بكلّ اطمئنان، قام الرَّجُل بدوره بتسليمها للرَّجُل الخلفي آمراً إيَّاه بإنهاء كافّة الإجراءات والحقاق بهم، خرج الرَّجُل المأمور مسرعاً أوّلاً، حاول "ماهر" أن يتأخّر عن الرَّجُل صاحب الأوامر إلاّ أنّ الرَّجُل، بكلّ أدب حمل الحقيبة والمعطف الأسود على يده، وانحنى مؤشّراً لـ "ماهر" باليد الأخرى وبكلّ أدب: اتفضّل طال عمرك.

الركاب من النّاحية المعاكسة يفتح شبّاك الطَّائرة بهدوء ويختلس النّظر، سيّارتان فخمتان وعدد من الرّجال "ماهر" والرّجلان خلفه على سلّم الطَّائرة، أمّا الرَّجُل الثّالث الذي كان معهم في الطَّائرة فقد ركب سيّارة نقل صغيرة واتّجه نحو صالة الرُّكّاب، بعد أن غادر ثلاثتهم الطَّائرة طلباً من الجميع الاستعداد للهبوط من بوّابة الرُّكّاب على يسار الطَّائرة، سرى بعض الهمس بين الرُّكّاب، أمّا الرّاكب الفضولي فقد تابع بعينه عندما فتح أحدهم باب ليموزين من نوع كاديلاك طويلة نوعاً ما الباب الخلفي، وانحنى مرحباً بالقادم من تراه يكون، سأل جار "ماهر" البعيد بإشارة من عينيه من يكون؟ تابع بنظره السَّيَّارة وهي تغادر، وفتح باب الرُّكّاب وطلب منهم مغادرة الطَّائرة، زاحم الفضولي واقترّب من الجار وسأل بعجلة: مين هذا؟

الرّاكب: واحد قال اسمه "ماهر".

الفضولي: "ماهر" إيه؟

الرّاكب: "ماهر القيصل".

الفضولي: أمير يعني؟

الراكب: يمكن!

الفضولي وهو يلاحق الراكب في سلام الطائرة: طيب ليش أهيلمه هذي... لا لازم في سرّ مو معقول!

الراكب: إيش الي مو معقول؟

الفضولي: الأمير هذا قالقني.

الراكب: ومين قال إنه أمير؟

الفضولي: أنت.

الراكب: أنا قلت ربّنا اكفنا التّهم الباطلة.

الليموزين الأبيض تغادر المطار دون المرور على صالة الرُّكّاب أو صالة كبار الزّوّار، بل تخرج من إحدى البوّابات الخاصّة للخدمات وتتّجه نحو الشّمال، ولكن بعد أن تخطّت نقطة التّفتيش وتركت منطقة (أبحر) خلفها سأل "ماهر" بشيء من القلق، وبدأ بعض الدّم يطفح داخل وجهه؛ ممّا خلط لون وجنتيه السّمراء وكساهما بلون رماديّ داكن أقرب إلى السّواد، كانت الكلمات القليلة المتحشّرة التي خرجت من خوف حلقه الذي بدأ في الجفاف: وين رايجين؟

الرّجل (وهو يأمره بفتح الحقيبة): افتح الشّنطة وانظم.

تغيّرت اللهجة، ماذا حدث؟ من هؤلاء؟ قال "ماهر" وهو يحاول أن يتألّك نفسه، وقد ازدادت حرارة البقعة السّوداء التي ارتسمت على وجهه بل أخذت تصفع كبرياءه الذي أهدره بفظاظة ودونها رحمة هذا الحاقد: ويش السّالفة؟

الرّجل بخشونة: أقول خلصنا افتح الشّنطة ولا تراني راح أفتح رأسك.

قام "ماهر" بفتح الحقيبة وهي فوق ركبتيه وتمسك بها وأراها للرجل الذي مديده في داخلها وأخرج الدولارات سائلاً: كم هذي؟
ماهر: ميه وأربعين ألف.

الرجل: والباقي؟

ماهر: أي باقي؟

الرجل: تكلم قبل ما نوصل أحسن.

ماهر: وين نوصل؟

الرجل: المعتقل يا... إرهابي يا... كلب (وخطف الحقيبة من يديه وسط ذهوله).

أخرج ملف الشيخ وأعطاه للرجل الجالس في المقعد المعاكس، ومن ثم أخرج الخريطة والمفتاح وسأل: ويش هادي؟
ماهر: ما أعرف.

الرجل (يصبق على "ماهر" ويشتمه): ما تعرف... يا حيوان... خريطة مكان المتفجرات... ها... يا عمالة الشيطان... تبوا تقتلوا الأبرياء... تبغوا حكم... تبوا سلطة؟... الله يسلط عليكم... ويش فيها الحكومة مدارس ببلاش مستشفيات وجامعات ببلاش، وتعطيكم مكافأة أراضى وزعت عليكم، قرض بدون فوائد لا وتردوه أقل من القرض.

ماهر (يتلعثم): أنت ويش تخربط... أنا "ماهر" ... "ماهر شاهر" ...
"ماهر شاهر الفيصل" صحفي.

الرجل: عز الله... أنت فاجر منت بـ "ماهر" لو "ماهر" كان حمدت النعمة.

ماهر: يا رجل تكون غلطان راجع نفسك.

الرَّجل: غلطان تبيني أقول لك وإيش اتغديت مع الشَّراميط في فيينا ولا الفلوس الي حولتها أنت والعمل الإرهابي (حميدي) للندن... تبيني أوصف ولا أوريك صورك مع ماريا وأنت في وضع يحجل منه الخنزير يا خنزير ولا مع صوفيا.

أُسْقِطَ في يد "ماهر" ولكن تمالك نفسه؛ فالوقت والمكان لا يسمحان بتدخُّل (س) أمَّا الرَّجل فقد أعطى السَّائق الخريطة، وأمره أن يتبع طرقها، وَطَلَبَ من القوَّة المرافقة التَّوجُّه نحو المكان الموجود في الخريطة، وبعد ذلك عصب الآخر عيني "ماهر" الذي لم يبيد أيَّ مقاومة، بعد حوالي السَّاعة توقَّفت السَّيَّارات عند منطقة خربة بين قريتي قديد وعسفان، أُخْرِجَ من السَّيَّارة، سمع صريرَ باب كأنَّه قادم من أفلام الرُّعب، دفع إلى الدَّاخِل وتعمَّدوا فتحَ عينيه ليرى رتلًا من الجنود، البعض منهم بالزِّي الرِّسمي، معرفته بعددهم في تلك اللحظة كمعرفته بسبب تواجده وتواجدهم في هذا المكان، دخل ضابطان بإشارة من الرَّجل، صُعِقَ لعدد الرِّشاشات والذَّخيرة والأوراق، أشار الرَّجل نحو غرفة، توجَّه إليها الضَّابطان وبمهارة فائقة فتحا الباب بهدوء، أطلَّ برأسيهما، وأشارا للرَّجل بالتَّقدُّم وهو يدفع "ماهر" أمامه وتقدَّم.

سأل الرَّجل: إيش؟

أحد الضَّباط: أسلحة ومتفجَّرات طال عمرك.

الرَّجل: شوفوا نوعها وكميَّتها وهو ممسك بيد "ماهر" ولقَّها بسرعة إلى الخلف؛ ممَّا جعل "ماهر" النَّحيل الرَّقِيق يركع أرضًا، قال الرَّجل بحنق: أرميك في حجر الثَّعابين هذا الي تبغوا تحربوا البلد بيه أوريك كيف تحرق هذه كبد أمك وأفجَّرها فيك.

العرق يصبّ من "ماهر" وهو لا يعرف ماذا يقول أو ماذا يفسِّر لهؤلاء

وهل الموقف يحتاج لتفسير:

- صدّقني... أنا...

الرّجل: أنتَ ومن معك زق... ويش أنت إرهابي قدر... تبي تدمرنا...
الله يدمرك... والتفت لأحدهم (صارحاً أمراً) وبين المفتاح؟ جيب المفتاح
خلنا نشوف ويش بقي من أسرار مع الحيوانات ذولي؟
الشخص الذي يرتدي بدلة عسكرية (يقدم المفتاح):
- اتفضّل طال عمرك.

الرّجل يمدّ يده ويلتقط المفتاح، ويلوّح به أمام وجه ماهر: ويش سرّ
المفتاح؟

ماهر: مفتاح خزانة.

الرّجل: وبين الخزنة؟

ماهر: أعتقد في الدّاخل.

أشار الرّجل للضّابط بفتح الباب الثّاني والحذر لأنّه قد يكون هناك
كمين، بعد فتح الباب بنفس المهارة والخفة أطلّ أحدهم برأسه وقال: طال
عمرك مكتب بس شكل المكان مهجور لأكثر من سنتين.

الرّجل: فيه ذخيرة ولا متفجرات؟

الضّابط: ما أظنّ.

الرّجل: تأكّد!

الضّابطان يغيان داخل الغرفة، وبعد فترة يخرج أحدهما مطمئناً أن لا
متفجرات بالدّاخل، أشار الرّجل لـ "ماهر" بطرف إصبعه أن يلحق
بالضّابط، تقدّم "ماهر" وهو يرتجف من الخوف والتعب.

ما هذا المأزق يا شيخ؟ لعنة الله على الفلوس والطّمع واللقافة.

تقدّم نحو الخزنة في ركن الغرفة، أزاح عنها بعض الأتربة، كاد يسقط من

الإعياء، يد أحدهم تقدّمت لمساعدته على إعادة توازنه، شكره دون النظر إليه، وَضَعَ المفتاحَ وَحرَّكَ الأرقام ذات اليمين وذات اليسار، وأدار المفتاح ثمّ المزلاج وسمع الرَّجل المسئول الذي كان خارج الغرفة يفتح الخزانة، صرخ: هافتح الخزانة.

الضّابط: نعم سيّدي.

الرَّجل: عال... خلّوه يفرغ محتوياتها بحذر شديد، وراقبوه وتأكدوا إن ما في سلاح ولا أيّ نوع من المتفجّرات لا ينتحر، نبي نعرف مَنْ وراه وتأكدوا أنّ الخزانة فاضية بعد ما يطلع كلّ شيء.
الضّابط الآخر: سمّ طال عمرك.

خرج "ماهر" من الغرفة وهو محمّل بمحتويات الخزانة، الخوف والقلق والارتباك حرّكا مياه نهر التّعب والإرهاق الرّاكدة، طلب الأمر من بعض القوّة أن يراقبوه حتّى السّيّارة، فتح أحدهم الباب، وَضَعَ "ماهر" المحتويات في المقعد بجوار الرَّجل الذي لا يزال يقرأ في مذكرات الشّيخ.
لحقّ بهم الرَّجل الأمر، عُصبت عينيه مرّة أخرى وتحركت السّيّارات لا يعرف أين هو حتّى يعرف إلى أين هم ذاهبون، سأل الرَّجل الذي كان يقرأ: مين "فالح الثّائر"؟

ماهر: قلت لكم أنا صحفي وهذي قصّة خياليّة.

الرَّجل: يعني ما في رجل اسمه "فالح الثّائر"؟

ماهر: يجوز في شخص بنفس الاسم، ولكن ما يمكن يكون بنفس الشّخصيّة.

الرَّجل: ليه؟

ماهر: لأنّ هذي قصّة خياليّة... الأشخاص خيالون... الأماكن... الأحداث.

الرَّجل الأمر يشارك في الحديث: أي أحداث؟
الرَّجل الثَّاني: أحداث الحرم وجماعة الحرم... "فالح" كان منهم وهرب.
الرَّجل الأمر وهو يؤثّر نحو ماهر: هذا من أذنان جهيمان؟
الرَّجل الثَّاني: أعتقد!

الرَّجل الأمر: ويش هذي الفلوس كلّها وهذي الرّسالة؟
ماهر: قلت لك أنا ما أعرف شيئاً... أنا جاي من لندن قدّامك وفتحت
الخزنة قدّامك.

الرَّجل يفتح الرّسالة: الله... الله يا حبيبي ما تعرف شيئاً... الرّسالة
باسمك يا لوح (وفك عصبة العين بعد أن ظلّ الزّجاج بستائر).

"ماهر" يحدّث نفسه بعد أن قرأ أنّ الرّسالة موجّهة من الشّيخ مباشرة إلى
اسمه الحقيقيّ (الله يخرب بيتك يا شيخ ويش ها البلاوي النّازلة عليّ اليوم؟
أعاد الرّسالة ليد الرّجل بهدوء ولم يتكلّم).

الرَّجل الأمر: ها... عندك شيء تقوله؟ آثار رجلك وبصماتك في أرضيّة
مستودع الخراب التّابع لكم، وعلى الباب والخزنة والفلوس والأوراق وكميّة
الأسلحة كافية لإعدامك عند أرحم قاضٍ، عندنا قاضٍ راح يعدمك سبعة
مرّات إلّا إذا قلت لنا مين معك؟ وين الهدف القادم؟

ألقي "ماهر" برأسه في زاوية المقعد الخلفيّ، ولم يجب بل أغمض عينيه
بعد أن أعاد الرّجل الأمر ربط الحزام الأسود عليها هذه المرّة، هل نام؟ أم
أغمي عليه؟

لم يجد نفسه إلّا في زنزانة تحت الأرض، هذا المكان لا يشبه المكان الموجود
في قصّة الشّيخ... الغرفة كبيرة، نظيفة، في داخلها حمّام، وسجّادة للصّلاة
ومصحف، صحيح الفرشة الصّغيرة الملقية فوق الأرض قديمة نوعاً ما إلّا
أنّها والحق يُقال نظيفة، وكأنّه في فندق ثلاث نجوم، وليس معتقلاً... لم تكن

لديه أي فكرة عن السجون غير ما قد قرأ عن زناينة الشيخ في قصته، ولكن ما يراه هو الآن مختلف تمامًا.

قدّم له فطورًا مكوّنًا من فول وخبز حار وأنواع من الجبن والزيتون الأخضر منه والأسود وبعض المربى والعسل وقينة من المياه الصّحيّة المثلّجة، معاملة الحارس ومقدّم الطّعام بابتسامتهم التي لا تفارق محيّاهم، بالرّغم من أنّهم لا ينطقون بكلمة ولا يردّون على أسئلته بشيء، ولا على طلباته بغير تلبّيتها قدر الإمكان، معاملة راقية وكأنّهم خريجو معاهد للفندقة، هل يحلم؟ ليت كلّ ما جرى ويجري حلم يفوق منه ولكن! لا يعرف كم مرّة عليه في هذا المكان؛ فهو لم يلمس سجّادة الصّلاة أو المصحف ولا يذكر متى آخر مرّة عرف فيها قبلة، لم يجبه أحد عن أسئلته.

ما التّاريخ اليوم؟ في أيّ يوم هو؟ وما الفرق؟

لو كان مواظبًا على الصّلاة لعرف التّوقيت واليوم، وهذه ميزة أخرى للصّلاة لمن هم في حالته، الحارس الدّائم الابتسام لا يكفي في هذه الحالة، هو يريد من يتحدّث معه وليس من يضحك أو بالأصح يبتسم على حاله، وبالرّغم من ذلك فهو يرتاح لهذا الوجه الذي لا يعرف حتّى اسم صاحبه، هل التّعوّد على رؤية شيء معين يجعل الإنسان يشعر بألفة مع ما يراه مهما كان قبيح ما يعمل من يراه.

في يوم من الأيام تقدّم منه الحارس بحذر وأبدى تعاطفه معه في قضيتّه وأنّه مأمور أن لا يتحدّث مع السّجناء، ولكن لا يعرف السّبب الذي جعله يتعاطف معه.

ماهر: راح يحاكموني؟

الحارس: يمكن ويمكن يحكموا عليك من غير محاكمة؛ لأنَّ الأدلة اللي جمعوها حسب علمي تؤدِّي إلى أنَّ القاضي راح يجي يسألك كم سؤال ليرى ذمته أمام الله فقط.

ماهر: بس أنا ما لي ذنب، أنا انضحك عليّ.

الحارس: صدّقني... أنا حاسس إنك مظلوم بس تعرف أنا... جندي ما بيدي حيلة.

ماهر: أعرف حسبي على الله.

الحارس: اقرأ دعاء يونس.

ماهر: دعامين؟

الحارس: دعاء يونس عليه السّلام لما كان في بطن الحوت.

ماهر: ويش كان يقول.

الحارس: لا إله إلاَّ أنت سبحانك إنِّي كنتُ من الظّالمين، ردّدها قد ما تقدر خاصّة بعد الصّلاة.

ماهر: وين القبلة.

الحارس: أنت ما صلّيت من يوم جيت هنية.

ماهر: لا والله.

الحارس: لا حول ولا قوّة إلاَّ بالله، وكيف تبي ربّنا يوقف معك و... ويوفّقك؟ صلّ... صلّ الله يهديك وادعي ربّك، ترى ما لك غير ربّنا يحميك من ذولي... ترى ما في قلبهم رحمة، راح يتركوك وحدك وما أحد يقدر يكلّمك حتّى تنجن وبعدين تقول لهم على اللي بيونه.

ماهر: جزاك الله خيرًا.

قام "ماهر" بعد أن تركه الحارس وتوضّأ واستحجم ثمّ توضّأ، وبدأ في الصّلاة وقراءة القرآن... أحسّ برهبة في بادئ الأمر، ومن ثمّ بطمأنينة

الإيمان الذي دخل قلبه فجأة، اختفى الحارس الطيب واستبدل بحارس آخر لا يتكلّم ولكن الابتسامة لا تفارق محيّا، "ماهر" مستمرّ في الصّلاة في معظم الأوقات وكأنّه يعوّض ما فاتته من صلوات وتلاوة القرآن وحفظ بعض من آياته ودعاء "يونس" عليه السّلام، وهاجسه الوقت كم مرّ عليه؟ لا يعلم.

بعد فترة زمنيّة ليست بالقصيرة، عاد الحارس القديم ولكن لم يتحدث معه إطلاقاً، بل ساءت معاملته لـ "ماهر" فهو حتّى الابتسامة التي كانت لا تفارقه لم تعد ترسم خطوطها على مبسمه، وبعد أسبوع من عودته وضع الرّسالة التّالية في الصّينيّة تحت صحن طعام العشاء.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

صديقي العزيز/ ماهر

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

إذا أردت الهرب سوف أساعدك مع مجموعة من أهلي والأصدقاء أثق فيهم، ما عليك إلّا الغمز بطرف عينك عندما أقابلك.

الصّديق المخلص

في إحدى الأمسيات دخل بعض الرّجال المثلثين المدجّجين بالسّلاح، اعتدوا على الحارس الطيب وأخرجوا "ماهر"، وألقوا بالحارس في الزّنزانة، لاحظت ثلاث جثث لجنود غارقة في الدّماء عند بوّابة المعتقل، كانت هناك ثلاث سيّارات من نوع لا ندكوزر في انتظارهم في الخارج، وتحركوا نحو المجهول، لم تتوقّف السيّارات إلّا قبل محطّات الوقود لينزل البعض ومنهم "ماهر" حتّى تزود بالوقود وتعود لتقلّهم ومن ثمّ تكمل طريقها، كان هناك سعودي وخمسة آخرون أحدهما من اليمن والآخر مصري وثلاثة أفغان، ولا يعلم جنسيّات أو كامل عدد القافلة التي كانت تحتوي على أردني وثلاثة

تشادين وسعوديين آخرين، سأل السَّعودي الذي يرافقه كظله منذ أن تَرَكَ
الرَّزْزَانَةَ: لوين رايحين؟

السَّعودي: الجنوب.

ماهر: اليمن؟!

السَّعودي: لا من شرق نجران وعلى شواطئ بحر العرب.

ماهر: وبعدين؟

السَّعودي: راح نركب أنا وأنت والثلاثة الأفغان سمبوك... ونبحر،
وفي عرض البحر هناك باخرة صغيرة تنتظرنا، توصلنا شواطئ بلوشستان،
وهناك نركب قافلة ثانية في الأراضي البلوشية التابعة لأفغانستان، بعدها
نسلمك لفائد المجموعة.

ماهر: أي مجموعة؟!

السَّعودي: المجموعة الي أنقذتك والمحتاجة لخدماتك... على فكرة
نسيت أقول إنَّ الشَّيخ يسلم عليك ويعتذر عن الي حصل في المطار، بس
صدَّقني ما كنَّا نعرف إنَّك جي وحتى لو عرفنا ما نقدر نسوي شيئًا في المطار.

ماهر: أنتم تبع الشَّيخ؟

السَّعودي: إيه بلا.

ماهر: والحارس؟

السَّعودي: معنا.

ماهر: طيب ليه ضربتوه؟

السَّعودي: وهذي يبغالها سؤال... لحمايته طبعًا منهم.

ماهر: أنتم مع القاعدة؟

السَّعودي: لا احنا... غير... زي جدَّة.

وَصَلَ قندهار مع السَّعُودِي والثَّلاثَةُ الأفغان، وفي صباح اليوم التَّالِي تقابل مع "أبو سفيان المَكِّي" الذي رَحَّبَ بـ "ماهر" أَيْمًا ترحيب وسَلَّمَهُ لمجموعة من الأفغان لتعليمه اللغة والاهتمام بأمره وأمر تدرّيبه.

بعد حوالي ثلاثين شهرًا من العمل الجاد تعلَّم اللغة الأفغانِيَّة وتزوَّج من بلوشِيَّة ورُزِقَ بطفل أسماه "ثائر"، وبدأ التَّدرِّب على أجهزة التَّشْفِير وعلى أحدث التَّقْنِيَّات مع مجموعة من أعظم وأرقى المتدرِّبين من جنسيَّات عربيَّة وغير عربيَّة على أيدي عابرة في هذا العلم... علم الرَّموز والشِّفرات وفكِّها وصناعة رموز وشفرات جديدة ومثيرة، وتنقَّل بين الانتقال بين باكستان لحفظ القرآن وأفغانستان واليمن للتَّدرِّب على استخدام السِّلَاح ودراسة المساندة ونقل المعلومات عن طريق الرِّسائل القصيرة والتي تعني الكثير، وبين بعض الدَّول الخليجيَّة ما عدا السَّعُودِيَّة التي لم يتجرَّأ على خوض تجربة الاقتراب من حدودها لما مرَّ به وبين أوروبا الشَّرقيَّة منها على وجه التَّحديد، وحصل على جواز يمّني باسم "حسين علي عبد القوي"، ولقائه المتواصل مع "أبو سفيان المَكِّي" الذي عرفه على زميلين آخرين هم "شهيد الواجب" و"ناجي"، وكانت اجتماعاتهم خلال العام والنِّصف تتمّ بالخفاء حتّى عن الأفغان، وفي أماكن مختلفة وقرى مختلفة، ولكن عندما طلب منه أنّ لقاء الكهف من أهمّ الاجتماعات، وسوف يكون معنا شخصيَّة نادرة، ومعروفة بحبّها بالتَّغيير والتَّطوير ومحاربة الفساد، وإمكانيَّاته الفكريَّة والقتاليَّة عالية جدًّا هو الذُّب أو ابن الوقاص سأل ماهر.

- سعودي؟

المَكِّي:

- أكثر ممّي ومنك من بدو الجنوب.

كَانَتْ أَحْلَامًا يَا قَلْبِي
أَنْ يَسْقُطَ سِجْنُ مَدِينَتِنَا
أَنْقَاضًا فَوْقَ السَّجَانِ
أَنْ تَخْرَسَ أَصْوَاتُ حُبْلَى
بِالْخَوْفِ تُطَارِدُ عُنْوَانِي
كَانَتْ أَحْلَامًا يَا قَلْبِي
أَنْ أَصْبِحَ فِيكَ مَدِينَتِنَا
إِنْسَانًا مِثْلَ الْإِنْسَانِ

(فاروق جويده)

قبل أن يدخل "سعد" إلى غرفة مدير السَّجْن أوقفه الحُرَّاس، حَرَّروا قدميه وأبقوا على القيد في يديه، فَتَحَ الباب بهدوء، سبقه عسكري ألقى بِالتَّحِيَّةِ عَلَى الضَّابِطِ الْمُنَاقِبِ، وَأَبْلَغَهُ أَنَّ الْمَعْتَقِلَ "سعد سعيد المسعود" بِالبَابِ، وَعِنْدَمَا أَشَارَ الضَّابِطُ بِهَزَّةٍ مِنْ رَأْسِهِ أَمْرًا بِإِدْخَالِهِ تَقَدَّمَ "سعد" رَافِعًا رَأْسَهُ شَاخِحًا، كَأَنَّهُ أَسَدٌ لَا يَرِيدُ أَنْ يَعْتَرِفَ أَنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي الْأَسْرِ وَأَصْبَحَ فِي أَسْرِ صَيَّادٍ لَا يَرْحَمُ مَنْ يَتَخَطَّى الْحُدُودَ الْمَرْسُومَةَ لَهُ لِلْعَبِّ فِي إِطَارِهَا، أَخَذَ يَسْحَبُ قَدَمِيهِ نَازِلًا بِكِبْرِيَاءِ الْقَادَةِ، مُسَلِّمًا بِسُلْطَةِ الْفَاتِحِينَ الَّذِينَ لَمْ يَغْرُرْهُمْ نَصْرٌ وَلَمْ يَفْرَحْهُمْ ذَلٌّ أَعْدَائِهِمْ، لَا لَشَيْءٍ إِلَّا لِثَقَتِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ:

سعد: السَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ.

رَدَّ الْجَمِيعُ عَلَى التَّحِيَّةِ بِأَحْسَنِ مِنْهَا مَا عَدَا الضَّابِطَ، الَّذِي يَحْسُدُ وَيَحْقُدُ فِي الْوَقْتِ نَفْسَهُ عَلَى صَاحِبِنَا تَمَاسِكِهِ، وَيَرْمِيهِ بِالْغُرُورِ وَالْغَطْرَسَةِ الَّتِي لَا تَلِيقُ بِأَمْثَالِهِ مِنْ حَثَالَةِ الْمَجْتَمَعِ، ذَلِكَ الْمَجْتَمَعُ الَّذِي يَتَشَحَّحُ بِعِبَادَةِ الرُّقْيَى وَجَلَالِ

التقى يستر بهما عورات تُفْضَح بين حين وآخر، فيحاول أن يخفيها إذا لم يفلح بنفيها. ونزقه الذي يراه أنه في غير محله يتحلَّى به وكأنه قائد السَّجْن وليس معتقلاً حقيراً، وقف ثلاثة رجال مدنيين، استرق "سعد" النَّظْرَ إليهم بنظرة فيها من الحدة والصَّرامة ما تحرَّ له قلوب المستضعفين أو أولئك الذين لا حيلة لهم وقال (محدثاً نفسه): يا إلهي... هذا... هذا الرَّجل يشبه...

ثَبَّتَ نظره على الرَّجل بالرَّغم من أنَّ الضَّابط طلبَ منه الجلوسَ على الكرسي المعدَّ خصيصاً له أمام الثلاثة، ولكنه لم يكثرث لأمر الضَّابط أو أيَّ أمر، بل أخذ يحدِّق في وجه الرَّجل وثَبَّتَ عينيه في عينيه، وأرسل حزمة من الأمواج عبر الأثير فيها تلك الحزمة التي تتلاقى لمعرفة أيَّ من الرَّجلين أشدَّ قوَّة وأصلب رأياً وأعتى شكيمة وأكثر ثقة في النَّفس من الآخر، مما أربك الرَّجل، ومن ثَمَّ حوَّلَ عينه إلى الشَّابِين الآخرين يتفحصهما، هناك شبه بينه وبين أحدهما، فالعينان متشابهتان مثل عين ذلك الرَّجل وكذلك الأنف، أمَّا الآخر فيشبهه شقيقه في الجبين والذَّقن وحجم الفم ورسمته، عادَ بنظره إلى الرَّجل مرَّةً ثانية، لم يلتفت للجنود وهم يحرِّرون قدميه من القيود، بل ركَّز بصره على الثلاثة مقارناً بينهم وبين الرَّسم وبينه، الرَّجل أقرب إلى الرَّسم بل قد يكون مطابقاً للوحة التي رسمها الفنَّان الأفغانيُّ أكثر من تسعين في المائة، (لو أنَّ هذا الرَّجل هو أبي الحقيقي وأنا من صلبه فأقسم بالله أنَّ والدتي لم تسفح بي) قال ذلك في نفسه.

هل شكَّ في ذلك يوماً ما؟ قد... وقد...

صليل السَّلاسل وهي تغادر يديه ومن ثَمَّ سحبها بعيداً عنه، يسمعه وكأنه موسيقى موتى آتية من قاع بئر عميق، المفاجأة التي عقدت لسانه هي الشَّبه الكبير بينه وبين الرَّجل الواقف أمامه لم يكن يتوقَّع أن يكون الشَّبه لهذا الحدِّ، نظرات الشَّابِين الآخرين فيها من الدَّهشة وانحباس الأنفاس الشَّيء

الكثير، طلب الضابط من الجنود مغادرة المكتب بإشارة من عينيه، وقف الضابط واستأذن لمغادرة المكتب؛ لكي يترك لهم الحرية والخصوصية اللازمة في مثل هذه المواقف، النظرات والموجات الكهرومغناطيسية التي في الغرفة تصدم بعضها البعض علّها توصل رسالة ما، أو تلتقط معنى ما أو إشارة ما وسط وجوم مخلوط في بوتقة الحزن المفرح، هل هذا هو الصدر الذي حُرمت من حنانه من قبل أن أولد؟

هل هذا هو الرجل الذي حرمت من رعايته كل هذه السنين؟ شيء ما في داخله يدفعه ليحضن هذا الصدر القاسي الذي حُرِم منه دونما ذنب، وشعور آخر يأمره أن لا يضعف أمام قسوة قلب تحجر حتى عن السؤال... مجرد سؤال عن طفل لم ير النور وامرأة جنى عليها، يصارعان الفقر والمرض في نهر تسبح في مياهه أسماك ظلم الحياة بجميع أحجامها وأنواعها لتلتهم بعضها بعضاً، وصراع غير متكافئ بين الدلّ المتسلق من القاع والكرامة المتشبّثة بالقمة.

هذه اليد التي يراها تمتدّ بخجل ورعشة نحوه... هل تستحقّ التّقبيل؟ وكيف تستحقّ التّقبيل يدٌ لم يشعر أنّها امتدّت إليه في لحظة من لحظات العمر بقطعة حلوى، أو قطعة نقد يشتري بها حلوى خلال أكثر من أربعين عيداً قد حسمت من عمره، أو حتى بصفعة تؤدّبّه من خطأ ما، مهما كان حجم ذلك الخطأ، ومهما كانت حنونة أم مؤلمة تلك الصّفعة، محقة أم ظالمة خانها تقدير الجاني وبراءة مظلوم لم يعطَ الفرصة للدّفاع عن نفسه، إلّا أنّها وبالرّغم من كلّ ذلك صفعة أب محبّ يفتخر بها الرّجال أمثاله إن كان له أب وأحسن تأديبه.

الدَّمعة التي يكافح أن لا يراها أحد... هل تغدر وتنساب أمامهم رغماً عنه؟ كما فعلت يوم موتِ أمِّه ورأتها هالة... هالة التي غدرت وسلَّمت نفسها لغريمه وغرامها المغرورين.

اختلطت مشاعره فأضحت مرتبكة حائرة في بحيرة الحزن الدَّامي، وألوان الجروح التي حفرها معول الوقت في غفلة من رقابة الزَّمن، تلك الجروح التي لن تندمل أو تلتئم إلَّا على آثار سرعان ما تنكأ لتنزف مرَّة أخرى دمًا، خرجت الكلمات متحشجة مختلطة بآلام السَّنين وعذاب الثَّواني بالرَّغم من محاولته الصَّارمة أن لا يظهر فيه ضعف، أو يلمح بعاطفةٍ ما؛ فباب العواطف قد أُغلق وأُلقيت مفاتيحه في محيط النِّسيان المظلم منذ أن صفعته "هالة" خلفها وتركته مسجونًا داخل زنزانة أحزان كان يتوقَّع أنَّه أقوى من أن تبقى بين جدرانها، ولكن كلَّما وجد للحزن مكانًا في مساحة الزَّمن الضَّائع ظهرت قضبان زنزانة "هالة" لتثبت له أنَّ جراحه لن تندمل بل تتحوَّل إلى قسوة على أيِّ شيء وكلِّ شيء.

الرَّجل محاولاً كسر الصَّمْت: سعد، ولدي...

سعد (بحدَّة): مَنْ أنت؟...

الرَّجل: أنا أبوك... وذولي إخوانك.

سعد: يعني جذوري الي قطع.

الرَّجل: وَمَنْ قطعها؟

سعد (مستهزئًا بآلم وسخرية): أنا.

الرَّجل (ودمعه يتساقط على خديهِ): لا تعذِّب نفسك وتعذِّبني معك.

سعد: أنا عشت أعذب أيَّام العذاب وأصفاها على الإطلاق بدونك، من غير أب... خلَّني أجربه مع واحد مثلك ظهر فجأة ليتبنَّاني ويدَّعي أنَّه أبوي.

الرَّجُل: صدَّقني ما عرفت أنَّ لي ابن هو أنت إلا بعد أن بلغتنِي القوَّات
الأمنيَّة وتأكَّدت من خالك.

(كان الرَّجُل يتحدَّث بصدق وتوسَّل أن يصدِّقه).

سعد: إذا كنت أبوي زي ما تقول... ليش تركتني؟

الرَّجُل: أنا تركت أمَّك بعد شهرين من الزَّواج، وما أعرف إنَّها حامل
وما حد بلغني عنك وعن ولادتك، أنا في ديرة ثانية وبعيدة وما أعرف عن
أمَّك وهلها شيئاً، كان خالك "أبو مرجع" الي انقتل مع "جهيمان" إلى
قرية (أم القعور) وتزوَّجت أمَّك هناك، تركَّها وما حد عارف وينها، اتَّصلت
بخالك العسكري قالوا لي على الحدود، ما عرفت كيف أصل رَحماً انقطع؟
صدَّقني لو عرفت إنَّ أمَّك حامل ما كنت طَلَّقَتها.

سعد: الله يرحمها.

الرَّجُل: الله يرحمها ويسامحها على إنَّها ما قالت لي عنك.

سعد: ليش طَلَّقَتها؟

الرَّجُل: لقمة وتقطعت... قَدَّر.

سعد: القَدَّر ما هو شِئاعة نعلَّق عليها أخطاءنا.

الرَّجُل: صدَّقني أنا مِنِّي أوَّل مَنْ طَلَّق ولا آخر واحد راح يطلِّق، أنا مِنِّي
ندمان على الطَّلَاق قد ندمي على عذابك كلَّ هذي السنين وحرمانِي منك.

تقدَّم الرَّجُل خطوة إلى الأمام وهو يتحدَّث، ثمَّ خطوة ثانية علَّ هذا
القلب القاسي الذي يحمله هذا الولد بين حناياه يحنَّ، تقدَّم خطوة أخرى
باسطاً يده، وصاحبنا تتضارب المشاعر داخله، لأوَّل مرَّة يعترف أنَّه عاجز
عن اتِّخاذ قرار، يريد أن يصدِّق ويقرَّ بأنَّ هذا هو والده فعلاً، وفي الوقت نفسه
يكره الموقف الذي لم يدخل في حساباته ولم يتوقَّعه، سأل: كيف تثبت لي إنَّك
أبوي؟!

الرَّجُل: اسأل خالك المقعد "أبو حسين" لقد كان ولي أمر أمك وهو شاهد زواجي منها.

سعد: قابلتُ خالي؟!

الرَّجُل: إيه بالله.

سعد: وين؟

الرَّجُل: في القرية في بيته.

سعد: ليش قابلته؟

الرَّجُل: لما بلَّغتنِي القَوَات الأَمْنِيَّة أَنَّ لي ابناً في المعتقل أنكرت! قالوا لي "سعد" ولدك من زوجتك الأولى "مرضية" قلت لهم من زواجي من "مرضية" ما عندي أولاد، ولما أخذوني لخالك في القرية عرفني وعرفته عقب ها السنين... سألته، قال لي عنك وعن دراستك وتفوقك... وفجأة غيبتك.

سعد: مين شفت مع خالي؟

الرَّجُل: شفت ولده "حسين أبو سعد" المدرّس، تذكره بالتأكيد زوج "هالة" بنت خالك، أخت "مرجع"، وشفت "علي" كمان... "علي" كلّمني عنك كثيراً ويحبّك ويا كثر ما يدعي لك إن الله يفرج كربتك.

سعد: "حسين" سمى ولده "سعد" على اسمي!

الرَّجُل: إيه... سكرة الله يرحمها اللي اختارت الاسم.

"سعد" محدّثاً نفسه... "سكرة" تريد أن تنتقم من هالة، أجبرتها على اسم "سعد"، الاسم اللي راح يجلد ضميرها طول الوقت إلى أن تموت، "سكرة" انتقمتم لـ "سعد" الكبير بسعد الصّغير... كلّما تناديه تذكّرني تذكّر تلك القبلّة أوّل قبلّة في الرّياض العاصمة، وضمّمتي في صدرها، وبدأت الحرارة والنّار بجسمها وجسمي... أكيد تحيا بها، الله يرحمك يا "سكرة"

عَرَفْتِي كَامْرَأَةٍ كَيْفَ تَنْتَقِمِينَ لِرَجُلٍ أَحْبَبْتَهُ بِصَدَقٍ مِنْ امْرَأَةٍ عَذَّبْتَهُ... إِنَّ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ.

تَقَدَّمَ الرَّجُلُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِصَاحِبِنَا بِاسْطًا ذِرَاعِيهِ، ضَمَّ ابْنَهُ الْبَكْرَ، وَاكْتَفَى الْآخِرَ بِتَقْبِيلِ رَأْسِ الرَّجُلِ مُتَصَنِّعًا الْبُرُودَ، وَبَدَاهُ تَرْتَجِفَانِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، هَلْ يَحْلُمُ؟ هَلْ هُوَ تَحْتَ تَأْثِيرِ مُخَدَّرٍ مَا؟

دَخَلَ الضَّابِطُ وَخَلْفَهُ جَنْدِي يَحْمِلُ صَيْنِيَّةَ عَلَيْهَا بَعْضَ الْمَشْرُوبَاتِ، تَعَمَّدَ الضَّابِطُ الدَّخُولَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ بِالذَّاتِ، فَخِلَالِ الْأَشْهُرِ الْمَاضِيَةِ لَمْ يَلْحَظْ قَطُّ طَوَالَ التَّحْقِيقِ أَنَّ صَاحِبِنَا يَعْرِقُ أَوْ يَضْطَرُّ، وَلَكِنَّ هَذَا الْمَوْقِفَ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي جَعَلَهُ يَتَصَبَّبُ عِرْقًا، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَهِزَ الْفُرْصَةَ عَلَيْهِ لِيُخْرِجَ بَعْضَ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي تُسَاعِدُهُ فِي التَّحْقِيقِ، طَلَبَ مِنَ الْجَنْدِيِّ تَقْدِيمَ الْمَشْرُوبَاتِ لِلضَّيُوفِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي طَلَبَ الْأَبَ مِنْ وَلَدِيهِ الْآخَرِينَ أَنْ يَتَقَدَّمَا لِلسَّلَامِ عَلَى أَخِيهِمَا، "مَسْعُودٌ" الْأَكْبَرُ تَأَخَّرَ قَلِيلًا، أَمَّا "سَعُودٌ" فَقَدْ تَقَدَّمَ بِسُرْعَةٍ وَضَمَّ صَاحِبِنَا وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَحُضَنَهُ مَرَّةً أُخْرَى، أَحَسَّ "سَعْدٌ" بِصَدَقِ مَشَاعِرِ هَذَا الشَّابِّ وَقَرَأَ فِي عَيْنِيهِ الْإِعْجَابَ، وَنَظَرَ فِي أَزْوَارِ كَمِ الثَّوبِ فَوَجَدَ الْأَزْوَارَ عَلَى شَكْلِ حَلْقَةٍ وَفِي دَاخِلِهَا لَفْظَ الْجَلَالَةِ، كَادَ قَلْبُهُ أَنْ يَنْخَلَعَ، هَلْ يَعْرِفُ هَذَا الْفَتَى مَعْنَى هَذَا الرَّمْزِ؟ هَلْ هِيَ رِسَالَةٌ مِنْ أَحَدٍ؟

بَعْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ "مَسْعُودٌ" وَسَلَّمَ عَلَى أَخِيهِ سَلَامًا عَادِيًّا، وَإِنْ تَظَاهَرَ بِمَحَاوَلَتِهِ تَقْبِيلَ رَأْسِهِ، طَلَبَ الضَّابِطُ مِنَ الْأَبِ قَائِلًا: عِنْدِي رِسَالَةٌ مِنْ طَوِيلِ الْعُمُرِ وَزِيرِ الدَّخْلِيَّةِ لَكَ يَا "أَبُو سَعْدٍ" تَقْدَرُ تَحْضُرُ فِي أَيِّ وَقْتٍ وَتَجْلِسُ مَعِ وَلَدِكَ، لَا وَبَلْغَنِي أَبْشُرْكَ لَوْ تَجَاوَبَ مَعْنَا فِي التَّحْقِيقِ رَاحَ يَخْفَفُ عَنْهُ الْعُقُوبَةُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَعَ الْمَجْرِمِينَ أَثْنَاءَ التَّفْجِيرِ، وَلَمْ يَشْتَرِكْ فِي التَّخْطِيطِ لَذَلِكَ، وَدَلَّنَا عَلَيْهِمْ... يُمْكِنُ يُخْرِجُ قَرِيبًا.

سعيد: (الله يطوّل عمره، سلّم عليه كثيرًا... وبلّغه ما يكون إلّا الخير إن شاء الله).

حديث العيون بين "سعد" وأخيه الأصغر سعود قصّة، حكاية، حدوتة على رأي إخواننا في أرض الكِنانة... من المعاني التي نقلت رسائلها واضحة إلّا لأولئك الذين لا يعرفون لغة العيون وأسرارها.

أفغانستان

اللقاء الأول

كانا يسيران متلاصقين متتابعين إذا ضاق الطريق في هدأة الليل، متباعدين كل ما سمح لهم الطريق بذلك "سعد" يتحدث برقة ونعومة وهما يستأنفان الصعود ملتفتاً إلى حامد بجواره بين الفينة والأخرى سائلاً إيّاه: تحبّ تقتل؟

نظر "حامد" إليه وهو يبحث في وجهه معنى للسؤال، ولما لم يجد قال: القتل من أجل القتل فقط لا... فأنا ما أحبّ أن أقتل إنساناً إلا في معركة حتّى لو كان هذا الشخص شيوعياً أو ملحدًا ولكن غير معتدٍ... ليه تسأل؟ سعد: الحقيقة أنا هنا سألت نفسي هذا السؤال.

حامد: والجواب؟!

سعد: الحقيقة احترت، ليه يقتل الإنسان إنساناً آخر؟ تصوّر احنا بعيدين عن أهلنا عشان نقاتل هنية، والجماعة خافين علينا أن نُقتل أو نقع في الأسر عند الروس، وبالتالي تكون هناك مشكلة عالمية مع حكومتنا، لو سألت بعض الجنود الروس تحبّ تقتل؟ إيش الجواب اللي تتوقعه؟ أعتقد الشيء نفسه ما يحبّ يقتل إنساناً مهما كان هذا الإنسان، ولكن تُفرض علينا بعض أمور ومعتقدات نعتقد أنّها صحيحة، وهم الشيء نفسه، ونرفضها أو يرفضونها وبالتالي ينتهي الكلام والإقناع إلى دوي الرصاص والقتل دون رغبة من المتحاربين، ولكن القيادات هي اللي تفرض هذا الوضع، تصوّر لو عاش النَّاس كل النَّاس يعملون في الحقول، والمصانع، والمكاتب، في الجبال، في الرّعي، قطع الأخشاب... ينامون وقتها يتعبون ويأكلون وقتها يشعرون بالجوع على قدر حاجتهم وعندما تكون هناك حاجة ماسّة للطعام ما تعتقد أنّهم بذلك يدركون لماذا خلق الإنسان.

حامد: وترك لهم مجالاً لقتلك؟

سعد: القتل لا يعلم شيئاً، ليس في وسع أحد أن يقتل كلَّ مَنْ يخالفه
الرَّأي أو العقيدة أو يُصلِّح أو يُقنِّع كلَّ النَّاس ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ
فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ هذا كلام الله ولا تستطيع أن تستأصل
أعداءك من جذورهم، بل سينشأ جيل على كراهيتك ونسلك، ليت العالم
كلَّ العالم يعيش في سلام من دون قتال.

حامد: تحلم!

سعد: لا والله أتسلَّى بالحديث معك حتَّى نصل الكهف.

حامد (وهو يعلم الجواب): أجل... ما قتلت قط؟!!

سعد: لا بالله قتلت عدَّة مرَّات في مناسبات مختلفة معظمها الدِّفاع عن
النَّفْس، وسأقتل مرَّة ثانية وثالثة ولكن ما أشعر بمتعة؛ لأنَّ القتل خطيئة.
حامد: والشَّيوعي الأفغاني الي على مستودع الذَّخيرة! قبل يومين تقول
إنَّك تتمنَّى تقتله عشان تستولي على الذَّخيرة وتنقلها لصفوف الأفغان
المسلمين.

سعد: صحيح، راح أقتله... اختاروني للمهمَّة لمهارتي في القنص؛ لذلك
راح أقتله وضميري مرتاح لأننا في واجب... أنا أتكلم عن متعة القتل وليس
عن الفعل... ما راح أحسَّ بمتعة لو قتلته. اللذة إحساس وما هي فعل.

حامد: لكنَّك تقتل أفغانياً!

سعد: من أجل أفغانياً آخر... احنا في حرب دينيَّة وما احنا في حرب
شعوبيَّة أو أمميَّة.

حامد: لكن الأمريكيين في صفِّ والرُّوس في الصَّف الثَّاني.

سعد: هل رأيت جنوداً أمريكيين؟

حامد: أسلحة أمريكية وخبراء.

سعد: أنا مقاتل وأنظر لمقاتلين وماني سياسي.
حامد (مغيرًا الموضوع): تعتقد أنّ في أحد منهم ينتظر في نهاية الجسر.
سعد: لا أعتقد لأنّ أذنان الروس يعتقدون أنّ من الجنون والتّهوّر عبور الجسر.

حامد: ولكن أنت راح تعبر.
سعد (بعد أن وقف برهة ونظر في وجه حامد): بطريقتي.
حامد: أصبحت مشهورًا بـ (رجل المهّمات الصّعبة).
سعد (يضحك بسعادة على الإطراء): ما هو لهذا الدّرجة.
حامد: القيادات العليا لا تذكر اسمك الحقيقي، ولكن يطلقوا عليك الذّئب.

سعد: الحقيقة... لقد داهمنا بعض من أنصار الروس فهربنا، الواقع ما كنّا نفهم ما هو المطلوب أو إيش نسوي... لم تكن معي سوى بندقية، أمّا أعداء الله فكانوا يحملون بنادق متطورة تصيب على بعد ثلاثمائة متر، ويمكن أن يصيدوننا مثل الأرانب، ولكن اختفيت وهرب معظم المجموعة الي كانت معي... صحيح أنّ البعض قُتلَ والبعض أصيب، وتقدّم الأعداء حتّى أصبحوا في متناول بندقيتي، كنتُ أصوب وأصيب في الرّأس وأتحرك بسرعة مختلفًا بين الأحرّاش والصّخور؛ فقتلت منهم العديد وهرب الباقي، وتجمّعت مجموعتي مرّة ثانية وأنقذنا ما يمكن إنقاذه من الإخوان المصّابين ونقلنا الموتى.
حامد: وبالتالي سمّوك الذّئب.

سعد: ما سمعت بالتّسمية غير منك، لكن كانت لي ولله الحمد العديد من المواقف.
حامد: أنت مرسل من قبّل الحكومة.

سعد: لا... الحكومة ترسل أطباءً وممرّضين وموظّفي خدمات فقط ما يدخلوا في الحرب.
حامد: أجل.

سعد: أنا فدائي... عاطل... لقيت أفضل شيء أسويّه... أجاهد.
حامد: أنت مدرّب تمام، وين تعلّمت القنص.

سعد: أنت شايف كذا... احنا البدو، خاصّة بدو الجنوب أمثالي نتعلّم القنص في سفوح الجبال في القرية... ما هو مثلكم يا حضرات تخافون من السّلاح؟

وصلا إلى مدخل الكهف، وبصيص من النّور ينفذ من وراء السّتارة التي عُلّقَت على المدخل، كلّما حرّكها هواء كانون الثّاني القارس البرودة في هذه المنطقة من العالم تراقص أشعة ضوء المصباح لا لتنبئ عن قدوم قادم، بل لتعكس وجود قاطنين في هذا الغار أو مَن يستأنس من نور ذلك الضّوء.

تقدّم "حامد" وأبعد السّتارة من الطّريق مفسّحاً المجال وطالباً من سعد الدّخول، الجو داخل الكهف يميل للدّفء بعكس الطّريق إليه، فالهواء اختلطَ بدخان الحطب وحرارة النّار، بالإضافة إلى نفّس الأشخاص الموجودين في الدّاخل؛ مما جعل درجة الحرارة أكثر من مقبولة نوعاً ما في مثل هذا المكان والزّمان، لاحظ سعد وجود مائدة دائريّة وقد جلس حولها ثلاثة رجال لا يعرفهم، وإن كان قد سمع عنهم القليل والقليل جدّاً، وضوء قنديل على الطّاولّة التي يحيطون بها يراقص ظلالهم على جدار الكهف مع تراقص ضوء المصباح، عندما اقترب من المائدة لاحظ أنّ هناك فتاة تدير بملعقة كبيرة محتويات قدر ضخّم، بدأت رائحة الطّعام التي اختلطت برائحة الحطب وبعض المواد المخزّنة التي شكّلت مجموعة من الروائح الغريبة

التي لا يمكن معرفة أيها ذو الرائحة النَّفَّاذة؟ ففي الزَّاوية صناديق ذخيرة ومتفجَّرات وهناك بعض المؤن الغذائيَّة، وبجوارها امرأة تصنع الخبز. تقدَّم حامد معرِّفاً القادم: ابن الوقَّاص أو الذُّئب صاحب المهِّمَّات الصَّعبة.

قامَ الثلاثة الآخرون الذين كانوا يتحدَّثون حول الطَّاولَة، وقدَّم أقربهم يده مصافحاً مبتسِّماً معرِّفاً نفسه... "ماهر" النَّائر.

سعد: أهلاً وسهلاً.

عاصم: الجريح.

سعد: أهلاً وسهلاً.

مناحي: أخوك "مناحي ظلام فكري الخالد" واسم الدلع "ناجي"، بس لا بد تناديني "ابن خلدون" وبس، وانسَ الباقي لأنَّها ما لها وجود. سعد مبتسِّماً: يا حبَّك للكلام والمراوغة.

ضحك الجميع وتبسَّم سعد وشدَّ على يده، اتَّخذ الخمسة مواقعهم على الطَّاولَة التي ظهرت الآن أكثر وضوحاً في نظر سعد، وظهرت أبعادها الحقيقيَّة بأنَّها شبه مستديرة، وعندما أخذ مقعده نظرَ كلُّ منهم في عين الآخر، وبعد لحظة صمت كانت كافية لتمرير مرحلة القلق والتَّوتر الذي عادة ما يصاحب اللقاء الأوَّل وإن استمرَّ التَّحفُّظ لبعض من الوقت، أو لم يقولوا إنَّ الطفل الذي يقبل على الغرباء طفل لا يتمتَّع بالتمييز بين الأشياء، بدأ "حامد" الحديث قائلاً: بسم الله والحمد لله الذي جمعنا في هذه الليلة المباركة والصَّلاة والسَّلام على رسول الله.

ماهر: الشُّكر لك بعد الله اللي هداك وجمعت شملنا في هذي الليلة يا "أبو سفيان".

مناحي: الحقيقة... الواحد من زمان وهو يتمنَّى يقابل رجال شراكم.

عاصم: أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي لِقَائِنَا هَذَا الْبَرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنْ الْعَمَلِ مَا يَرْضَى، وَأَنْ نَكُونَ جَمَاعَةً عَلَى الْحَقِّ ضِدَّ الْبَاطِلِ، لَتَكُنْ يَدُ اللَّهِ مَعَنَا.

حامد: الحقيقة... إِنَّ مَا يَجْرِي لِإِخْوَانِنَا الْفِلَسْطِينِيِّينَ، وَالْمُؤَامَرَاتِ الَّتِي تَحَاكُّ فِي السَّرِّ وَالْعَلَنِ ضِدَّ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَرَبِيِّ بِوَجْهِ الْخُصُوصِ، وَالْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، الَّتِي لَا تَحْرُكُ سَاكِنًا، خَوْفًا عَلَى رَعَايَاهَا كَمَا تَدَّعِي أَوْ خَوْفًا عَلَى كِرَاسِيهَا كَمَا تَدَّعِي قُوَى الْمَعَارِضَةِ فِي شُعُوبِهَا، مِمَّا يَجْعَلُ الْوَقْتَ مَلَأَمًا لِعَمَلِ تَنْظِيمِ لِمَنَاهَضَةِ هَذِهِ الْقُوَى وَمَحَاوَلَةِ تَقْوِيضِ مَخْطَطَاتِهِمْ كَوَاجِبَ دِينِي، وَإِجَابَةِ لِنْدَاءِ وَطَنِي.

ماهر: بِصِفَتِي رَجُلًا مِنْ رِجَالِ الْإِلْعَامِ السَّابِقِينَ... هُنَاكَ مُؤَامَرَةٌ لِإِعَادَةِ تَقْسِيمِ الْمُنْطَقَةِ.

حامد: مَوْضُوعُ التَّقْسِيمِ هَذَا نَسْمَعُ عَنْهُ مِنْ سَنِينَ، وَقَدْ يَكُونُ الْوَرَقَةُ الَّتِي يَلْعَبُ بِهَا الْأَمْرِيكِيُّونَ لِلضَّغْطِ... هَذَا وَارِدٌ، وَالسُّؤَالُ مَا الْمَدْفَعُ مِنَ التَّقْسِيمِ؟
ماهر: النَّسْرُ الْأَمْرِيكِيُّ يَبِيدُ مَهَابِطَ لِيَحْكُمَ الْعَالَمَ، وَفِلَسْطِينَ الْمَحْتَلَّةَ هِيَ الْمَهْبِطُ التَّالِيُ بَعْدَ بَرِيْطَانِيَا وَإِيطَالِيَا، وَالْأَقْرَبُ لِحَقُولِ النَّقْطِ، وَلَكِي يَكُونُ مَهْبِطُهُ آمِنًا فَعَلِيهِ أَنْ يَقْوِيَ الْمَحْتَلُّ مِنْ بَنِي يَهُودَا، وَلَكِنَّ الْعَمَلِيَّةَ بِالنِّسْبَةِ لَهُ مَكْلَفَةٌ نَوْعًا مَا بِهِذِهِ الطَّرِيقَةُ؛ فِإِسْرَائِيلَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَكُونَ شَرْطِيًّا فَاعِلًا فِي الْمُنْطَقَةِ طَالَمَا أَنَّ هُنَاكَ دَوْلًا أَكْبَرَ مِنْهَا مِنْ حَيْثُ الْمَسَاحَةِ وَعَدَدُ السُّكَّانِ مِثْلَ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَإِيرَانَ وَدَوْلِ غَنِيَّةٍ مِثْلَ السَّعُودِيَّةِ وَدَوْلِ الْخَلِيجِ الْآخَرَى وَإِيرَانَ.

حامد: إِسْرَائِيلُ هِيَ عَدُوُّنَا الْأَكْبَرُ هِيَ وَأَمْرِيكَ.

"سَعْدٌ" الَّذِي يَحْرُكُ عَيْنِيهِ كِرَادَارٌ لَا يَخْطِئُ لِمُرَاقَبَةِ الْمُنْطَقَةِ، مَرَّرَ الْأَشْعَةَ عَلَى مَلَامَحِ وَجْهِهِ الْمُجْتَمِعِينَ، يَلَاظُ "مَاهَرَ" الَّذِي يَسْرِقُ بَعْضَ النَّظَرَاتِ إِلَى الْفَتَاةِ الَّتِي تَسَاعِدُ الْمَرْأَةَ فِي أَعْمَالِهَا لِمُخْدَمَةِ الْمَجْمُوعَةِ بَيْنَمَا هُوَ يُلْهِهِ الْآخَرِينَ

بحديثه، وبتسم لها وهو يصغي إذا خطف أحدهم منه الكلام مع إخراج طرف لسانه ليمسح به طرف شفته العليا يتبعها بتنهيده، وإن كانت مصطنعة إلا أنها متقنة الإنتاج بالرغم من وضوح الفرحه عليه ووجهه صاحب النكتة اللاذعة، أما "ناجي" أو "مناحي" فقد كان مستمعاً جيداً، جاداً في جلسته وكأنه من قدامى المحاربين الذين خلفتهم الحرب العالمية الثانية، إلا أنه يخفي شخصية أخرى تمثل هزلية الواقع، "عاصم" الذي يبدو أنه ملّ من هذا النوع من الأحاديث أو لا يرغب في الخوض في الكلام، لم يعترض على نوع الحديث، ولكنه في الوقت نفسه لم يشارك أما هو فقد قال:

سعد: بصرحة الوضع مؤلم.

حامد: لا... وثلاثي أضواء المسرح أمريكا وبريطانيا وفرنسا مع إسرائيل عيني عينك.

"ماهر" الذي يتبسّم للفتاة الأفغانية ابتسامة فيها من الإغراء والتشجيع للتواصل الكثير من الجرأة مع تنهيدة ممثّل محترّف في صيد صغار المها: عام ستّة وخمسين كان العدوان الثلاثي ومنذ حرب سبعة وستين (حرب النكسة) أصبحت القوّة رابعة الدّفع بعد انضمام الأمريكيين للنّادي.

حامد: الحقيقة أنا ما ألوم الغرب، كلّ واحد من حقّه أن يخطّط ويعمل على تنفيذ ما خطط له، الحقيقة العيب فينا وفي حكوماتنا والقائمين على أمرنا. مناحي: تعتقد أنّ الأمريكيين واليهود سيسمحون لك بالعمل والتّخطيط؟

حامد: تبي تبيعنا كلام الكسالى والعبيد، أعداء الأُمّة، ذكّرتني ببني إسرائيل عندما أمرهم الله على لسان موسى أن ادخلوا القرية وابنوا، قالوا إنّ فيها قومًا جبارين، وفي المرّة الثّانية قال لهم حاربوا ودافعوا عن أنفسكم... قالوا اذهب أنت وربّك حارباً، يا أخي اليابان من الدّول الثّانية بالرّغم من

أَنّھا دَمّرت بل هاربر، وضربتھا أمريکا بالنّووي، وخسرت حربًا عالميّة
تنازلت فيها عن مستعمراتها في الشّرق... ألمانيا بالرّغم من أنّها خسرت
الحرب وهي قائدة طرف حرب عالميّة مع اليابان وإيطاليا، عادت وبنت
وطنها.

مناحي: بس هذي ما هي دول إسلاميّة.

حامد: شف ماليزيا، إندونيسيا، الباكستان لديها نووي، بلاش نتحبّج
قالوا من أوّل، حجة البليد مسح السّبورة ويا جامع...

ماهر: تعرفوا المشكلة الحقيقيّة وين؟

سعد وهو يبتسم: لا والله ما نعرف...! قلنا أنت فين؟

ماهر: ضيّعنا نفسنا في فلسطين وضيّعناها معنا.

عاصم: فزّورة؟

ماهر (متحمّس): لا... أنا أتكلم جدّ.

سعد: المشكلة ما هي فيك، المشكلة فينا احنا، الي ما احنا قادرين نستمع
بجد ونكون مستمعين جيّدين احنا مستمعين سيّئين... هذا لو سمعنا
وأعطينا الآخر فرصة للكلام.

ماهر: والله أنت الي فاهمني، يجب أن نستمع... أن نصغي للآخر، لو
تركنا اليهود لحالهم وعملنا على تنمية اقتصادنا وتعليمنا كان لنا كلمة الآن،
أبيكم تتخيّلوا مصر والسّودان، عدد السّكّان، المساحة، والمياه لو حطّت
رأسها في الزّراعة والتّقنية الزّراعيّة على مستوى كبير من زراعة القطن
والقمح والأرز لأضحت سلّة خبز العالم العربي، وحلّت محلّ اليابان في
الصّناعة لقربها من الأسواق الاستهلاكيّة في العالم مع محطّتين أو ثلاثة لتكرير
البتروال الذي تستورده من دول الخليج، بالإضافة لما تملكه من البتروال
لأصبحت مصر والسّودان من الدول الثّانية التي تتحكّم في قرارات العالم،

اليابان عبارة عن جزر ليس فيها أيّ مقوّمات، لاحظ سنغافورة التي تستورد العمالة الرّخيصة من إندونيسيا وحتىّ مياه الشُّرب، لكن مشكلتنا نبي نرّمهم في البحر... نبي نشيلهم من الخريطة... وكأنّ الخريطة خريطة أبونا واحنا اللي وضعناها.

حامد: الخريطة لنا... والأرض أرضنا... واليهود اغتصبوها.

ماهر: اليهود نسبة لمن؟

مناحي: نسبة ليهوذا ولد إسرائيل.

ماهر: بالضبط ومنه إسرائيل؟

مناحي: إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق.

ماهر: كلام سليم إذا نقدر نقول عنهم عيال يعقوب أو بني يعقوب أو أبناء إسرائيل أو بني إسرائيل.

سعد: أنتم وين رايجين بنا.

عاصم: الإخوان يبوا يحلّوا المشكلة من الجذور.

سعد: جذور الإرهاب.

ماهر: صدّقوني... إذا كانت هناك مشكلة؛ فيجب على المرء أن يفهم هذه المشكلة وأن يدرك حجمها، فما لا نفهمه فلا تتوقّع أنّك تستطيع فعل أيّ شيء أو عمل أيّ فعل عقلائي أو على الأقلّ العمل على تطويع هذه المشكلة لمحاولة وضع الحلّ النّاجع له.

سعد: حلوة كلمة النّاجع هذي أعجبتني جميلة... رائعة... أن يستفيد الشّخص ويخرج بمفردات جديدة، وكأنّنا أمام أحد التّليفزيونات العربيّة المقعّرة والمعقّدة أمرها ومنشئة مزيّعيها وكأنّهم دُمى مجمّدة محنّطة قادمة من صفحات تاريخ ذي أوراق صفراء... (وأخذ يغني أغنية من أغاني فيلم المصير) علّ صوتك علّ صوتك بالغنا... كلّ الأغاني ممكنة... ممكنة (وقام

يرقص ويطلب من الفتاة ووالدتها مشاركته الرقص والغناء) مردّدًا: زیدینی
علماً زیدینی یا أغلی من ننی عیونی.

ضحكة الطفل موسيقى رائعة تعيد للنفس الأمان وتبهج الروح، أمّا أن
تكون طفلة في سنّ المراهقة، وتنفلت تلك الضحكة من قلبها لتَهزّ قلوب
الحاضرين بنغمة سيمفونية أرقى وأرقّ وأجمل من سيمفونيات بيتهوفن وباخ
وكلّ الإخوة الموسيقيين، أمّا والدة الفتاة فقد تبسّمت لحركات "سعد"
وكلامه الذي تفهم البعض منه وتجهل معظمه، وظهرت أسنانها النَّاصعة
وكأنّها صفّ من اللؤلؤ الشّديد البياض، أمّا "ماهر" فقد تابع بعينه
حركات "سعد" وغنائه... تبسّم له "سعد" وغمزه بطرف عينيه، تبسّم
"ماهر" في شيءٍ من الحذر.

"حامد" الذي كان يراقب بصمت دون أن يلاحظه أحد: جميل أن يكون
هذا اللقاء الأوّل وللتعارف فقط... لنصل بهذه السّرعة لهذه النقطة من
الانسجام والتّوافق... أدعو الله أن يجعل محبّته بيننا هي رابطنا الذي لا ينقطع.
سعد: الحقيقة يا إخواني، الطّبخ يغلي في القدور والإخوان يبوا يحلّوا
المشكلة من الجذور... وأنا أدور وألف وأدور.

ماهر: يضايقك تعرف نبذة عن تأريخ المشكلة؟

سعد: لا بالله حبيبي ما يضايقني لأنّك زي ما قلت إذا أردت أن تفعل
شيئاً حيال مشكلة ما يجب عليك فهمها وإدراكها، الفهم الحقيقي هو اللي
يوصلنا للمعرفة الحقيقيّة.

وبحركة سريعة من سبّابته أشار لـ "ماهر" نحو البنت وأمّها.

ماهر: قلت لكم والله الي فهمني هو هذا القروي القادم من الجنوب.

مناحي: يعني اليهوديّة كنية.

ماهر: للأب... أبناء يهوذا أولاد يهوذا أولاد اليهود، وهكذا أصبح أحفادهم هم (اليهود).

عاصم: يعني اليهودية ما هي دين؟

ماهر: بنو إسرائيل يؤمنون بإسلام إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام؛ فالإسلام هو دينهم ولكن من أتى بعدهم من أحفادهم وحرّف الكلم عن مواضعه، يتحمّل إثم ذلك وإثم كل من أتبعه حتى يوم القيامة... فالله سبحانه وتعالى واحد، والدين واحد. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٢٤) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٥﴾ ومن هنا جاء الإسلام كدين سماويّ وحيد؛ لأنّ "إبراهيم" عليه السلام أسلم لأمر الله ووصّى بها بنيه، قال تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١٢٦) وقد أخذ منهم يعقوب عهداً بذلك، فالله الواحد القدير قد ذكر ذلك في كتابه الكريم: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (١٢٧) قالوا: مسلمون ولم يقولوا: يهود أو يهوديون.

عاصم: هذا الكلام حلو ومقنع بس التوراة...

ماهر بحماس: أيّ تورا تعني أو يعنون... ما قبل "موسى" عليه السلام لا توجد تورا؛ فالله سبحانه وتعالى أتى "موسى" عليه السلام الكتاب وأتى "عيسى ابن مريم" البينات.

مناحي: الكتاب الذي جاء لـ "موسى" هو التَّوراة وهي الألواح بالوصايا العشر، أمَّا البينات وهي جمع بَيِّنَة التي نزلت على "عيسى" هي لتبيِّن للنَّاس الحقَّ، وهي تعني الإنباتات والبراهين والدلائل للحقائق التي حاول بعض من بني إسرائيل طمسها أو تغييرها أو تحريفها؛ لتتلاءم مع متطلَّباتهم الدَّنيوية وتحقِّق رغباتهم، ويقولون هذا من عند الله.

ماهر: لذا لم تكن إلَّا رسالة خاصَّة لأُمَّة معيَّنة؛ فالأولى لبني إسرائيل لأتَّهم عاهدوا الله على عبادته واتَّباع دين "إبراهيم" و"إسماعيل" و"إسحاق"، وخانوا العهد... ألم يُذكِّرهم ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وبعث فيهم "موسى" عليه السَّلام، وقد أمر الله "موسى" أن يذهب إلى فرعون لأنَّ فرعون طغى، أمَّا "عيسى" فقد دعا لمناصرة الله معه، حيث قال: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، فقال الحواريون

وهم من مدينة النَّاصرة نحن أنصار الله، وسَمَّو منذ ذلك الوقت بالنَّصارى إمَّا لأنَّهم ناصرُوا "عيسى" عليه السَّلام أو كنية للمدينة التي أتوا منها؛ فنقول "أبو سفيان" المكِّي كنية لمكَّة المكرَّمة، والمدني كنية لأبناء المدينة وهكذا.

حامد: هذا الكلام تؤمن به أنت؛ لأنَّك مسلم، ولأنَّه مذكور في القرآن لو أنَّهم آمنوا بالقرآن ما كان هناك مشكلة، المشكلة كيف تقنعهم؟ ماهر: بالحوار.

حامد: ما أخذ بالقوَّة لا يُردَّ إلَّا بالقوَّة.

مناحي: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾.

عاصم: إذا كان عدونا في فلسطين في أرضنا ويش نزين هنية.

حامد: نتدرّب هنا... الله سبحانه وتعالى وضعَ لنا ميدان تدريب، وفي الوقت نفسه أرض أفغانستان أرض إسلاميّة والقتال فيها ضدّ الكفرة من الرُّوس واجب بل فرض على كلّ مسلم، وبعض من إخواننا يقاتلون في الشّيشان... المهم الواحد يستفيد من هذي الفرص المتاحة بالقدر اللازم ولا يضع الوقت في الكلام الفاضي.

"سعد" مازحًا وهو مبتسم ويدلّك رقبة "حامد" بهدوء بعد أن وقف خلفه وعيناه لا تفتر من مراقبة "ماهر":
ولنفسك عليك حقّ.

السّيّدة الأفغانيّة التي كانت تراقب من مكانها في زاوية الطّبخ أبلغت "حامد" باللغة الأفغانيّة أنّ الطّعام جاهز، وتنتظر إشارة منه لوضعه في الأطباق الخاصّة بالأكل، وعندما سمع الجميع الحديث وجميعهم يتحدّث الأفغانيّة بنسب مختلفة، أحسّوا بالجوع، وكأنّ الجوع ينتظر من يحركه، ولكن والحق يُقال هنا إنّ رائحة الأكل الزكّيّة التي فاحت من وعاء الطّعام جعلتهم يشعرون بالجوع خاصّة في هذا الجو القارس، أصرّ "ماهر" أن يجلس بجوار "سعد"، أحسّ الأخير بأنّ هناك أمواجًا كهرومغناطيسيّة تتدفّق من ناحية "ماهر" نحوه، تلك الأمواج التي يعرفها تمام المعرفة؛ لأنّ من يراه لا يملك إلّا أن يُعجّب بهذه الشّخصيّة، وهو معجب بهذا النّجدي الذي يملك عينين واسعتين برّاقتين تضحكان، فيهما حور؛ فهما ناصعتا البياض شديدا السّواد، وذو شخصيّة جذّابة فيها خلطة الذّكاء والفتنة في أعلى درجاتها.

قام الجميع لتناول الطّعام، سأل "سعد" "ماهر": لك فترة في أفغانستان؟

ماهر: أكثر من ستين.

سعد: وين متخفيّ كلّ هذي الفترة؟

ماهر: أبداً قضيت مدّة بالقرب من مزار شريف وحول كابل، بس أغلب الوقت بين البلوش وكراتشي.

سعد: وقتدهار؟

ماهر: أوقات وأوقات.

سعد: يعني جيت قبل كدا؟

ماهر: يعني.

سعد: بس ما سمعنا ولا شفنا.

ماهر: من حسن حظك.

سعد: تزوّجت؟

ماهر: إي بالله.

سعد: أهلك معك؟

ماهر: إيه.

سعد: أفغانيّة؟

ماهر: بنت عمّها بلوشيّة.

سعد: وين نازلين؟

ماهر: في الخان.

سعد: ما ودك تنزل عند أخيك؟

ماهر: ودّي بس الرّيس.

حامد: ودّي ما أحد يعرف عن لقانا شي أو حتّى إنّنا نعرف بعضنا البعض.

عاصم: بعد إذن الرّيس لو نجتمع بعد يومين، ونترك فرصة ثمان وأربعين ساعة لكلّ واحد يفكر فيها في المجموعة والموقف ككلّ إذا كان يرغب في الاستمرار أو ينسحب بهدوء.

مناحي: الفكرة جيّدة وأنا أثني على رأي الجريح.

نظر "حامد" في وجه "ماهر"، ونقل نظره إلى "سعد" الذي أيد الاقتراح، قال "حامد": إذا نلتقي يوم الاثنين السّاعة ثمانية في الليل هنا. سعد: يوم الاثنين السّاعة ثمانية لا مانع، هنا أعتقد أنّ المكان يحدّد بعدين وأنت المنسّق، بلغ الإخوان بالمكان الجديد، لا مؤاخذة أنا ما أفضل نجتمع في مكان واحد مرّتين ورا بعض.

ماهر: وجهة نظر.

حامد: ما عندي مانع المكان نعيّنه بعدين وأبلغكم، بس الآن كلّ واحد يترك المكان لوحده.

كان "سعد" أوّل المغادرين واختفى في الظّلام، غادر بعده "مناحي"، ومن ثمّ "ماهر"، الذي ترك "حامد" و"عاصم" في الكهف مع الفتاة وأمّها، سلك الطّريق المؤدّي إلى بداية الطّريق، إلّا أنّه انحرف يساراً بعد بضعة أمتار بين الأحراش والأشجار، وأخذ يصعد الجبل مرّة أخرى ولكن عن طريق خلفيّ وخفيّ عن الأنظار، ووقف فجأة ونظر خلفه وتقدّم بضعة أمتار حيثُ بعض الشّجيرات التي اختفى بينها ووقف في مكان استراتيجي يستطيع من موقعه أن يراقب من يدخل أو يخرج من الكهف، وكذلك الطّريق حتّى نهايته في الجبل، دون أن يلاحظه الدّاخل والخارج أو الهابط والصّاعد، ولكنّه لم يلحظ أنّ هناك من يراقبه، خرجا "حامد" و"عاصم" بعد أن أطفئا السّراج وقاما بوضع الصّخور والأحجار على مدخل الكهف، هبط "عاصم"، وبعده بدقائق غادر "حامد" المكان مطمئناً أنّه لا يوجد أحد بعده غير المرأة وابنتها، كانت عينا "ماهر" تراقب "حامد" وهو يسلك الطّريق، فغادر مكانه بهدوء، متلفّتا بين مراقبة "حامد"، وهو يهبط إلى الأسفل وبين مدخل الكهف خوفاً أن تغادره المرأة وابنتها في غفلة منه،

وكأنه يراقب باهتمام بالغ مباراة في كرة الطاولة، لاحظ كأن شخصاً اقترب من "حامد" في آخر الجبل وسارا معاً لم يستطع أن يتبين من هو؟ ولكنه قال في نفسه لابد أنه "مناحي" أو "سعد"، استبعد أن يكون "سعد" فـ"مناحي" هبط بعد "سعد"، فلو كان "سعد" لشاهده "مناحي"، وقد تابع "مناحي" وهو يهبط ولم يلحظ أنه تحدث مع أحد، بالتأكيد ليس هذا "سعد"، أمّا "عاصم" فلن ينتظر "حامد"؟! وقد تركناها سوياً، فلو كان هناك حديث جانبي بينهما لانتهيا منه في الكهف، لا يهم... المهم أن المرأة وابنتها في الدّاخل، أخذ يبعد الحجارة بهدوء، دخل الكهف وهو يتلمّس الجدار، حتّى وصل مكان السّراج، أضاء السّراج، حملة وأخذ يتجوّل بهدوء في الكهف، لا أثر لأحد، عجيب، أين ذهبت المرأة، لا يمكن أن تختفي هي وابنتها، بحث خلف صناديق التّموين، بين صناديق الذّخيرة... لم يجد لهما أثراً، لابد أن يكون لهذا الكهف منفذ آخر، فلا يمكن أن تنشق الأرض وتبتلعهما، عاد للمكان الذي كانوا يجلسون فيه هنا، وهناك الموقد، وفي النّاحية الأخرى مستودع التّموين، وفي الرّكن الآخر مستودع الذّخيرة، وضع السّراج على أحد صناديق التّموين، وتقدّم يفحص جدار الكهف من هذه النّاحية، كادت دقّات قلبه أن تقف وتتصلّب شرايينه، وشعر بهبوط حاد في مجرى الدّم ودوران، وتسمّر في مكانه عندما أحسّ بيد تلامس كتفه، لم يشعر بأنّ هناك من يقف خلفه، كاد يصرخ ولكنه لم يستطع؛ فقد وضع "سعد" يده على فمه وطرحه أرضاً وهو يطلب منه أن يهدأ.

سعد: هس.

ماهر بهمس خائف: أنت جنّي.

سعد: أنا كنت أراقبك.

ماهر: راقبك عفريت... ليه؟

سعد: عندي إحساس ما يخيب إنك راح ترجع للحرمة.

ماهر: ويش حشرِك؟

سعد: أحبك في الله.

ماهر: حسبي الله عليك... تحبني... الله يلعنه حب... بغيت تذيبني.

سعد ضاحكًا: يا جبان... خوفك الي كاد يضحك ما هو أنا.

ماهر: لعن أبو... ذا... قوم جب لي ماء... نشفت حلقي... الله ينشف

ريقك.

"سعد" يضحك ويذهب إلى زاوية الكهف ويحضر طاسة مليئة بالماء، ويرش "ماهر" ببعض منه؛ ممّا أثار "ماهر" الذي ألقي عليه بعض من تراب الكهف، شرب "ماهر" وكذلك فعل "سعد" واستلقيا من الضحك، كانا يضحكان كلّما قلّد "سعد" كيف ارتعد "ماهر": "بلاك ما مريت مثل ما مريت فيه أنا.

قال "سعد" ضاحكًا: ويش الي مريت عليه يا جبان.

"ماهر" يروي قصّته ومغامراته من البداية، وحتّى وصل إلى الكهف على "سعد"، الذي قام أثناء الاستماع إلى القصّة وصنع بعض الشّاي.

ماهر (وهو يرشف الشّاي من الفنجان المسكوفي): الله... أثرك صبي قهوجي... يا ملعون.

سعد (مازحًا): عجبك شغلي.

ماهر: يعجبني صناعتك في الشّاي... يا وسخ.

سعد: أجل أنت الي كان المكّي يتكلّم عنك... أنت مهندس الشّفرة؟

ماهر: أجل "أبو سفيان" كلّمك عنّي؟!

سعد: بالتأكيد كلّمني عنكم كلّكم... بس ما قلّي إنك ممكن تسحبك

حرمة.

ماهر: نقطة ضعفي الكأس والعنطوط.

سعد (ضاحكاً): تسكري يا زير النساء... عليك اللعنة... يا وغدا!

ماهر: كنت أتعاطى الخمر، هذي ربّي رحمني منها بس الثانية مني بقادر.

سعد: أجل كيف لو ربّي خلقك حرمة؟

ماهر: برضك أصير سحاقية وأجلس مع الحريم ولا أجلس عند خشن مثلك.

سعد: الحق معك بس خاب ظني فيك، وما توقعت إن مستواك ينحدر لهذه الدرجة بعد جاكين وصوفيا والأوروبيات اللي تحكي عنهم جاي علي...

ماهر: صدّقني لو بنات الأفغان تطوّروا شوي راح يطغوا على بنات العالم، خاصّة القادّات من ناحية كشمير أو حتّى البلوشيات.

سعد (يدندن): الظاهر إنك حاطت مقاييس متدنية عشان تقش كلّ من هب ودب (وأخذ يغني) يا مركب الهند يا بود قلين يا ليتني كنت ربّانك... المهم إيش رأيك في الاجتماع؟

ماهر: أنت خلّيت فيها رأي خر رعتني... بس تبي الصّراحة... أظنّ كأوّل لقاء ومقابلة للتعارف ما هو شين... بس معرفتك شينة. سعد: أنا عندي إحساس إن فيه خيانة!

ماهر: خيانة...! ما تبي تترك عنك الخرابيط... روعتني وقلنا مزحة... وها الحين تبي تشكّكني في أصدقائي... أنت ويش طيتتك.

سعد: أنظف طينة بعد طينة الأنبياء والرّسل... صدّقني ما أعرف ليه واحنا في الجلسة حاسس كأن هناك واحداً يراقبنا.

ماهر: كيف؟

سعد: صدّقني أنا إحساسي ما يخيب كأن هناك شخصًا غيرنا يراقبنا من مكان ما، ويمكن يسجّل علينا، واحتمال صورنا مع بعض.
ماهر: لو الوحي ما توقف عند محمّد عليه الصّلاة والسّلام كنت قلت لك إنّ الوحي، بس هذي أوهام.

سعد: الوحي توقّف صح، بس الإلهام ما هو الأوهام، لا يزال هو جبل الوصل بين السّماء والأرض، بين الله وبين الصّالحين أمثالي (وهو يضع الكرسي فوق الطّاولَة التي يجتمعون حولها، يصعد فوق الطّاولَة أوّلًا، ثمّ فوق الكرسي ويمدّ يده نحو فتحة في أعلى السّقف): من هنا، كان يناظرنا من هنا.
ماهر (فاغراً فاهه وهو يراقب "سعد"): الفتحة كبيرة ولا صغيرة؟
سعد (مازحاً): أيّ فتحة تقصد؟

ماهر: الله يقطعك ما هو وقت مزاح، الفتحة اللي في السّقف.
سعد: تمرر رجال، بس الملعون حاط عليها صخرة يمكن تحريكها.
ماهر: أجل البنت وأمّها خرجوا من الفتحة.
سعد: الظّاهر.

ماهر (تلمع عيناه وهو يتذكّر الشّخص الذي التقى "حامد" عند آخر منحني في الجبل): سعد... اسمعني زين... أنا كنت أراقب الطّريق... آخر واحد ترك المكان المكّي... في آخر لفّة عند سفح الجبل ظهر شخص آخر ومشى معه... أنا شكيت أنّه أنت... لأنّ "مناحي" غادر بعدك وأنا بعده... تابعته اللين اختفى من اللفة الأخيرة في الجبل... والجريح خرج مع المكّي بس نزل قبله بعد ما قفلوا المدخل... الله يلعنك بدأت تشكّكني لا وفي مين...؟
في الرّيس!

سعد: تقول الصّدق ولا من حمى الخوف... تبي ترد مزحتي لك؟
ماهر: أقسم بالله إنّني أقول الحق.

سعد: مين هذا الشخص وفين كان؟... بس بأمانة ما لاحظتني... أنا اعترضت على المكان لأنني متأكد أن هناك شخصاً يراقبنا، وخفت لا يسمع مكان الموعد الثاني، وبالتالي نلاقي نفسنا في سين وجيم.

ماهر: من مين؟

سعد: ما تضمن... الدنيا ما هي الدنيا... وقصّتك اللي أغرب من حكايتي مين يصدّقك أو يصدقني.

ماهر: بس احنا ما عملنا شيئاً...!

سعد: يعني أنت عملت شيئاً لما ذبوا بك في السّجن، احمد الله وقل خيراً... ما قلنا شيئاً.. بركة الله وستره ما عكينا.

ماهر: والله أنا كنت جاي متحمّس... بس شفت الموضوع أخذ مأخذ آخر.

سعد: أحسن إن موضوع اليهود هو اللي انفتح... أنا خفت تجيب سيرة الجماعة... وتعلّك، حاولت ألفت نظرك... ما شفت الخبال اللي سوّيت... أبي أضيع الوقت.

ماهر: أجل...!

"سعد" الذي راح يحدث نفسه لا... لا... تبغى تخدع نفسك وتخدع هذا الرّجال، الحقيقة إنك ما تعرف المكّي المعرفة التّامة وإنك انجرفت وراه لأنّه أوّل واحد طلب منك الدّخول في مغامرة حقيقة تبي تثبت نفسك فيها، أوّل مرّة تحسّ إن هناك ناس تبي تسوّي شيئاً، تبي تتأكد أن هناك ناس ما تعترف بطق الحنك والحش على كراسي القهاوي والشّكوى والتّدنّر، يجب أن تعترف أنك تسرّعت وأنّ الإنسان أيّ إنسان من الممكن أن يتّجه نحو الشرّ اتّجاهه نحو الخير وبسرعة هائلة، البعض يحاول أن يخفي نيّته والبعض الآخر لا يهتم بهذه النّقطة، وعندما يحاول إخفاءها، فهو قد وصل إلى قرار لا رجعة

فيه، فالإشارات هي التي تظهر من تصرُّفات الفرد القابع في بوتقة الاختبار المخبري سواء كانت وديَّة أو غير ذلك، عليك أن تتأكَّد أولاً من ذلك... هل قرَّر؟ أين اتجه القرار؟ هل يناسبك الاتجاه؟ يناسب إمكاناتك؟

الوقت! هل الوقت مناسب؟ فمهما كانت الطَّيبة ظاهرة في تصرُّفاتنا والأصالة بجملها وروعيتها موجودة لا تعني أنَّ كلَّ الأمور تسير حسب ما ترغب... تذكر نصائح "سكرة" تلك العجوز الميَّنة الحيَّة وبعض الأحياء أموات وهم يتحرَّكون، قال: اترك الموضوع لأخيك... أنا عندي مخبراتي هنا... راح أجيب لك خبر الرِّجال طالما سرى مع حامد مثل ما تقول بس ما تظن أنَّه خويننا الجريح.

ماهر: تقدر تقول لي ليه ينتظر الرِّيس؟
سعد: يمكن أفنكر شيئاً، على كلِّ حال، قصَّتكَ شاغلتنِي، يعني ها لحين أنت ما تقدر تدخل السَّعودية.

ماهر: في حالتين الأولى إنِّي أقضي عمري في السَّجن، أو الثَّانية وهذي الأقرب إعدامي لأنَّ قتل بعض الجنود يعني إنِّي شريك في العمليَّة، لا قتلهم تمَّ عشان يطلقوا سراح المقرود الي قدَّامك... والله ما أعرف منهم أحداً، تتوقَّع أنَّ الحكومة راح يصدِّقوا أنَّ ناس تضحِّي بنفسها من أجلي وما أعرف ولا واحد فيهم على الأقل... بس في هناك حل ثالث.

سعد: ويشو؟

ماهر: نستولي على السُّلطة.

سعد (مازحاً): تبي الحقَّ الحلَّ الثَّاني أسهل كثيرًا.

في نفسك حزن تخفيه؟!

ألم ودموع أو هام

وظلام يفضح ما فيه

في عمق جذور قبيلتنا

هنالك تكمن علتنا

إن شئنا أن نمدح أحدًا

نرفع إنسانًا نعليه

وإن شئنا يومًا ندفنه

ما بعد الشمس نواريه

(السُّفْيَانِي)

عندما يضيق صدر الطريق بالمتحاورين، ولا يبقى إلا صوت واحد يعلو
ويلجج بقيّة الأفواه، عن التّفكير في الكلام، حتّى تلك التي تريد فقط أن
تستفسر عن بعض النّقاط الغامضة والتي أبهمت عن سوء أو حسن نيّة، ينزل
القصاص عليها على أنّها مدسوسة وخائنة ولا تراعي مصلحة الجماعة ولا
تتمتّع بحسّ ديمقراطيّ، هنا وهنا فقط تبدأ الحيرة من بداية المسيرة، إمّا أن
تكون من شركة أوكيه أو شركة لعنة الله عليه، تلك الحيرة التي تظهرها
العيون التّائّهة في ظلام الخوف من التّصادم غير المرغوب؛ فأنت بين أن تبيع
ما آمنت به في لحظة قرار ظالمة، أو تكتب عندنا شقيًّا، حزينًا، مهمومًا، تعيّسًا،
فقيرًا، حقيرًا، أمّا إذا خرجت عن دائرة الحدود التي رسمناها لك، فسوف

تفتح على نفسك نار جهنم؛ فأنت إمّا مجنون وإمّا عميل أو إرهابي، بين مجموعة من المفترض أن تكون وحدة واحدة، وليست اتحادًا من عدّة وحدات أو أجزاء، في لوحة مؤطرة ببرواز مطلي بطبقة رقيقة من اللون المذهب لإظهار ثراء زائف، قد يثير حسد الآخرين، وحقد الأعداء من الأصدقاء، ومراقبة الأقرباء، فعليك أن لا تختار بل أن تختار، في زمن جعل قيمة الإنسان للدولار، وليس للعلم وللعمل والأفكار، فتراكم عوائق التوافق والتّقارب، فنبداً في فقدان ما تبقى من الأخلاق، واهتزاز في خزائن القيم التي تكاد تفرغ من محتوياتها.

إِنَّمَا الْأُمَمُ الْأَخْلَاقَ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلَاقُهُمْ ذَهَبُوا
وعندما تبدأ مياه الأمطار الشّحيحة تتبخر، وتجف البرك، ويظهر قاعها بما تحويه من طين تظهر صفادع التّسلط القهري التي يعيق بوحها ماء علق في فمها، والرّهاب التّعسّفي، وجلد الذّات، والأنا العليا التي تعظم نفسها بالرّغم من فراغها من أيّ مقوّمات تجعلها تبحر في بحار ومحيطات أوهام بينما يحتقرها الآخرون، أو ما يُسمّى بالأنانية وحبّ الذّات.

إِذَا مِتَّ ظَمَأْنَا فَلَا نَزَلَ الْقَطْرُ

وتتنافس قسوة الطّبيعة مع قسوة الإنسان للإنسان، من يبسط بساط الدّل ويوفّر رداء الخنوع أكثر، لأرواح أحياء تائهة في أجساد أنهلكها ورم أو سقم، على موائد الفقر، لنبتلع السّخط المرير اعترافاً بعجزنا، وبيننا اليأس من جوره ظلم الخلل في العدالة الاجتماعيّة صرحاً لا يسقطه إلّا نزلاً الخاسر الأكبر فيه إنسانيّة مجتمع، كان يحلم بحياة كريمة في زمن سحقت فيه كرامة الإنسان بيد الإنسان!

فالحياة المثاليّة القائمة يجب أن تُبنى على أساس فهم صحيح للنّظم والقواعد، شرائع منزلة كانت أم قوانين وضعيّة، خاصّة تلك التي تحكم

سلوكياتنا، وعدم اعتقال النوايس الطبيعية الأساسية، في أغلال العادات والتقاليد، وهذا ما وجدنا عليه آباءنا... أولو كان آباؤهم لا يعقلون! كل هذه الحقائق يجب على أي مجموعة أن تتفق على وضع تعريف واحد لها؛ لكي لا يبحر كل منا في مركب منفرد وفي اتجاه مختلف، بينما هدف المجموعة أو المجتمع واحد؛ لذا فإن السؤال الواضح والمحدد له إجابة واحدة صحيحة، أما الإجابات الأخرى فهي إما خاطئة لجهل أو أن هدفها التضييل المتعمد.

وبالرغم من أن هناك حقائق أبدية خالدة، إلا أنه طالما أن هناك تطورا تاريخيا يزحف على البشرية بصفة عامة وبسرعة متفاوتة؛ فهو بالتالي يحطم القواعد الهشة والضعيفة والحقائق التي بدأت تتعري على أنها مزيفة وبالية، وبالتالي تتساقط بعض القيم التي كانت مقدسة ويمنع الاقتراب منها لعدم تدنيسها، وتظل موجودة في مثلث الشك أو دائرة الحيرة، ولا يبقى غير تلك المتعلقة بالنوايس الطبيعية والخالدة لمئات بل آلاف السنين. (فالإنسان الفاسد لا يمكن أن تثق بأن يقوم بعمل قويم).

"ماهر" وهو يقرأ ما كتبه "سعد" في مذكراته بعد أن سمح له بذلك ويعيد القراءة مرة أخرى... يحدث نفسه: هذا الرجل يعاني فعلا، ولكن المفردات التي يستخدمها هي مفردات معروفة، فكيف يبث فيها روح الحياة بصورة مغايرة عما نعرفه عنها، فهو يدخلها في الطرقات ويحولها إلى أمراض؛ ليحاول أن يقدم لنا وجبة من خطورة موقف يراه ونراه، ولكنه يعبر عنه بطريقته الخاصة وبمفردات جميلة، وإن المرض أي مرض يمكن علاجه إذا كانت هنا أو هناك الرغبة الحقيقية.

لو كنت مسئولاً عن صحيفة لما تركته يتسكع في الطرقات الوعرة، فهو مؤثر فعلا، وقد يكون لقلمه تأثير كبير لو توجه التوجه الحقيقي الذي يخدم

الأمّة، أطفأ شعله القنديل ونامَ في الكهف بجوار "سعد" الذي تركه يقرأ
مذكراته واستسلم للنّوم.

"حامد" الذي التقى بـ"وضّاح" في آخر الجبل يلقي النّظرة الأخيرة
خوفاً أن يتبعه أحد أو تتلصّص عليه عين، ولما تأكّد من ذلك غاب مع
"وضّاح" في ظلام أوّل يوم من شهر رجب قال "حامد": ها ويش رأيك يا
أخو بدوه؟

وضّاح: الحقيقة مجموعة طيّبة.

حامد: تعتقد راح يشتغلوا مع بعض كفريق.

وضّاح: المهم ما يشتغلوا مع بعض ضدك... المهم يشتغلوا معك.

حامد: صوّرت؟

وضّاح: صوّرت بس الإضاءة غير كافية.

حامد: فيديو ولا كاميرا؟

وضّاح: الاثنين.

حامد: ممتاز... خليّنا نروح نشوف اللي سوّيت.

بعد يومين من الاجتماع الأوّل، وفي الطّريق إلى اللقاء الثّاني وصلت
المعلومات التي طلبها "سعد" من طاقم مخابراته في قندهار وبعض الصّور
عن علاقة "وضّاح" و"المكي"، تأكّد "سعد" من أنّ "أبو سفيان"
و"وضّاح" يسجّلان عليهم، وقد قاما بالتقاط بعض الصّور... هل يكون
هذا "المكي" من الاستخبارات السّعودية؟ سمعت أنّ وكالة الاستخبارات
الرّوسيّة كانت تدفع مالاً للمعارضة! هل نسخت المخابرات السّعودية
القرار الرّوسيّ؟ لقد سأل هذا السّؤال من قبل وتأكّد بما لا يترك مجالاً للشكّ
أنّ "المكي" من المعارضين للنّظام، وتأكّد أنّه تاجر ابن تاجر ماهر في

صناعته، هل يتبع تنظيمًا آخر؟ هذا جائز، ولكنَّ السؤال أين يكون ولاؤه؟ هل هو حلقة في تنظيم؟ وما علاقة "وضّاح" بالتنظيم الآخر؟ إذا كان هناك ثمة تنظيم. هل "وضّاح" هو الممول لهذا التنظيم؟ أم شريك خفي؟ لقد كان "حامد شاكر العابد" في تنظيم تركه لعدم جدوى التنظيم السابق؛ ليكون تنظيمًا خاصًا به وبالمجموعة التي اختارها.

ويريد أن يتأكّد من عمل "المكي"؛ لأنّه والحق يُقال إنّ "حامد" هو الذي يقوم بالصّرف، حتّى تكاليف التّدريب أو شراء بعض المعلومات. ولكنّ الصّور تضمّ "المكي"، والتّسجيلات بالتّأكيد سيظهر فيها صوته فهل...؟ نعم... وقد يريد أن يحمي نفسه ويضغط على المجموعة في حالة محاولة الغدر والانتقال.

ولكن! وهل هناك لكن؟ السؤال هل يكون له الحقّ في هذا التّصرّف؟ أسئلة لا تنتهي للوصول إلى الحقيقة، يحاول أن يجيب عليها من كم المعلومات التي جمعها عنه وليست بالقليلة، علم الآن أنّ "وضّاح" صديق وزميل دراسة لـ "المكي"، ولكن بعد التّخرّج من الجامعة تباعدا ولم يتقابلا إلّا نادرًا.

لكلّ واحد كامل الحرّيّة في التّصرّف الذي يحمي به نفسه على أن لا يضرّ بالمجموعة، فنحن نشاهد العواصف والرّياح، حتّى النّسيم العليل تأخذنا عظمتها، أو الإحساس الجميل بهبة نسيم باردة كانت أم دافئة، ولا نلاحظ ما تحمله من مواد صغيرة عالقة، وإن كان القليل منّا قد يحترف النّظر لهذه العوالق وينفرد بدراستها وتحليلها ليخرج بفرضيّات تزيد من ضخامة علم الطّب والفلك، ولكنها تنير للباحثين الآثار الجانيّة التي قد تخلفها هذه العوالق الصّغيرة، هذه أوّل قواعد اللعبة، أمّا "سعد" فقد قرّر أن يتحفّظ في الكلام، وفي الوقت المناسب يواجه "المكي"، فهو لا يخشى أحدًا البتة، وبعد

الاجتماع سوف يغيب لمدة عشرة أيام أو أكثر لإنهاء مهمته خلف الجسر، وإذا بقي على قيد الحياة ولم يستشهد فعليه العودة للرّياض، سوف تكون عودته في منتصف شهر شعبان، وسوف يصوم شهر رمضان بأكمله في السّعوديّة، أمّا العيد فسوف يقضي بعضًا من وقته في عاصمة المعزّ أرض الكنانة، وبعد ذلك لكلّ حادث حديث.

الخلية 05

ثاني اللقاءات التي جمعت الخلية الأولى في التنظيم كان في خلوة من خلوات أحد المساجد الصغيرة والبعيدة في ضاحية من ضواحي مدينة قندهار الجنوبية القديمة، وقام بترتيب المكان "سعد" شخصيًا، وعندما اكتمل جمعهم.

قال "حامد": جميعنا يعرف ما يجري في وطننا الغالي، والفساد الذي استشرى بين أفراد المجتمع.

مناحي: الحقيقة... تحسّ إن الي خطّط للبلد شخص يكره الإسلام والمسلمين والعرب أجمعين!

ماهر: التّعليم سيّئ، الصّحّة زفت، المواصلات نيلة، ما يُسمّى بالبنية التّحتيّة... تصوّروا حجم الأموال الي اتصرفت على الرّياض، وفقط ثلاث وعشرين في المية من العاصمة الي لها صرف صحّي، وتعتبر الأفضل بين جميع المدن.

مناحي: والرّشاوي، لا وها لحين طالعين بطلعة الرّسوم، بدل ما يقولوا ضرائب ومكوس، يقولوا عليها رسوم، خذ عندك رسوم جمارك، رسوم مخالفة مرور، رسوم دفتر إقامة، رسوم جوازات، رسوم في رسوم والخدمات زي وجههم، ودخل البترول الله العالم وين يروح.

"حامد" ينظر ناحية "سعد" وكأنّه يشجّعه على الكلام: هو دخل البترول وبس، وين دخل بترو مين، ودخل الخطوط الي يخسروها دفترًا عشان العين كلّ سنة، ودخل المطارات، ودخل الهاتف والكهربا... ناس كثير يقولون فيه مجموعة من الطبقة العليا ما تدفع فواتير الكهرباء والماء والهاتف وابن أمّه الي يحاول قطعها عنهم... لا والأدهى والأمر الدّين العام! "سعد" ينظر في عين "حامد" ببلاهة ولا يتكلّم.

ماهر: هذا الدين أكبر نكتة في التاريخ، تصوّر الدول الي اتضرّرت... الكويت نفسها الي تقريباً دُمّرتْ سُدّت ديونها وبنت ديرتها من أوّل وجديد، احنا الدين عندنا كلّ ماله يزداد ما ينقص، زي الرّبا.

عاصم: الحقيقة إنّ الي ضمن العقوبة سييء الأدب.

مناحي: تقصد من؟

عاصم: أقصد المسؤولين كلّهم... لو في شعب صاحي...

ماهر يقاطعه: لا مؤاخذه لو هناك حرّيّة للصحافة، الواحد يقدر يكتب عن الخلل وين، وبعدين ولي الأمر حرّ يحقّق ولا ما يحقّق في الأمر، المهم لا بدّ إنّنا نعرف إنّّه على علم بما يجري، بعد كذا تكون مسؤوليّة أمام الله وأمام الامة، لكنّ السّلطة الرّابعة على قولهم معطلّة.

"حامد" بطريقة يستفز فيها "سعد" للحديث: يعني السّلطات الثلاثة الباقية تعمل صح... يا سيّد.

"سعد" الذي يتبسّم في وجه الجميع دون أن ينبس ببنت شفة، أمّا "ماهر" الذي لاحظ صمت "سعد" ومحاولة "حامد" الفاشلة في جذبّه إلى مائدة الحديث، ينقل نظره بين ملاحظة "عاصم" قليل الكلام و"سعد" عديمه.

أمّا "مناحي" الذي ينتهز الفرصة قال: السّلطات الثلاثة في يد واحدة... السّلطة التشريعيّة والسّلطة القضائيّة والتّنفيذيّة حتّى السّلطة الرّابعة، وزير الإعلام هو المتسلّط على جميع الصّحف والمحطّات التّلفزيونيّة والإذاعيّة والكتب والطّباعة والنّشر والتّصوير، تصوّر محلّات التّصوير ما تقدر تفتح محلّ تصوير، لازم تأخذ تصريحاً من وزارة الإعلام، ودوّخيني يا ليمونة، ورقة من العمدة، وتعهّدات، وتنفلت عليك الهيئة، كلّ شوي جاك واحد فاردّاً زنده. المفروض تكون السّلطات منفصلة لتراقب كلّ سلطة الأخرى،

ما تسمع عن وزير إعلام غير في الدّول المتخلّفة، الإعلام المفروض يكون في يد الشّعب، أو كيه تكون له هيئة عليا منتخبة من الشّعب ليراقب السّلطات الثلاثة الأخرى.

مناحي: لا تقل منتخبة تشبّهن بالكفرة... قل مختارة من الشّعب عن طريق الاقتراع.

عاصم (وهو يتسم على تعليق مناحي): في الأنظمة الملكية دائماً تكون السّلطات في يد الملك.

الجميع ينظر ناحية "عاصم" الذي بدأ يشارك في الحديث علّه يضيف جديداً، ولكن دون فائدة، فقد توقّف حديثه عند هذا الحد.

ماهر: مشكلتنا في كلّ الدّول المتخلّفة، وبالذّات في العالم العربي الدّكتاتورية ملكيّة أم جمهوريّة، وحتى لو كانت جماهيريّة كما سمّاها الزّعيم الليبي معمر القذافي الدّكتاتورية الجماهيريّة.

حامد: لا بس زي نظامنا بصراحة ما شفت ولا سمعت.

عاصم: تصدّق ممنوع تدخّل كتاب إلّا بعد ما يمر على الرّقيب حقّ وزارة الإعدام.

حامد: كلّ العالم العربي كذا... جب لي أيّ دولة عربيّة تستطيع نقد نظامها، وتدخّل الكتاب أو الكاتب البلد، هذا إذا ما أرسلت عملاءها للتّصفية الجسديّة، ترسل سفهاءها لشتمه وإلقاء التّهم عليه في صحفهم وجرايدهم.

مناحي: ولا لك لوا بس فيه دول تسمح بنقد السّلطات، وفي جرائد خصّصة للمعارضة.

حامد: يا سيدي بكرة الإنترنت يغيّر كثيرًا من المفاهيم.

عاصم: المشكلة إن أولاد الذين في وزارة الإعلام يعرضون لك في التليفزيون الانتخابات في دول العالم، ومنها للأسف إسرائيل وبعض العرب الفلسطينيين الي فازوا بمقاعد لدخول الكنيست وكأنَّها بالعناد تقول لنا شوفوا اليهود الي لعنهم الله في كتابكم أفضل منكم، وما يدروا إنَّهم بمثل هذا العمل يَحْرُضون النَّاس على الحكومة، وعلى الأسرة الحاكمة، واحنا يا حسرة علينا الواحد ما يقدر يلبس فانلة مكتوب عليها ارحمونا من البطالة والأسعار الي أصبحت لا تُطاق، ويروح على أقرب سوق، خافين لا يتجمَّعوا عليه كم واحد وتسير مظاهرة.

مناحي: يَحْرُضون مين على مين يا سيد؟
حامد: الأخ ابن الوقاص ولا كأنه معانا.
سعد: معكم في إيه؟

حامد: في الكلام.

سعد: كلامكم كلام في كلام... كلام مجالس... تسمعه في القهاوي حتَّى الولايا في البيوت تلاقيهم جالسين يطقوا حنك زي الي تقولوه... ما به جديد.

حامد: يعني تبغى كلامًا جديدًا ولا تمص مُحَرِّ؟

سعد: بصراحة لو راح نتقابل عشان نتكلَّم في كلام زي كدا بلاش نتقابل أفضل، أنا رجل عملي ما أحبَّ الكلام.

ماهر: والله قلبي حبك من يوم ما شفتك، لو كنت واحدًا من الي أنقذوني من المعتقل كان فديتك بروحي وخدمتك لآخر عمري، بس الرَّجُل الطَّيِّب هذا (وأشار ناحية "المكي") هو الي سمع قصتي وأرسل رجاله وتفاوضوا مع رجال عصابات، ودفع أكثر من نص مليون ريال عشان يخرجني من المعتقل عشان كدا أنا مدين له بعمري.

مناحي: الحقّ مع الذّيب... خلّونا نبدأ في موضوعنا الي جينا من أجله
واتركونا من حشّ الحكومة لا نخفّف من ذنوبهم.

حامد: الحمد لله... أعتقد أنّ الجميع يعرف ليه احنا مجتمعين، واللي ما
يعرف يقول ما أعرف، واللي عنده شيء يقول قبل ما نبدأ.

سعد: شيء زي إيه؟

حامد: يراجع نفسه قبل ما يقول ورّطوني... الطّريق الي راح نمشي فيه
ون وياي يعني ما في رجعة، في روح بس ما في تعال... نو ريتيرن باك معلوم
نو يو تيرن نو إكزيت ما في غير مخرجين واحد الصّدر والثّاني القبر، لنا الصّدر
دون العالمين أو القبر.

سعد: نبي نقسم على المصحف والكفن على الإخلاص لبعضنا كلّ واحد
له كامل الحرّيّة في حماية نفسه بالطّريقة المناسبة على شرط ما تضر بالخلّيّة أو
بأيّ عضو من أعضائها والخائن يعدم من المجموعة.

ماهر: أنا موافق.

مناحي: وأنا موافق.

عاصم: شرحه.

نهض "سعد" وترك الخلوة، وعاد بعد دقائق لا تتجاوز الثلاث ومعه
خمس قطع من قماش الدوت، الذي يستخدم في الكفن، وخمس نسخ من
المصاحف ورّع على كلّ واحد قطعة من القماش ومصحف.

وضعوا المصاحف وقطع القماش في اليد اليمنى، ورفعوا أيديهم ناحية
صدورهم، حيث القلب من الجهة اليسرى، وطلب "سعد" من الثلاثة ما
عدا "المكي" أن يردّدوا خلفه.

سعد: أقسم بالله العظيم وعلى كتابه الكريم، أن أكون أميناً في عملي،
وعلى أسرار خليّتي، مخلصاً ومطيعاً لأوامر رئيسي "أبو سفيان المكي" الذي

تَمَّتْ مَبَايِعَتُهُ مِنَّا جَمِيعًا، أَمِيرًا عَلَى الْجَمَاعَةِ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ امْتِثَالًا لِأَوَامِرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ خَانَ مِنَّا يَحْكُمُ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ بِالْإِعْدَامِ وَيَلْعَنُهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ شَهِيدٌ.

رَدَّدَ الْجَمِيعَ بَعْدَهُ الْقِسْمَ، بَعْدَ ذَلِكَ قَامَ وَعَانَقَ "الْمَكِّي" وَبَايَعَهُ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْجَمِيعَ بَعْدَهُ وَعَانَقُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ طَلَبَ مِنْ "الْمَكِّي" أَنْ يَقْرَأَ الْقِسْمَ أَمَامَهُمْ، اصْطَفَى الْأَرْبَعَةَ وَوَقَفَ "الْمَكِّي" فِي الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ، وَأَخَذَ يَقْرَأُ الْقِسْمَ التَّالِيَّ (أَقْسَمَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَعَلَى كِتَابِهِ الْكَرِيمِ أَنْ أَخْدُمَ هَذِهِ الْخَلِيفَةَ بِكُلِّ أَمَانَةٍ وَاقْتِدَارٍ، وَأَنْ أَحَافِظَ عَلَى كَيَانِهَا مُحَافِظَتِي عَلَى مَالِي وَعَرْضِي وَرُوحِي، وَأَنْ أَقُودَهَا فِي تَقْوَى اللَّهِ مِنْ خِلَالِ مَجْلِسِكُمْ هَذَا بِالشُّورَى كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ ﴿٣٨﴾ وَقَدْ أَشْهَدْتُ اللَّهَ وَأَشْهَدُكُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَاللَّهُ عَلَى مَا أَقُولُ شَهِيدٌ).

تَعَانَقَ الْجَمِيعَ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ وَحَمَلَ "سَعْدُ" الْمَصَاحِفَ، أَمَّا قَطْعُ الْقِمَاشِ فَقَدْ طَلَبَ مِنَ الْجَمِيعِ التَّوْقِيعَ عَلَى كُلِّ قِطْعَةٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ جَمَعَهُمْ وَخَرَجَ وَعَادَ بَعْدَ دَقَائِقَ مِنْ دُونِهِمْ.

مُنَاحِي: فَلْنَبْدَأْ بِاسْمِ اللَّهِ... تَحَبَّبْ نَقُولُ شَيْئًا بِهِذِهِ الْمُنَاسِبَةُ يَا رَيْسَ.
حَامِدُ: زِي مَا قَالَ الذِّيبُ بَلَا كَلَامَ بَلَا خَرَابِيطَ نَبِيٍّ عَمَلٍ، وَعَمَلٌ جَيِّدٌ مِنَ الْبَدَايَةِ.

سَعْدُ: أَوَّلُ شَيْءٍ الْمِيثَاقَ... فِي حَدِّ عِنْدِهِ اسْمُ لِلْحَرَكَةِ.
مَاهِرُ: إِيَّشَ رَأْيَكُمْ فِي وَحْدَةِ الْمُوَحِّدِينَ.
حَامِدُ: عَظِيمٌ هَذَا يَجْمَعُ كُلَّ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ الِي يُوَحِّدُوا اللَّهَ دُونَ تَفْرِقَةٍ لِمَلَّةٍ مِنَ الْمَلَلِ.

عَاصِمُ: إِذَا تَقَصَّدَ إِنِّي شِيعِي.

انتظر الجميع من "عاصم" أن يكمل، ولكنه توقف كالعادة عند هذه الكلمة.

حامد: أنا أمّي وهي أغلى شيء عندي في الدنيا على المذهب الشيعي وأنت تعرف هذا تمامًا، أنا قصدت السنّي والشيعي والصوفي وكلّ من قال لا إله إلا الله محمّد رسول الله، والعملية سياسية دنيوية، لا تدخلونا في متاهات الملل والنحل الآن.

عاصم: أنا ما قصدت تفرقة، أنا أهم شيء عندي نكون دائمًا وحدة واحدة... لأنّ فرقتنا من صالح عدوّنا.

سعد: الميثاق اللي راح نوقع عليه يجب أن يكون واضحًا، عشان ما نختلف.

ماهر: صحيح ليه ما نتفق على نقاط معيّنة أو نعطي الأخ مناحي فرصة يضع مسودة للميثاق وبعد كذا نجتمع للموافقة عليه.

سعد: والعلم!

حامد: أبيض، والنجوم خضراء.

عاصم: نجوم!

حامد: نبدأ بثلاثة وثلاثين نجمة لكل إقليم نجمة، وكلّما انضمّ لنا إقليم نضيف نجمة.

سعد: والنظام؟

حامد: نظام خلافة دستوري... بمعنى بيت الخلافة يشرف على السلطات الثلاثة، وهناك فصل في السلطات حتّى لا تطغى سلطة على الأخرى، فالسلطة التنفيذية سلطة منتخبة من جميع الأقاليم، وكذلك السلطة التشريعية، أمّا السلطة القضائية فهي مختارة من مجلس الشورى أو السلطة التشريعية ويحدّد رواتبهم السلطة التنفيذية.

عاصم: الجيش أهم شيء... الجيش بيد مين؟

مناحي: أنا أفضل أن تكون القوّات المسلّحة في يد الخليفة مع قوّات خاصّة لحماية الخلافة في حالة السّلم، أمّا في حالة الحرب فتتكوّن هيئة حرب برئاسة الخليفة وعضويّة رئيس الحكومة (المنتخب) ورئيس المجلس التشريعي (المنتخب) ورئيس المجلس القضائي الأعلى ورئيس مجلس الإعلام الأعلى (المنتخب) ووزير القوّات، ولكلّ إقليم شرط وأمن داخلي لحفظ النّظام، ولكلّ إقليم حكومة محليّة تقوم على خدمة الإقليم.

ماهر: ليه ما نعرب النّظام الأمريكي؟ ونعمل بدل مجلس الشيوخ مجلسًا تشريعيًا منتخبًا من جميع الأقاليم، ولكل إقليم عدد من الكراسي حسب الكثافة السّكانية للإقليم.

مناحي: بالفعل خليّنّا نترجم الدّستور الأمريكي في الأوّل وبعدين النّظام، نأخذ منه ما ينفعنا ويتماشى مع ديننا ومبادئنا والباقي ننطل به.
حامد: أفضل واحد يقوم بهذا العمل هو "ماهر"؛ لأنّ إنجليزيّته ولغته العربيّة كصحفي ممتازة.

ماهر (بفخر): ما عليك زود يا ريس... واعتبر تلميحك أمرًا... اتركوا لي الموضوع، وفي الاجتماع القادم إن شاء الله تلاقوا الدّستور الأمريكي مترجمًا قدّامكم تختاروا منه ما يحلو لكم، وراح أشرك معي بعضًا من رجال القانون المسلمين اللي يجيدوا اللغتين، ولكن تخصّصهم قانون وفي الوقت نفسه دارسين الشّريعة؛ لكي تكون القواعد معرّبة بالمصطلحات القانونيّة الخاصّة.
حامد: ممتاز خلّونا نوزّع العمل خلال الأيّام القادمة...

سعد: أنا عندي مهمّة... لكن بعد حوالي عشرة أيّام أتفرّغ لمقام مجلسكم الموقّر.

حامد: قلوبنا معك وندعو لك بالتّوفيق.

عاصم: عملية مثل هذي تحتاج إلى تنظيم وتمويل، التنظيم تحديد المهام وبعد كذا توزيعها على الأعضاء، والتمويل بنزين العمل لشراء السلاح، ونقله، وتخزينه، والإيجار لبعض العناصر، شراء سيارات نقل، مصاريف نثرية للعملاء.

مناحي: أنا عندي خطة للتمويل مبنية على قاعدة ميكيا فيلي (الغاية تبرر الوسيلة) فلا تعليق رجاء، أولاً التبرعات عند المساجد، ثانياً، لابد من إدخال مجموعة من الإخوة الباكستانيين والهنود والبنغاليين وخلافهم من أرباب الخبرات في السلاح والمتفجرات، والبعض الآخر في الدعارة والمخدرات، يجب علينا تحويل هذه الأموال وتنظيفها عن طريق فتح استثمارات صغيرة ومتوسطة لأفراد الخلايا في جميع أنحاء البلاد والعالم (نسبى العولمة) الذين يعيدون لنا بعضاً من الأرباح باستمرار وبهذه المبالغ، نقوم بالصرف على ميزانية الحركة السنوية.

ماهر: كلام حلو بس كيف يدخلوا الباكستانيين والهنود وخلافه... مناحي: لا، هذي بسيطة اتركوا لي التفاصيل لأنّ "محمد عبده" يقول كلّ التفاصيل على البال، وأحلى التفاصيل على البال... المهم ترتيب الإجراءات في الأول، يجب حصر الوظائف المطلوبة وعددها، بعد كذا عملية اختيار المؤهلين، البحث عن شركات لها سجل تجاري وما تعمل وهذي يا كثرها عندنا في البلد، بعد كذا أقوم أنا بالعملية، وحلني اللين المباحث تكتشف نكون أرسلنا كلّ عمالنا، وبالتالي نخرج لهم إقامات سليمة رسمية ونزرعهم هناك.

عاصم: ماهر يقصد بخلافه... المخدرات كيف تدخل البلد؟

ماهر: الأخ الجريح حق مزاج.

عاصم: كنت.

مناحي: يعني عندك خبرة.

عاصم: في التعاطي.

مناحي: لا هذي آخر مرحلة.

حامد: بس تقدر تستفيد من خبرته في الأصناف لا يغشوك.

مناحي: ما عندي مانع برغم إننا راح نختار ناس متخصصة في هيك شغلانة، المهم احنا ندبر لهم الدُّخول وهم عليهم الباقي، والجريح وقت وصول البضاعة يتأكد من الجودة والنوعية.

سعد: ورقابتهم... كيف نراقبهم؟

مناحي: لا يبغالي سبورة وطباشير... وأشرح... سيوا الموضوع هذا عليّ.

حامد: خلاص مناحي المسؤول المالي، والصَّرف عن طريقي أنا... موافقين؟

عاصم: أنا موافق.

سعد: كلنا موافقين، بس لازم تكون هناك تقارير مالية نطلع عليها ونوافق على الميزانية.

حامد: بالطبع.

عاصم: وأنا ويش هو دوري.

سعد: أعتقد أفضل دور لي ولك في البداية مخابراتي، نجمع أكبر قدر من المعلومات، والتَّعبئة العامَّة، خاصَّة في المناطق الي تعرفها، وجماعتك ما هو بناقصهم، وغير كذا تدريب الانتحاريين وحرب العصابات، بالإضافة إلى أنَّ الرئيس عَيْنك رئيس اللجنة العليا لمراقبة الجودة والنوعية.

حامد: ممتاز... أجل نقدر نقول التَّالي أنا الرئيس، "سعد أمين" سرَّ الحركة والمخطط، "ماهر" مسؤول عن الهياكل التَّظيمية والتَّسويق

والإعلام، مناحي المسئول المالي، "عاصم" نائب الرئيس ومسئول عن الجناح العسكري.

عاصم: بس لابد لنا رمز نتعرّف به على بعض دون أن يحسّ الآخرون.
ماهر: والله أنا فكّرت في رمز على شكل حلقة وفيها لفظ الجلالة، الحلقة تعبّر عن الوحدة وفي الوقت نفسه ترمز للرقم خمسة، ونحن أوّل المؤسّسين عددنا خمسة، ولفظ الجلالة عن التّوحيد والاثنين مع بعض تمثّل وحدة الموحّدين، يمكن نصنع منها دبوسًا للرّجال، كبك، خاتم، وبالنّسبة للسّيّدات قلادة قرط ونكسب منها، وتعتبر مشروع دخل للاستثمارات الصّغيرة والمتوسّطة الي قال عليها مناحي، وفي الوقت نفسه يعتبرون جماهيرنا، ونكون لوبي نساعد بعضنا البعض في الوظائف والمعاملات دون أن يشعر الشّخص، ودون ما نقول أو نتكلّم، نعمل وبس.

حامد: ممتاز...

سعد: ما شاء الله الأفكار غزيرة.

حامد: على كلّ حال... كلّ واحد يقوم بعمله ويقدم خطّة عمل لثمان تعش شهر قدّام بالكامل واحتياجاته المادّيّة والبشريّة، وأنا راح أعمل ورقة عمل الاجتماع القادم... ويجب على كلّ واحد تكوين خلية من خمسة، وتطلبوا من كلّ واحد يكون خلية من خمسة، المهم يا "ماهر" (خليّتنا) ويش نطلق عليها؟... نبي لها اسم ما يعرفوا أحد غيرنا.

ماهر: صفر خمسة، وبالنّسبة لك أنت صفر خمسة، و"سعد" صفر أربعة، و"عاصم" صفر ثلاثة، وأنا صفر اثنين، و"مناحي" صفر واحد... نفترض "ماهر" الي هو أنا كوّنت خلية من خمسة أشخاص أصبح 025 لأنّي في خليّتي أنا الرئيس، وهكذا تتحدّد الجهة التي تعمل، فالشّخص الذي يحمل الرّمز 023 يكون خلية 235 ليصبح هو رئيسها، فالرسالة أو التّقرير الذي

يحمل الرَّمز (وم 235) أي وحدة موحدين 235 يكون من خلية الشخص الثالث في خلية "ماهر" والأول في خلية الجديدة، وهكذا يكون لنا أرقام، أمّا الأسماء فتجمع في المقرّ الرئيسي في بيانات على الحاسب الآلي بسهولة الرجوع للشخص المطلوب معرفة مَنْ هو؟

غادر الجميع ما عدا حامد الذي انتظر مع "سعد" بناءً على رغبة الأخير في الانفراد معه في حديث خاص.

حامد: خير.

سعد: خير... بس أنا جاني علم ما هو بزين.

حامد: خير... تكلم!

سعد (وهو يخرج الملف والصّور): أبيك تشرح لي ويشو ذا؟

حامد (يتناول الملف) ويتسم: مين أعطاك هذا الملف؟

"سعد" الذي يثبّت نظره على "حامد": هذا ما هو الموضوع؟

حامد: لا بدّ من تسجيل...

"سعد" يقاطعه بحدة: هذا تجسّس ولوي ذراع... أنت تعمل مع مين؟

حيرتني!

حامد: صدّقني... أنا أعمل لصالح المجموعة، بس لازم أضمن ولاء

الجميع، أنت ما في شك من ناحيتك، بس الآخرين!

سعد: إذا كان ما تثق فيهم ليش تورطنا معهم؟

حامد (بهذوء): لازم تفهم أنّ الثقة غير والعمل غير.

سعد: وجدة غير... بس مَنْ هو "وضّاح" هذا؟

حامد: زميل طفولة وأخ شرواك.

سعد: شرواك الطيّب بس لازم تقول لي عنه كلّ شيء.

حامد: أبشر... بس مقابل تقول لي على كلّ شيء.

"سعد" مادًا يده: نتعاهد على كذا أنا وأنت واحد، يجب يكون بيننا خط

دائم مشترك، وماهر؟

حامد: ويش فيه ماهر؟

سعد: أنت اللي خرجته من السجن؟

حامد: هو اللي قال لك!

سعد: المصدر ما هو مهم، المهم المعلومة صحيحة ولا لا؟

حامد: أنت تخوف عندك معلومات كثيرة، أنت اللي تتجسس ما هو بأنا!

سعد: صحيحة ولا لا؟

حامد: صحيحة إذا كان مصدرها موثقًا.

سعد: تعرف الرجال طيب؟

حامد: إيه ونحتاجه، عندك اعتراض؟

سعد: الرجال زير نساء.

حامد: يعني!

سعد: ما تخاف يهدر في الكلام.

حامد: اطمئن. ماهر منا وفينا وما يقدر يعمل شيئًا غير برأي.

سعد: الخمر والشّهوات أعداء الإنسان، وخوفك في جلسة يفرط

السّبيحة.

حامد: لا تخاف وخلقك حريص، إذا شفت منه ولا من غيره شيئًا بلغني،

احنا نتعاهدنا وأقسمنا والخاين مصيره حدّناه أوّل شيء.

سعد: أرواح الرجال في يدك، وما هي لعب، أمانة راح تحاسب عليها.

حامد بحزم: أنا أعرف واجباتي، المهم تقوم بواجبك بكلّ أمانة، وكل

واحد فينا يقوم بواجبه، أي شيء ثاني عندك.

"سعد" وهو يقبل رأس حامد: تصبح على خير يا أمير.

حامد: تصبح على خير.

بعد أن دخل "سعد" منزله في قندهار، ألقى بنفسه بين يد زوجته، وغاب في حضنها يعانقها ويقبلها، وعندما قامت لتعد له طعام العشاء قام لمساعدتها، وبعد برهة سمع طرقًا على الباب، وصوت والد زوجته يتحدث مع صوت يعرفه تمام المعرفة يسأل عنه، تقدّم بهدوء وطلب من "ماهر" أن يتفضّل.

ماهر: سلام عليكم.

سعد: وعليكم السلام.

ماهر: طولت مع الرئيس.

سعد (الذي أصبح يعرف مدى ولاء "ماهر" لكـ "مكي"): إيه.

ماهر: بخصوص الشخص الي نزل مع "المكّي".

سعد: صديق لكـ "مكي".

ماهر: يعني؟!

سعد: يعني طالما أننا واثقين في الرئيس يجب أن لا نخشى أحدًا من طرفه، "المكّي" تهمة مصلحة المجموعة أكثر منّي ومنك ولا كلامي غلط؟

ماهر: عداك العيب يا الذيب.

سعد (مغيّرًا الموضوع): أبيك تتعشى معي وتعلّمني عن عيال العمومة بني إسرائيل ما شاء الله عليك دارس قصتهم.

ماهر: مهنتي كصحفي تتطلّب منّي جمع معلومات عن كلّ قضيةٍ سياسيّة كانت ولا اجتماعيّة، رياضيّة ولا فنيّة، أنا خريج إعلام من الولايات المتحدة الأمريكيّة، وتعرف الأمريكان ما يسمحوا بنشر موضوع اللين تكون عندك معلومات كافية ووثائق، في بعض القضايا المعلومة لوحدها ما تكفي لابد من وثائق، وتؤكد من الوثائق وإلاّ تعرّض المؤسّسة الإعلاميّة الي تعمل فيها

للخسارة، هناك ما في يمي ارحميني ولا واسطة، ولا خلاص يا رجال امسحها في وجهي، ملايين الدولارات تعويض تجريح ولا إساءة، عشان كذا تكون للإعلام مصداقية، احنا نسمع عن فضيحة في أمريكا، جريدة ولا صحفي يسقط رئيس أمريكا أو يؤثر في الرأى العام، خاصّة أوقات الانتخابات.

سعد: ها لحين بني إسرائيل هم اليهود الأصليين.

ماهر: لابد أن نفرّق بين اليهود الذين يؤمنون أنّ اليهوديّة دين وبين ذوي الي تم تضليلهم، أي أن الإعلام ضلّلهم ليعتنقوا ديانة سماويّة، والحقيقة أنّ ديانة بني يهوذا أو اليهود هي الإسلام كما أسلفنا في الكهف، ولم تنزل عليهم ديانة؛ لأنّ الدين عام، وما نزل عليهم خاص بهم ليذكرهم، فالله سبحانه وتعالى قال: ﴿ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ أي الكتاب المقدّس وفيه الوصايا، وحتى بعد موسى

كفروا بما جاء على موسى إلّا من رحم ربك حتّى أرسل الله سيدنا عيسى بينهم؛ لأنّهم أهل كتاب وأن هناك عهداً بينهم وبين الله، وأنزل على عيسى البينات كما أسلفنا أي الحجج والبراهين؛ لأنّهم أصحاب حوار ونقاش ومراوغة، آمن من هداه الله منهم بـ "عيسى" ومن ضلّ فقد ذهب إلى حزب الشّيطان، وتأمروا على "عيسى" حتى رفعه الله عنده، وهم يعتقدون أنّهم قتلوه وصلبوه، والحقيقة أنّه شُبّه لهم كما جاء في القرآن الكريم.

سعد: وبعدين الإنجيل نزل على سيدنا "عيسى".

ماهر: الي نزل على سيّدنا "عيسى" هو البراهين الي تدحض كلام أبناء يهودا، ومنهم من حرّف الكلم عن مواضعه واعتبر اليهودية ديناً من عند الله، وبعد سيّدنا "عيسى" بحوالي ثلاث مائة سنة جاء رجل يُدعى "بطرس"

وهو من عبدة الشَّمس، ويريد أن يهدّي الأمور في المنطقة، فكتب أوّل إنجيل، واعتبر أنّ سيّدنا "عيسى" هو الله وابن الله والروح القدس.

سعد: هذي الي يقولوا عليها الثلاثيّة المقدّسة.

ماهر: جزاك الله خيرًا... ونور عليك هي الثلاثيّة المقدّسة، و"بطرس" هذا باعتباره يعبد الشَّمس، والشَّمس بلغتهم صن، واليوم هو ديه؛ فجعل إجازتهم يوم الأحد أو الصن داي أي يوم الشَّمس؛ حيث إنّ يوم السبت هو إجازة اليهود، وجمع بعضًا مما جاء على "موسى" وبعض قصص ملوك بني إسرائيل ووضعها في كتاب وسماها الإنجيل، وشوّه في حقائق معيّنة، لكي يترك بصمته لمن يبحث في المستقبل عن الحقيقة، والحقيقة التي تعلّمتها هناك في أمريكا أنّه لا توجد حقيقة مسلم بها غير الموت وما عدا ذلك فهي حقيقة ناقصة؛ لذا فقد قرأت التّوراة والإنجيل والقرآن، ووجدتُ بعض التشابه الكبير بين الكتب السّماويّة الثلاثة كما يقولون، ولكنّي أصر على أنّه دين واحد هو الإسلام، لا أقول ذلك لأنّي مسلم، بل لأنّه دين "إبراهيم" و"إسماعيل" و"إسحاق" و"يعقوب" ولو كانوا على غير ذلك لتبعناهم لأنّ "محمّد" عليه الصّلاة والسّلام هو خاتم النّبيين، فلا بدّ أن يختم ما بدأ به غيره من الرّسل، وآمن من آمن بـ "محمّد" عليه السّلام من اليهود والنّصارى وكفر من كفر وتشتّت منهم من تشتّت في الأرض تلاحقهم لعنة الله؛ لأنّهم لا يقومون إلّا بقتل الأنبياء والرّسل وأحقر الأعمال وأسوئها على الإطلاق؛ لذا تجد أنّ الحكام على مرّ العصور، خاصّة في أوروبا عصر الظّلام يستخدمونهم في المتاجرة في الرّقيق، وجبي الضّرائب، والرّبا، بالرّغم من أنّ الرّبا محرّم بينهم؛ فاليهودي لا يراي يهوديًا، ولكن يتعاملون مع الآخرين بالرّبا لأنّهم يعتبرون الآخر عبدًا لهم، خلقه الله لخدمتهم ومتعتهم فقط، مثله مثل البهائم الأخرى، ولأنّهم لا يربطهم بالخالق رابط أو رادع من أي نوع

فتراهم يبحثون عن المال؛ لأنَّه القوَّة التي تحرِّك عجلة الحياة، وبالتالي يستطيعون أن يصرفوا على الأبحاث العلميَّة والدِّراسات فهم يطلقون لفكرهم العنان، وبالتالي يصبح لديهم علماء في معظم العلوم ويسخِّرون العلماء الآخرين من الدِّينانات الأخرى لأغراض البحث.

هل تعلم أنَّ معظم المشرفين على أبحاث الدِّراسات العليا، سواء كانت دورات دبلوم عالي أو ماجستير أو دكتوراه في معظم جامعات الولايات المتَّحدة الأمريكيَّة هم من اليهود، خاصَّة على طلبة العلم من العالم العربي والإسلامي وبالذَّات من السَّعوديَّة؟

سعد: بس القرآن وصفهم بشعب الله المختار.
ماهر: مَنْ آمَن به وأوفى بالعهد، أي مَنْ اتَّبَعَ منهم مِلَّةَ "مُحَمَّد" عليه السَّلام.

سعد: وبعدين كيف وصلوا عندنا هنا فلسطين.
ماهر: القيادات اليهوديَّة كانت دائِمًا في معظم فترات التَّاريخ قريبة من أصحاب القرار في العالم، فقد بدءوا بصناعة القنبلة الذَّريَّة والبنوك الرِّبويَّة وتغلغلوا في العالم الجديد (أمريكا)، وأحسوا قبل غيرهم بتغيير الخريطة السياسيَّة بناءً على قوَّة وضعف المهيمن على العالم في ذلك الوقت وهم الأتراك أو الدولة العثمانيَّة، فأخذ الكره يزداد على اليهود في أوروبا بتساقط الحكومات الملكيَّة والأمارات الصَّغيرة التي كانت تهيِّئ لهم الوظائف الماليَّة وجمع الضَّرائب، فبعد الثَّورة الصَّناعيَّة الفرنسيَّة التي غيَّرت من مفاهيم العالم، كانت تلك الثَّورة تمثِّل الحدَّ الفاصل بين ما سبقها وما هو آتٍ بعدها، واشتعلت الحرب العالميَّة الأولى، هل كان لليهود دور فيها أم لا؟ أنا أنظر للتَّنائج، وغيري يبحث عن الأسباب.

سعد: حلوة الجملة الأخيرة... لا تبحث عن أسباب الحريق شوف نتائج.

ماهر: مَنْ هو المستفيد الأكبر من النتائج؟ هذا السؤال اللي تدور عليه دائماً.

سعد: كل واتكلم.. شكلي ضحكت عليك... عزمك على العشاء وخليّتك تهدر وأنا أكلت عشاك.
ماهر: صدّقني بآكل.

سعد: أجل... كمل سالتك... تصدّق عاد أوّل مرّة أهتم بموضوع بني إسرائيل ذولي، وحظّي جب لي واحد يعرفهم تمام المعرفة كأنّه منهم... عسى...

ماهر: يا خبيث ما تسبب تعليقاتك.

سعد: انتظر حتى أجيب الشاي وبعدين كمل.

ماهر: أنا أبي الحماّم الله يرضى عليك، عشان أغسل يدي من زفرك وأتوضأ.

سعد: هناك... الباب على يدك اليمين.

"سعد" الذي يحضر الشاي وبعض الحلوى، يفكر في ماهر صاحب الوجه السّمح والعلم الغزير واللغة والحضارة ويقع في طمع المال ولا يستطيع أن يكبح جماح رغبته نحو المرأة.

كيف يثق فيه "المكّي"؟

فقط لأنّه أنقذه من المعتقل، ألا يمكن أن يفضح أمرنا في جلسة من جلساته، ويعود لمعاقرة الخمر وبالتالي يهدّد مشروعنا وأرواحنا، بزلة لسان قد تكون بحسن نية أو سوء نية.

ما الفرق؟

ولكن قد يحلّلها مَنْ يعمل في الطّرف المضاد، وبالتالي قد يصل فالكلمة
بداية الطّريق لحلّ اللغز، الكون كلمة ﴿ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ (٣٦)
الكاف والنون حرفان يكوّنان كلمة إذا أراد الله أمراً فإنّنا يقول له كن فيكون.
عاد "ماهر" من الحَمَام ليجد سماور الشّاي جاهزاً، أمّا الحلوى التي
يعشقها فتناول بعضاً منها وبدأ الحديث قائلاً: ما شاء الله... منزلك رائع...
ملك؟

سعد: اشتريت هذا الدّور من رحيمي أبو زوجتي.
ماهر: مبروك... الله يجعله منزلاً مباركاً... عندك عيال غير سعود؟
سعد: لا... بس سعود كفاية... يا رجال صاحبنا... سيينا من المجاملات
كَمَل سالفه عيال العم.

ماهر: زي ما قلنا لما عرف اليهود أنّ دورهم راح ينتهي في أوروبا كانوا
مستعدّين بأسرار القنبلة الذّريّة، والقنبلة الاقصاديّة وهي البنوك الرّبويّة
والقنبلة الفكرية تجربة الشّيعيّة كنظام، فقامت الثّورة البلشفيّة في روسيا
والرّأسماليّة كنظام منافس في الضّفة الأخرى من العالم تنزعها الولايات
المتّحدة، وهربوا أسرار القنبلة النّوويّة إلى الاتحاد السّوفيتي لتوازن القوى
لأنّهم في موقف ضعيف ولا يريدون أن تكون دولة واحدة قويّة تتحكّم في
العالم وبالتالي اليهود، والبدء في البحث عن أرض يعيشون فيها عندما
تطردهم أوروبا، وأطلقوا عليها أرض الميعاد، بدءوا بورقة أصبحت وعداً
وغدت وثيقة صدّرت بعدها معاهدة وتقسّم العالم، ومن ضمن العالم... العالم
العربي أو بقايا الدّولة العثمانيّة التي هزلت وترهلت وتساقطت امبراطوريّتها.
ونتج عن ذلك أن قدّم هتلر لليهود أعظم هديّة في تاريخهم، عندما قام
بحرق بعض من الألمان، واتخذ اليهود تلك المحرقة بأنّها مجزرة ضد اليهود
وما يُسمّى بالسّاميّة، والسّاميّة أول أشكال العنصريّة الأثميّة في التّاريخ

الإنساني؛ فهي تجعل مجموعة من النَّاس أرقى من الآخرين، لا لشيء إلا أنَّهم من هذا النِّسل، فهم شعب الله المختار، أمَّا "هتلر" الذي اعتبرَ اليهودَ ألدَّ أعداء النَّازِيَّة لَأَنَّهُم يتحكَّمون في اقتصاد أوروبا، ويجب طردهم من أوروبا، ظهرَ وكأنَّه أوَّل زعيم في العالم يطالب بوطن لليهود، فأوجدَ مبرِّرًا للإسراع بالاعتراف بدولة إسرائيل على التُّراب العربي الفلسطيني، فقامت بريطانيا بتهجيرهم إلى فلسطين حيث كانت متدبة هناك، وبدأ الفرنسيُّون والإنجليز يخطِّطون للتخلُّص من اليهود بجعل فلسطين أرضًا لهم، وقامت أولى الحروب التي استخدم فيها الإنجليز نفوذهم، بحكم علاقاتهم مع بعض مشايخ العالم العربي في ذلك الوقت وحكَّامه بهزيمة الجيوش العربيَّة التي لم تحارب أصلًا، ولكن أوقفت الحرب بسرعة من قبل هيئة الأمم، وهيئة الأمم هذي لحالها حكاية، فاليهود عشان يحكموا العالم وبالشرعيَّة الدوليَّة قاموا بإنشاء هيئة الأمم بدلًا من عصبة الأمم التي انهارت في الحرب العالميَّة الثانيَّة ولم تستطع عمل شيء، على أن تحمي حقوق اليهود وإسرائيل بصفة خاصَّة، والدليل على كلامي انظر عدد القرارات التي أوقفت بقرار فيتو، يكون اليهود طرفًا فيه، وإسرائيل على وجه الخصوص، وكم قرارًا كان في صالح الدَّولة العبريَّة، الشيء اللي محيِّرني وشاغلني هذا اللي يطلقوا عليه العالم الإسلامي بعدد دوله يعطي الشرعيَّة الدوليَّة للمنظَّمة الأمميَّة التي تتخذ قرارات دائميَّاً ضده. وأعلنت دولة إسرائيل وكان ذلك في ١٩٤٨ م.

سعد: وحرب ١٩٥٦ م.

ماهر: أبدًا... بعد الحرب العالميَّة الثانيَّة ظهر توزيع القوى على قطبين... شيوعيَّة في الشرق ورأسماليَّة في الغرب، بدأ أفول الامبراطوريَّات الأوروبيَّة وانكششت مستعمراتها، وظهور النِّسر الأمريكي والمعول الرُّوسي، سقطت المملكيَّة في مصر وظهر شباب متحمَّس لا خبرة لديه في إدارة دول على مسرح

يغلي بالسياسة، ومنهم "عبد النَّاصر" أو "جمال عبد النَّاصر"، تحمَّسوا لفكرة تأميم القناة فاستغلَّت إسرائيل العملية لصالحها كالعادة، ووافقت بريطانيا وفرنسا على تكوين ثلاثي بإدخال إسرائيل لضمان اللوبي الصهيوني في واشنطن ونيويورك بعدم مساندة مصر، ولكن أُسْقِطَ في يد الثلاثي لأنَّ حسابات العم سام مغايرة لحسابات الثلاثي المرح، وطالبت بتوقيف الحرب والانسحاب وتمَّ تأميم القناة، واعتبره العرب نصرًا ونسوا مَنْ صنعه وتركوا الإسرائيليين يتحرَّكون في شوارع القرار الأمريكي، وترك اليهود ربيبتهم بريطانيا وبقوا مع القادم الأقوى.

سعد: طيب... الأمريكان ما يعرفوا خطورة اليهود عليهم؟

ماهر: الأمريكان لهم مصالح، وإسرائيل لها مصالح، واللعبة بين الاثنين محسوبة على أساس مكسب ومكسب؛ لأنَّ احتمالات اللعبة أنت تعرفها... مكسب... مكسب أو خسارة... خسارة أو مكسب... خسارة أو خسارة... مكسب، فالاثنتين اتَّفَقوا على تكسب أكسب، إسرائيل تروِّض الدَّول العربيَّة لأمريكا بالسَّلاح والمال الأمريكي وأمريكا تسلِّم فلسطين بالكامل لإسرائيل، تبادل مصالح.

سعد: والدَّول العربيَّة؟!

ماهر: حكومات ولا شعوب؟!

سعد: ويش الفرق؟

ماهر: لا... الفرق بينهم كبير.

سعد: كيف؟

ماهر: الحكومات تبي تعيش... كلَّ حاكم عربي يصل للسلطة عن طريق الأصدقاء في واشنطن، وبالتالي عليه العمل على تحسين صورة أمريكا في منطقته وخلق التبريرات لها في غطرستها، كلَّ همَّه أن يموت بطل يدافع

بلسانه فقط، وفي الخطابات أثناء الاحتفالات الرَّسْمِيَّة وغير الرَّسْمِيَّة عن الحرية والديمقراطية والقضية الفلسطينية، أمَّا الشُّعوب فهي كأيِّ شعوب في العالم متهوّرة، عاطفيّة وما عندهم تقدير للمسافة بين الممكن والمستحيل، الفرق أنَّ الشُّعوب العربيّة قامت حكوماتها بكلِّ جهد لتدمير كرامتها ما عدا الشَّعب الفلسطينيّ لظروف الاحتلال والشَّعب اللبنانيّ لأنَّه البلد العربي الوحيد الديمقراطي تقريباً ويتمتّع بحريّة نوعاً ما ولا البقية سلم لي على البند جان على رأي الممثّلة نادية الجندي إشارة إلى أنَّه ما عندك أحد وإذا تبيني أقول لك شعراً عن شاعر قال:

أَفْتَحْ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا فَأَرَى كَثِيرًا وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا

سعد: بس الحكومات العربيّة تقدر تعمل حاجة.

ماهر: أمريكا والغرب أوهموهم أنَّهم هم اللي نصبوهم، وإنَّ أكبر أعدائهم هم شعوبهم جعلوا النَّار داخلية بين الحكومات اللي في يدها وسائل الرَّدع، وبين شعوب تغلي لكن لا تستطيع أن تعمل شيئاً... أنت ما سمعت معاناة أخينا الجريح.

سعد: لا...! كمان الجريح له معاناته؟

ماهر: صدّقني... كلِّ واحد فينا له قصّة ومعاناة، ونحن كذا شريحة من شعب يُعاني.

سعد: يا ساتر... أنا كنت أعتقد أنَّ أهل الجنوب فقط هم اللي يعانون من النِّظام، فقر ومرض وإهمال وبطالة، عشان كذا يُسمُّونا صفر سبعة.

ماهر: لا يا راجل صفر سبعة هذا مفتاح منطقة الجنوب.

سعد: يعني آخر منطقة من المناطق في المملكة.

ماهر: تصبّح على خير، أخذ يغنيّ سرى ليلي سرى ليلي وآه يا ويلي سرى... سرى ليلي.

سعد: إي بالله سرى الليل، بس تبي الحق جليستك لا تمل.
ماهر: ومنك نستفيد.

"مناحي" الذي أخذ على عاتقه عمل خطة شاملة لتمويل التنظيم، بدأ عملية اتصالاته لتكوين شبكة دولية لغسل الأموال، وعمل على دراسة احتياجات الوطن من هذه المجموعة لتهديب المخدرات وتوزيعها، ليس هذا فقط بل أيضاً الأعمال الصّغيرة والمتوسطة التي يمكن تمويلها من هذه الأموال وإعادة غسلها لتمويل التنظيم من جهة وشراء الأسلحة من السوق المحلي من جهة أخرى، أمّا تلك التي يتم شراؤها من خارج الحدود فيجب أن تمول من بلد المصدر، حيث إنّ أموال التنظيم يجب أن تُستثمر في معظم دول العالم، ومجموعة أخرى من الشباب لنشرهم في المساجد في جميع أنحاء المملكة ودول الخليج المجاورة، قام ببعض الاتصالات في البداية لتصحيح بعض المعلومات التي لديه، غادر قندهار وأتجه إلى الرياض، في مطار الرياض قابله "حمد شلوان" المنسّق مع الشخصية المهمة التي سوف تكون غطاءً لإدخال المخدرات، ولكن الوسيط "حمد" لا يعرف سوى أنّ "مناحي" قادم بمشروع حيوي وضخم لمناقشته مع تلك الشخصية التي رتب معها الموعد، وفي منتصف الليل كانت سيارة أمانيّة فخمة تقلّه من الفندق ومعه مهندس المشروع إلى منزل السيّد (م) الذي استقبلهم أحسن استقبال:

"مناحي" أو "ناجي": "ناجي صالح" طال عمرك من اليمن، والدكتور المهندس "عبّاس ماهر" من مصر.
(م): أهلاً وسهلاً.

عبّاس ماهر: الله يطول عمرك... الموضوع في غاية الأهمية وربحيته عالية جداً، تعرف سيادتك أنّ المملكة عملت طفرة عمرانيّة كبيرة وتحتاج للعديد

من مصانع الدهانات، احنا فكّرنا في صناعة الدهانات في باكستان لأنّ العمالة رخيصة جدّا، وبالتالي نشحن الدهان في خزانات ضخمة، مصنعنا هنا يقوم بالتعبئة فقط في براميل وعلب صغيرة.

(م): الربحية... درستوا الربحية؟

ناجي: بالتأكيد طال عمرك الربحية حوالي ٦٠٪ من رأس المال.

(م): المهم أنا دخلي كم؟

ناجي يتبادل مع "عبّاس" النظرات: نقدر نقول حسب الموسم طال عمرك، بس بين اثنين مليون وأربعمائة ألف إلى ستة ملايين، يعني تضمن دخلاً بين مائتين وخمسين ألف ريال شهريّاً.

(م): بدون زعل أنا ما أفهم في البننس، عشان كذا راح أعمل العقد معكم على أن تدفعوا لي شهريّاً ثلاث مية ألف ريال.

عبّاس: بس طال عمرك هذا كثير؛ لأن في بعض المواسم ما يكون في دخل.

(م): أنا بصراحة ما أبغى أخوض في عمل ما أعرف فيه؛ عشان كذا أنا أبغى ولدًا صالحًا، أعرف أنّي يوصلني هذا المبلغ كلّ شهر وبس، وأنا راح أجيب لكم التصريح والأرض ودعماً صناعيّاً وقرضاً من البنك الصناعيّ، يعني بصراحة أنتم ما راح تدفعوا ولا قرش.

عبّاس: إزاي احنا راح ندفع مصاريف التأسيس طول الفترة لغاية حلّني بأه لما نبيع.

ناجي: أنا ما عندي مانع باعتباري المموّل، بس خايف من حاجة واحدة.

(م): هي إيه؟

ناجي: الجمارك!

(م): ويش فيها الجمارك؟

ناجي: تعرف طال عمرك موظفي القطاع العام والبيروقراطية الي هم فيها، وتعطيل الخزانات لبعض الوقت، والوقت فلوس وبالتالي خسائر، وأنت ما ترضى طال عمرك بالخسائر.

(م): المشروع باسم من؟

عبّاس: باسمك طال عمرك، كلّ شيء باسمك، احنا عقدونا معك، ورقة منك تضمن حقنا بس.

(م): أجل... لا تخافوا... لا تأخير ولا رسوم، كمان أنا راح أجيب أمراً بإعفائنا من رسوم الجمارك.

ناجي: المهم عندي الخزانات لا تتأخر في أرضية الجمارك.

(م): لا تخف، ما في تأخير ولا في تفتيش حتى، المهم أن حقّي ناشف.

ناجي: على بركة الله.

(م): على بركة الله... متى راح تبدءوا إن شاء الله.

ناجي: أعتقد الدكتور "عبّاس" جاهز بالأوراق عشان توقعها طال عمرك، لتقديمها لوزارة التجارة ووزارة الصناعة لاستخراج التصاريح اللازمة.

(م): اتفضلوا العشاء... اخترتوا الأرض؟

عبّاس: إيه... طال عمرك.

(م): عساها قريبة واستثمارية.

"ناجي" يناظر "عبّاس": المهم تكون مناسبة للمشروع.

"حامد" يترك الأوراق المالية التي كان يعمل فيها، رنين هاتفه الثرياً يخرج من أرقامه وحساباته ويحمل هاتفه الجوّال الخاص، يعلم أن المتصل هو أحد أضلاع معيّنة خماسي الأضلاع الذي رسمه بخط يديه، كان صوت "مناحي" في الطرف الآخر: تتذكّر مسرحية البغل في الإبريق؟

حامد: الوالد... الله يرحمه... كلّمني عنها، بطولة تحيّة كاريو كا.

مناحي: بالضبط.

حامد: عنوان المسرحيّة رائع.

مناحي: خيّي الوالدة تدعي لي.

حامد: والله تدعي لك من قلبها بس برضه راح أوصيها عليك وأبلغها عن المسرحيّة، تحيّاتي.

الطائرة الخاصّة المغادرة إلى بيروت من الطيّران الخاص في مطار الرّياض، بها سبعة من الرُّكّاب من ضمنهم "ناجي صالح"، أمّا "جورج" و"ميشيل" أو "مايكل" فهم من لبنان، جورج الذي يحمل الجنسيّة الأرجنتينيّة بالإضافة للجنسيّة اللبنانيّة يتحدّث العربيّة بلكنة أجنبيّة؛ لأنّه من الجيل الأرجنتيني اللبناني الثّاني، أمّا ميشيل فهو لا يزال يحتفظ بجنسيّته الفرنسيّة؛ لأنّ عائلته لانزال علاقتها مع فرنسا قويّة، وهناك شخصيّة أخرى تُدعى (المهم)، أمّا الثّلاثة الآخرون فهم عبارة عن قهوجي، والمسئول عن الملابس، والسّكرتير الخاص للمهم.

ثلاث سيّارات، اثنين مرسيّدس (شبح)، والثّالثة عبارة عن ليموزين كانت في انتظارهم في مطار بيروت، "سامح" الذي كان ينتظر عند باب الطائرة، دخل إلى الطائرة مُرَحَّبًا ويقبّل رأس (المهم).

(المهم): في أحد من السّفارة معك؟

سامح: إيه... طال عمرك.

(المهم): طلّعنا على طول من المطار، واعتذر لهم، ودّي أروح على البيت، تعبان شوي.

سامح: سلامتك طال عمرك.

السَّيَّارَتان المرسيدس تتَّجهان نحو الجبل عن طريق كورنيش بيروت، ركب في السَّيَّارة الأمامية، فيها "ميشيل" و"القهوجي" والمسئول عن الملابس، وفي السَّيَّارة الثَّانية ركب (المهم) في المقعد خلف السَّائق وبجواره "ناجي"، أمَّا "جورج" فقد ركب بجوار السَّائق، أمَّا "سامح" والسكرتير فقد توجَّهوا بسيَّارتهم مباشرة لإنهاء الإجراءات الرَّسْميَّة للجوازات ومعهم حقائب الرُّكَّاب.

امرأتان ورجل كانوا في انتظار الوافدين في الفيلا المبنية من الحجر الرُّسوبي، والمطلَّة على بيروت والبحر في سفح من سفوح الجبل، "سالي" عشيقه (المهم) تقدَّمت إليه، فتحَّ ذراعيه لها، ألقت بنفسها على صدره، وغابا في قبلة طويلة، وأصابع يده اليمنى ترتفع من أسفل فخذاها حتَّى أعلى ردفها، رافعاً معها تنورتها القصيرة جدًّا أصلاً مُظهرة للآخرين لون ملابسها الدَّاخِلِيَّة التَّحتِيَّة، أمَّا يده اليسرى فقد طَوَّقت خصرها مما جعل قدمها معلَّقتان في الهواء، "مناحي" أو "ناجي صالح" الذي يعرف الكثير، شدَّه المنظر، خاصَّة أنَّ "سالي" امرأة بكلِّ معنى الكلمة، فهي بالرَّغم من أنَّ عمرها لا يتعدَّى الحادية وعشرين عامًّا، وهذا ما عرفه من جورج في وقت متأخِّر إلَّا أنَّ شخصيَّتها وكذلك نظراتها تدلُّ على خبرة امرأة عركتها حروب الرِّجال في هذه الدُّنيا العجيبة، دخل (المهم) وعشيقتة دون أن يكلف نفسه بالسَّلام على الرِّجل والمرأة الأخرى، اللذين قاداه و"جورج" إلى الصَّالون الرِّئيسي، حيث قدَّمت لهم عصائر لبنان الطَّازجة، وعربة بها من أنواع المشروبات الكحولِيَّة أرقاها على الإطلاق، وهناك خادمان يرتبَّان المزَّة اللبناني، تقدَّم جورج نحو عربة الكحولِيَّات وقال موجَّهاً كلامه لناجي الذي تعرَّف عليه فقط أثناء الرِّحلة: شو بدك؟

"ناجي" الذي لا يتعاطى الخمر وجد نفسه في موقف لا يُحسد عليه، فهو على استعداد أن يزي، ولكن يتعاطى المسكر! فهذا لا يمكن حتى أن يفكر فيها، وبسرعة البرق قال لـ "جورج": "شكرًا... أنا ودي أشرب، بس لعن الله السكر، حرص عليّ الطبيب أن لا أشرب مطلقًا.

جورج: سلامات بس راح تحرم نفسك من الزحلاوي.

ناجي: يا سيدي... شو ما راح نسهر برّه؟

جورج: وعمنا.

ناجي: الظاهر راح ينام مع القمر ويش يبي بالنجوم.

جورج: احنا كمان راح نجيب قمرّيات، ما تخاف حبيب ألبى ولو نجيب السهرة هنا.

أشار "جورج" للرجل الذي انحنى له مبتسمًا، فطلب منه ترتيب السهرة بالكامل، هزّ الرجل رأسه وانصرف وبعد دقائق كانت هناك فرقة للغناء، وأخرى للرقص وتجهّزت طاولة وضع عليها من الطعام أطيبه ومن الشراب ألذّه ومن الجمال أحسنه ومن الغناء والكلام أعذبه، وبدأت ليلة من ألف ليلة وليلة، الرّاقصة الملفوفة في سجّادة من حرير، يحملها عدد من الرّجال السّمر البشرة، يضعونها بهدوء، وبحركة قد تدربوا عليها كثيرًا، يمسكون بطرف السّجّاد وتندرج الرّاقصة، حتى يتم بسط السّجّاد بالكامل فتظهر الرّاقصة عارية إلّا من ورقة توت صُنعت من قطعة قماش ذهبية اللون على شكل ورق التّوت قد رُبِطَتْ بحبلٍ حريريٍّ دقيق يطوّق قَدّها، ولكي تضمن عدم كشف عورتها ربطَ الحبل بين رديفها العاريتين المكتنزتان ليصل ورقة التوت بحبل الخصر من الخلف، أمّا النّهدان فقد تُركا عن عمد دون ساتر، حرّكت الرّاقصة كلّ حواس الفحولة في جسد "ناجي"، وانتَهزَ الفرصة "جورج" ليقدّم له الكأس تلو الأخرى، ولما أفاق في اليوم التّالي وجد نفسه في سرير

وبجواره تلك الحسناء، حاول القيام ولكن أحسَّ بصداع، تلملت في السرير محاولة فتح عينيها المتكاسلتين من إرهاق السَّهر في ليلة البارحة، قالت في صوت يغلب عليه النَّعاس : تحسَّ بالصداع.

ناجي: بقوة.

الرَّاقصة: بدك شي علاج؟!

ناجي: وين العلاج؟

الرَّاقصة التي قامت تاركة السرير عارية حتَّى من ورقة التوت التي لا يعرف متى سقطت، اتَّجهت نحو الحَمَّام الملحق بالغرفة، وبعد دقائق عادت ويدها بعض الأقراص، وفي الأخرى قنينة ماء من المياه الفرنسيَّة المشهورة: تئبرني.

"ناجي" الذي لم يفق من صداعه حتَّى انتابته الرَّغبة في ممارسة الجنس مع هذه الفتاة، تناول الأقراص من يديها وكذلك فعل بقنينة الماء، ألقي بالأقراص في فمه وتجرَّع بعضًا من الماء ثمَّ أكمل القنينة، وسحب الرَّاقصة التي لم تمنع، وغابا في اللذة المحرَّمة، وناما حتَّى منتصف النَّهار، عندما أفاق توجهَّ إلى الحَمَّام واستحمَّ سويًّا وسألها: ويش صار البارحة؟

الرَّاقصة: تئبرني كنت رائعا.

ناجي: أقصد "جورج".

الرَّاقصة: "جورج" فل بكير!

ناجي: والشَّخص؟

الرَّاقصة: مع حبيبة ألبو لهلا ما خرجوا، بدك تروية؟

ناجي: يعني فطور... إيه بدي ليه ما بدي (محاوَلًا تقليد اللهجة اللبنانيَّة).
قبل غروب اليوم التَّالي كان يحتسي بعضًا من القهوة الاسبريسو في كافيه (لا روج)، عندما وقفت سيَّارة مرسيدس فضيَّة اللون فجأة أمام باب

الكافيه، ترك ورقة من فئة العشرين دولارًا على الطاولة، وهبط الدرجتين بسرعة واختفى داخل السيارة، وانطلقت مخترقة شوارع بيروت منعطفة نحو اليمين تارة ونحو اليسار أخرى لملاحظة إن كان هناك من يتبعهم، ولما اطمئن السائق لعدم وجود من يتبعهم توجه نحو جنوب بيروت، وفي أحد الفيلات الضخمة اختفت السيارة، نزل مناحي بعد أن فتح أحدهم الباب مرحبًا، قاده إلى داخل الفيلا، وفي الصالون الرئيسي كان يقف هناك (إلياس) ينتظر قدومه.

إلياس: أهلين وسهلين، بيروت نورت يا عمي.

ناجي: أنت نور الدنيا كلها شمسها وقمرها.

إلياس: لاه... لاه... ولو أنتو البركة.

ناجي: كيف الموسم؟

إلياس: عال... منيح... نشكر الله.

ناجي: ودنا نص الكمية في الملفوف الروسي، والنص الثاني في الخخص الأمريكي.

إلياس: كل ربع كيلو بدنا نحطها في كيس نايلون ونزرعها مع الملفوف موهيك.. كل أربعة ملفوف بكيلو قراس وعليك الحساب... بس الوقت؟
ناجي: الخخص كل ثمان في كيلو لأن الخخص الأمريكي صغير وما نبغا فضايح.

إلياس: أنت تأمر.

ناجي: ونبي المحصول كله طول موسم الملفوف وموسم الخخص.

إلياس: والشخص هلا ما عنده شي خبر هيك؟

ناجي: لسه كل شي في وقته حلو.

إلياس: إي والله بس دخلك هو اللي راح يدفع ما هيك؟

ناجي: هو ضمانتنا.

إلياس: طب خذ لك شي كم كيلو معكم بالطيارة... يا خبي.

ناجي: لمن؟

إلياس: راح يتصل بك واحد.

ناجي: كم الكمية؟

إلياس: شي عشرين كيلو بس.

ناجي: تكلفك نقل بس اثنين مليون ريال.

إلياس: منك لالو تصطفلوا.

ناجي: حبيب ألبى أنا ما أعرف غيرك... تدفع هنا ويكون عربون البضاعة على الحساب، وعطني سند.

إلياس: لك مو على عيني... على راسي يا أمير.

صوت الهاتف الجوال الخاص بحامد يرن، صوت "مناحي" في الطرف الآخر.

مناحي: بلغ الوالدة أنني في بيروت، واشترت اثنين من طيور النغري حلوين.

حامد: تأكدت أنها أصلية.

مناحي: أفا معي في القفص تقولوا تأكد.

حامد: الوالدة في مكة تجيب عمرة وتبغا تشوفك ضروري.

مناحي: أول ما أصل أتصل.

هبطت الطائرة الخاصة القادمة من بيروت في مطار الرياض، المنطقة الخاصة بالطيران الخاص، هبط جميع ركابها، "مناحي" الذي وضعت حقائبه في السيارة، توجه مع السكرتير الخاص لإنهاء إجراءات الجوازات،

بعد ذلك توجّه للصّالة الخاصّة بالشّخصيّات المهمّة، ثمّ مباشرة إلى منطقة الحّمّات؛ حيث قام بغسل وجهه وضبط رابطة عنقه، وخرج في الوقت الذي أنهى فيه السّكرتير الخاص بالإجراءات النّظاميّة للدّخول باعتباره أحد رعايا جمهوريّة اليمن، كانت في الخارج سيّارة من النّوع الـ(بي إم دبليو) الألمانيّة الصّنع، ودّع (المهم) وتوجّه مع سائق السيّارة.

السّائق: الحمد لله على السّلامة.

مناحي: الله يسلمك.

السّائق: وين؟

مناحي: فندق المطار.

السّائق: أمرك طال عمرك.

هاتف السيّارة يرن، السّائق يرفع السّاعة، يقدّم السّاعة إلى مناحي.

الصّوت: الحمد لله على السّلامة.

مناحي: الله يسلمك.

الصّوت: كيف الأمور؟

مناحي: تمام... أنا راح أترك لك الرّسالة مع السّائق، وأنا نازل في فندق

المطار لمّدة ست ساعات؛ لأنّ عندي رحلة إذا حبّيت تمر.

الصّوت: توصل بالسّلامة، الشّريحة الجديدة في الظّرف والتّعليقات

الخاصّة بالاستخدام، طمني عنك لما توصل.

مناحي: إن شاء الله.

هل جمال الحياة يكمن في راحتها؟

ولا نعرف طعم الرّاحة حتّى نتذوّق طعم التّعب، والتّعب في الحياة يصبح

إدماً لمن يتعاطاه متمنطقاً بنظرية ألم اللّذة، وبرهانهم أنّ الحبّ وهو ما نبحت

عنه نجد أنه سبب رئيسي في لذّة الألم، فنحن نغفر أكبر الخطايا والدُّنوب ونبرّرها لمن نحب، بالرّغم من الآلام التي تسبّبها أخطاؤهم لنا، وعندما نكره نفنّد الأخطاء حتّى الصّغيرة منها نضعها تحت المجهر لنبالغ في حجم ضررها علينا، وعندما تحب عملاً تخلص له وتستمتع في إنجازه، بل تبدع في خلق الطُّرق والأزقة ولعبة المداخل والمخارج التي تتوسّطها سلسلة من العمليّات المتعاقبة والمعقّدة، ولكن حتّى هذا قد يسبّب لك بعضاً من لذّة الألم في بعض الأحيان، أيّها الإنسان الذي يعتقد، والاعتقاد هنا الإيمان وليس الظنّ لأنّ بعض الظنّ إثم ولا إثم في الإيمان، إنك تستطيع أن تصنع المستحيل، وأنت لا تعرف المسافة بين المستحيل والممكن، فتقع في شباك واقع بائس في بئر اليأس، يلوّح لك من بعيد خيال مؤامرة صورتها لك عدسة الإحباط المشوّشة أصلاً بتراكبات قادمة من جذور الوهم، غائبة في اللاشعور لتقفز فجأة إلى الشّعور؛ بسبب خطأ في تفاعل كيمياء الجسد الذي بدأت حمّى ردّة الفعل تعصف بخلاياه، حتّى وإن استطعت أن تقرّب تحديد المسافة، ولا نقول تحديدها بالدقّة المنشودة أو المطلوبة؛ فهناك دائماً هامش لخطأ بشري، فهل تتمكّن من أو يمكنك الوقت من نفسه، وإن سيطرت على العامِلين، يبقى العامل الثّالث والمهم وهو عامل السّرعة المطلوبة لإنجاز الممكن من أنياب المستحيل، في تركيبة المثلث الفيثاغورثي والذي يجعل المربّع المنشأ على الضّلع المقابل للرّأوية القائمة يساوي مجموع المربّعين المنشأين على الضّلعين الآخرين، وهذا ما يوصلنا إلى النّواميس الحقيقيّة للطّبيعة التي تفرض نفسها على أنّها ليست داراً للعبادة، بل مختبر تجارب وحقل تطوير وأرشف خبرات سابقة، فالمراقبة الدّقيقة المنظّمة والتّجربة التي تخضع للتّطبيقات التّقنيّة المنطقيّة والرّياضيّة حسابياً للطّبيعة تأتي من طرح السّؤال الصّحيح الذي يحتمل إجابة واحدة صحيحة، أمّا الإجابات الأخرى فهي تجسّد الكذب أو تستند إليه، وبالتالي

فمن المنطق أننا لا نستطيع أن نفهم معنى النقص إذا لم نحدّد بالضبط ما هو الكمال ، فهل ينطبق هذا على معرفة القبح إذا تمكّننا من تحديد معنى الجمال!

تعلن الخطوط السعودية إقلاع رحلتها رقم ١٠٦١ المتّجهة إلى جدّة... على جميع الرُّكّاب المسافرين على متن هذه الرّحلة التّوجّه إلى البوّابة رقم ٣٣... "مناحي" الذي وقف في صفّ ركّاب الدّرجة السّياحية، ليس هو "ناجي" القادم من بيروت في طائرة خاصّة؛ فملابسه الأقل من عاديّة وكميّة التّعب الظّاهر على وجهه وإهماله لذقنه، يدل على الشّقاء والبؤس الذي يعيشه كسعوديّ، بعكس تلك الشّخصيّة التي كانت ترتدي أفخم أزياء وأحذية وعطور الرّجال العالميّة وأغلاها على الإطلاق، قدّم تذكرة دخول الطائرة، ووضع الجزء المخصّص له منها في الجيب الأعلى من ثوبه الذي يدلّ على أنّ مستواه المعيشيّ لا يزيد إلّا درجة عن أولئك الذين يجدون في الكفاف مأوى فرضه عليهم قدرهم، فرضوا بما قسم لهم دون أن يرفضوا ما كتب عليهم، ملتزمين بنظريّة مخدّرة بأنّ (القناعة كنز لا يفنى) حكمة حقّ أراد بها باطلاً... رجل يستغلّ حاجة الآخرين ليسخّرهم ويعيش على جهد عرق بذلوه ليغتني من دمائهم ويصيبهم بالأنيميا من فتات الأجر.

في مطار الملك عبد العزيز في جدّة، هبط من الحافلة الخاصّة بالركّاب، وتوجّه بشيء من الهمة والجدّة نحو تلك الأكشاك التي تخصّصت في تأجير السيّارات، تلملم في وقوفه، أصدر بعض الأصوات التي تدلّ على تشنّجه وتذمّره، قدّم رخصة القيادة وبطاقة الأحوال وورقة نقدية بمائتي ريال كان قد أعدّها سابقاً، وطلب سيّارة صغيرة، جاء خلفه اللاعب المشهور الذي سجّل هدفاً في مرمى هولندا في كأس العالم ٩٤، ترك الموظّف صاحبنا وأخذ يرحّب باللاعب المشهور، تلملم، تنحنح، علّ ذرّة من حياء الحضارة تلفت نظر

هؤلاء (أَنْ مَنْ قَدِمَ أَوَّلًا يُجَدِّمَ أَوَّلًا)، ولكن هيهات، أنهى الموظف أوراق النّجم اللامع، نظرَ باحتقار إلى الموظف، أخذ الأوراق بغضب، وتوجّه إلى موقف حافلات سيّارات الإيجار.

كم هي جميلة ورائعة في هذا الوقت من العام هذه المدينة التي لا تستحي أن تعرض جمالها على شواطئ البحر ليغازلها بأمواجه، ويداعبها بأشعة شمسها الذهبية عند الغروب، تلك هي جدّة عروس بحر ممدّدة على شاطئه، يطرز فستانها الجميل تعاقب عشاقها من المهندسين والفنّانين من أبنائها، تقف بإغراء المتمنّعة الرّغبة أمام عدسة كاميرا مفتونها (خالد خضر) القادم من جبال جنوبها الشّرقى الباردة ليظهر مفاتنها وينشرها على صفحات المجلات وأرصفت الطرقات، الجديد منها يغري القديم المتقيّد بالتّراث، تظهر في وشاح خجل مراهقة بتول وثياب (ثيّب) عركتها الحياة، تمتلك القرار وتعرف طعم الاختيار، لتترك للهائمين بها من الشّعراء والمغنيين سباق التّفقّب في مدحها والوله في وصفها.

انطلقت سيّارته المؤجّرة (المازدا ثلاثة) الفضية اللون اليابانية الصّنع متّجهة إلى مكّة، وعن طريق شريحة الثّريا تحدّث مع الرّيس.

مناحي: أنا قريب من البوّابة تعدّيت التّفقّيش.

حامد: روح مباشرة إلى الحرم العمود التّاسع عشر.

مناحي: أبشر.

حامد: خذ المصحف اليّ تحت المصحف اليّ راح أسحبه.

مناحي: أمرك.

حامد: بدون كلام.

مناحي: أمرك.

الرَّسالة التي تركها حامد توضَّح الشِّفرة التي سوف يتمَّ التَّعامل معها حتَّى إشعار آخر، استلمَ الرَّسالة وعاد إلى مطار جدَّة ومنها إلى تبوك، حيث منزل صديقه الشَّيخ؛ لأنَّه مدعو لقضاء إجازة نهاية هذا الأسبوع مع الشَّلَّة في بيت البحر، فتَح الرَّسالة بسم الله الرَّحمن الرَّحيم... الأخوة الأعزَّاء الرَّجاء الحرص على اتِّباع التَّعليمات وتنفيذها بالدقَّة المطلوبة والمحافظة على سرِّيَّتها وإليكم الشِّفرة التي سنبدأ العمل بها من وقت الاستلام، أوَّلاً ترتيب الحروف الأبجديَّة كالآتي... أبجد هوَّز حطِّي كلمن سعنفس قرشت من الحرف الأوَّل حتَّى الحرف العاشر تقابل الحروف الإنجليزيَّة بمعنى الألف تقابل A، والباء تقابل B، والتَّاء تقابل C وهكذا، أمَّا حرف الكاف فيقابله رقم ١، واللام ٢، والميم ٣، حتَّى الرَّم ٩ المقابل لحرف القاف، نعود مرَّة أخرى من حرف الرَّاء الذي يقابل الحرف L.

مثال: لنكتب "محمَّد" فنكتب كالآتي j3h3 وهكذا، ويجب ترك فراغ بين الكلمات، ويُستحسن استخدام البريد الإلكتروني، الرَّجاء من الإخوة عمل الجدول والاحتفاظ به، والتخلُّص من الرَّسالة... شكراً على تعاون الجميع... التَّوقيع 05.

أخرج الحاسب الآلي المحمول من حقيبتة الخاصَّة، وعلى برنامج الإكسل وضع الجدول، وقد جهَّز جهازه بعد أن طلبَ من خبير البرامج المصري المنبت الأسترالي الجنسيَّة أن يعمل برنامجاً لحلَّ الشِّفرة، عندما توضع الرُّموز مقابل الحروف فيقرؤها، ومن السَّهل بعد ذلك طباعتها أو مسحها أو الاحتفاظ بها.

الدَّاعي وأصدقاؤه المقرَّبون ومنهم "مناحي"، في بيت البحر الواقع على شواطئ البحر الأحمر الشَّمالِيَّة القريية من خليج العقبة، كان الجو صحواً مائلاً للبرودة، الجميع يستمتع بالطَّقس والغناء المنساب من تلك الحنجرة التي لا

تجد أشرطتها في أسواق الغناء، بل تصدح للخاصة والخاصة فقط، "مناحي" الذي يعشق أغاني أم كلثوم تراقص طرباً وأخذ يردد مع الشادي وهو يشدو بمقطع (هل رأى الحب سكارى مثلنا) ولا يقطعه من انسجامه غير رسالة هاتفية وصلت من الخطوط الماليزية تؤكد حجزه من جدة إلى كوالالمبور العاصمة الماليزية على الرحلة رقم ٥٨٠ يوم السبت على المقعد A1.

أحس أن صديقه الداعي يراقبه وهو يقرأ الرسالة الهاتفية، ضغط زر مسح الرسالة، وترك الهاتف وتوجه للحمام ليترك مجالاً لمن يتلصص عليه أن يقرأ رسائله القديمة، ومن زاوية معينة خلف الساتر لاحظ أن أحدهم سحب هاتفه الخلوي وقرأ آخر رسالة قديمة وأعادته إلى مكانه، تأكد "مناحي" من شيئين في الوقت نفسه، الأولى أن صديقه يراقبه وهذا يعني أنه يرتاب في أمره؛ فعليه أن يعمل على تغيير الصورة وإعادة الثقة لنفس هذا الرجل، والثانية من هو برستوس من بين الأصدقاء أو من يعتبرهم المرء أصدقاء، يستخدم في المراقبة من غير العاملين لدى الصديق الداعي، وبالتالي يعرف كيف يتصرف مع ذلك البرستوس أثناء تواجد الصديق أو في غيابه.

في الجناح ٢٠٢٠ في فندق كوالالمبور هليتون كان النزيل "ناجي صالح" يمتع نظره بمنظر أعلى برجين في العالم من شبك صالون الجناح، وبجواره امرأة في العقد الرابع من عمرها متوسطة الجمال، رشيقة القوام، جادة الحديث عن البرجين وتكاليف البناء والمعوقات والفترات الحرجة التي مر بها المشروع وحفل الافتتاح والسياحة في ماليزيا كدولة إسلامية تغوص في جذورها الحضارية لآلاف السنين، وتبحر نحو المستقبل لتكون في مصاف الدول المتقدمة، لم تكن تلك المرأة سوى "فاطمة العطاس" الماليزية من أصول يمنية تتحدث العديد من اللغات، أهمها بالنسبة لصاحبنا العربية والماليزية

والإنجليزية والمالوية والصينية، تعمل كسكرتيرة ومترجمة في الوقت نفسه لرجال الأعمال العرب الذين أخذت أعدادهم في التزايد خلال السنوات الأخيرة، وتقوم بعمل حجوزات لصالات الاجتماعات والتّحضير لأجندة الاجتماعات والانصّالات بالمجتمعين لتذكّرهم بموعد الاجتماع، ولديها فريق عمل من الرّجال والنّساء بسيّاراتهم وأجهزة هواتفهم النّقالة وحاسباتهم الإلكترونيّة النّقالة، ولها علاقات مع جميع الفنادق من ذوات الخمس نجوم لعمل الحجوزات اللازمة في الفنادق في جميع أنحاء العالم وكذلك مع خطوط الطّيران، المطاعم المشهورة وصالات المسارح ودور السّينما والترفيه، العلاقة بين "فاطمة" و"ناجي" تمتد لأكثر من خمس سنوات خلت، حيث قام بتعريفهم على بعضهم البعض مضيف شاب في الخطوط الماليزيّة التقى بـ "ناجي" عند أوّل زيارة لماليزيا، وطلب منه أن يعينه على أن يدلّه على مترجم يجيد الطّباعة وأعمال السّكرتارية فقدّم له أفضل هديّة "فاطمة العطّاس" التي لم يكن لها مكتب، بل كانت تحتاج إلى فرصة عمل تبرز مواهبها، ورأس مال لتبدأ مشروعها، فكانت الفرصة ورأس المال مع القادم من الخليج "ناجي صالح" اليمني الجواز؛ لذا فإنّها تحرص على أن تقوم هي بخدمته ولا تتركه للعاملات الأخريات.

فاطمة: لم تحدّثني عن مجموعة الأعمال التي تريد أن تقوم بها.
ناجي: أريد أن أعمل شركة لتمويل المشاريع الصّغيرة والمتوسّطة عن طريق المضاربة الإسلاميّة.

فاطمة: وهل تبحث عن شركاء؟
ناجي: المهم المستثمرين الصّغار أنا أبحث عن أشخاص جادّين مثلك، لديهم المعرفة والدّراية والخبرة على العمل الطّموح.
فاطمة: في المجال نفسه.

ناجي: لا... لا مجالات مختلفة... نفترض أنَّ هناك فتاة أو شاب محترف
نجارة الأثاث، ويحتاج لرأس مال لبناء ورشة متكاملة، والآخر حدّاد
والثالث ميكانيكي، والرَّابع خيَّاط أو مصمِّم أزياء يريد معملًا لصناعة
ملابس جاهزة ويوظِّف العديد من العاملات المسلمات، وآخر يفتتح معهد
تدريب وهكذا...

فاطمة: هذا جيّد ورأس المال الذي تريد ضحّه.

ناجي: لنقل أنَّنا نبدأ بعشرة ملايين دولار أمريكي كبداية!

فاطمة: ومن سوف يموّل المشروع؟

ناجي: أنا بالطبع!

فاطمة: رائع... لماذا لا نعمل لك مقابلة مع وزير الاقتصاد؟

ناجي: لا... أنا كنتُ أقدر عن طريق الغُرف التَّجاريّة والسَّفارة الماليزيّة
في صنعاء أن أقومَ بزيارة رسميّة، أنا مني من النُّوع اللي يريد هيلمة إعلاميّة
وبروبقندا، أنا وبكلّ تواضع وبكلّ أمانة، زي ما عرفتييني أوّل مرّة، اليوم
نحننا نعرف بعض أكثر من خمس سنوات، أنا ما أريد أن أضيع أجر العمل في
الدَّعاية الشَّخصيّة، أنا أعمل هذه الأمور لوجه الله، وأكسب في الوقت نفسه
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
﴿٢١﴾، وحسب النِّظام والقوانين الموجودة في أيّ دولة لا نريد مخالفة
لِلنِّظام؛ لذا لا نحتاج المسؤولين الذين يهتمهم الإعلام والدَّعاية والإعلان
لحزبهم فقط، وبعضهم يهتمهم الرِّشاوى مقابل مخالفتك النِّظام وأنا ما أشتي
الطُّرق الملتوية، والحمد لله أنا أعمل في النُّور، ومن هنا بالتَّأكيد إنَّ وزير
الاقتصاد وغيره حتّى "مهاتير محمّد" بشخصه راح يعرف من التَّقارير
البنكيّة والتَّراخيص أنَّ هناك مواطنًا عربيًّا مسلمًا سوف يستثمر أمواله بطريقة

إسلامية شرعية للمشاركة في نهضة ماليزيا الاقتصادية، العملية ما تحتاج نطنطة قروود.

"فاطمة" التي تستمع لحديثه تغوص في ذكريات لقائهم الأول، كيف كانت مشاعرها عندما اتصل بها المضيف، وضحكت بينها وبين نفسها كيف سحبها ظنونها بأن القادم من تلك المنطقة لا يطلب إلا امرأة تروي ظمأه، وكانت تتوقع أن تخسر تلك الفرصة مع بقية الفرص التي خسرتها من قبل، برغم أن الوسيط طمأنها بأن الشخص الذي ستقابله يختلف عن الشباب والرجال الآخرين القادمين للمتعة، تذكر كيف أنه طلب منها بعد التعارف مباشرة بطبع بعض الأوراق، والتحضير لاجتماع، وكيف أمّا جلست بجواره ترجم له من أطراف الحديث، وتفاوض بدرجة محترف، أعجب بها فلازمته في أعماله، وكسبت ثقته فأقرضها مبلغاً من المال كرأس مال لعمل مكتب متخصص في مساعدة رجال الأعمال من جميع أنحاء العالم، استهلك مقابل خدمات قدمتها له عن طريق المكتب، والتنازل عن بعضه، تحترم شغفه للعمل فهو لا يرتاح، بل يعمل حتى وقت متأخر من الليل، ويستيقظ باكراً إذا كان هناك موعد زيارة لمصنع أو لحضور اجتماع، برغم أن معظم اجتماعاته المهمة تكون بعد الظهر ليعده الإعداد اللازم.

عادت من ذكرياتها معه في نهاية كلامه عندما قال نطنطة قروود، ضحكا من قلوبهما، نزلا سوياً لتناول طعام الغداء وطلبت من مساعد الرئيس التنفيذي للبنك الذي تتعامل ويتعامل هو معه أن يشاركهما، وما هي إلا لحظات حتى كان هناك رجل يعرف صاحبنا على نفسه "حسن حبيب حبشي" مساعد الرئيس التنفيذي لبنك كوالالمبور الوطني قال: الحقيقة أنا سمعت عنك بس هذي أول مرة أتعرف عليك.

ناجي: لنا الشرف يا أستاذ حسن.

فاطمة: تحب تشرب شيئاً قبل الطَّعام.

حسن: عصير ليمون لو سمحت.

ناجي يحاول كسر الرِّسميّات في اللقاء: أنت خجلان تشرب قدّامنا ولا إيه؟

حسن: لا... بس أنا ما أشرب وقت العمل، ولازم أرجع بعد الغذاء المكتب.

ضحكوا وقاموا إلى بوفيه الطَّعام، أثناء تناول الطَّعام بدأت الحديث "فاطمة" موضَّحة فكرة المشروع، طالبة في الوقت نفسه من "ناجي" أن يصحَّح، إذا كان في شرحها بعض الأخطاء أو البعد عن أهداف المشروع.

حسن: هل قمت بدراسة ميكانيكيَّة العمل؟

ناجي: نعم.

حسن: شراكة ماليزيَّة أجنبيَّة، نظام الاستثمار الأجنبي!

ناجي: لا... شراكة ماليزيَّة - ماليزيَّة.

حسن: كيف؟

ناجي: الشَّريك الإسلامي مع الشَّرَكَات والأفراد الماليزيين هو مكتب "فاطمة" للخدمات، وهي التي توفِّع العقود، فalcقد بيننا كعموليين وبين الشَّريك الماليزي يحتم تملك الماليزي بأكثر من خمسين بالمائة، وبالتالي بإدارة المنشأة، وهنا الخطأ في المنشآت الصَّغيرة والمتوسطة، الإدارة مهمَّة لأنها حجر الزَّاوية في نجاح المشروع، ولكن لو حصلنا نحن كعموليين على الحقِّ الأكبر وقمنا بوضع الأساليب الإداريَّة المطلوبة والرَّقابة المطلوبة، فإنَّ نسبة نجاح المشروع تكون أكبر مع شراكة الشَّريك الماليزي في الإدارة، وقد فكَّرت في أنَّ أفضل طريقة لعمل ذلك دون تغيير النِّظام هو وضع مكتب "فاطمة" كشريك، وبالتالي أكون أنا شريك "فاطمة" بخمسين في المائة، أنا كعمول

وهي كوسيط، يعتبر المبلغ المدفوع من قبلنا كقرض معفى من الأرباح الربويّة، بل يُعاد منه ما قيمته ثمانون في المائة فقط من المبلغ، وبالتالي يحصل مكتب "فاطمة" على ستين في المائة من صافي أرباح المشروع بعد خصم جزء من القرض، وكذلك احتياطي رأس المال.

حسن: وهل تعتقد أنّ هناك مَنْ يقبل؟

ناجي: يقبل لسببين الأوّل حاجته للمشروع، ثانيًا سوف يتملّك المشروع بالكامل بعد ثلاثين عامًا هي مدّة الشراكة، أي بعبارة أخرى حقّق أحلامه بإنجاز ما يرغب في إنجازه خلال فترة مقدّره على العمل، وترك لورثته مشروعًا قائمًا يقيهم شرور الفاقة.

حسن: هل قمت بعمل دراسة للجدوى الاقتصادية؟

ناجي: بالتأكيد.

حسن: ما هو دور البنك؟

ناجي: سوف نفتح حسابًا في بنكم بمبلغ عشرة ملايين دولار أمريكي، وسوف نقوم بتدوير هذا المبلغ، بمعنى أنّه ستكون أموالنا في الأسواق الماليّة المالبزيّة في محافظكم البنكيّة، وفي الوقت نفسه سوف تقدّمون لنا تسهيلات تقدّر بعشرين في المائة من أصولنا تكون سحبًا على المكشوف لتمويل المشاريع التي يوافق عليها مكتب الدّراسات الذي سوف نعيّنه لمراجعة المشاريع، فالمشاريع التي يوافق عليها المكتب المختص، يراجعها القسم المتخصّص في البنك، وله الحقّ في كتابة ملاحظاته فقط، ولنا القرار في التّمويل من عدمه على أن يكون هذا القسم مكوّنًا من خبيرين يختارهم البنك ويقوم مكتب "فاطمة" بدفع رواتبهم وامتيازاتهم، فالبنك مسؤل عنهم فنيًا وإداريًا، ولكنّ رواتبهم وعوائدهم الماليّة يحدّدها مكتبنا، واسمحي لي يا سيّدتي أن أقول مكتبنا.

"فاطمة" التي لم تكن تتوقع أن تكون شريكة في مشروع حيوي بهذا القدر قالت في نوع من التشجيع الخجول: بالتأكيد يا شيخ ناجي... وعلى فكرة يا أستاذ حسن المبلغ قد يرتفع إلى مائة مليون دولار أمريكي حسب الطلب وحسب السوق... ونحن على استعداد لمقابلة فريقكم في أي وقت لدراسة أوراقنا المتكاملة من جدوى وميكانيكية العمل والأنظمة والقوانين، المطلوب منك الآن الذهاب إلى مكتبك ومن ثمّ التحدّث مع رئيسك، وإعطاؤنا الضوء الأخضر للخطوة الأولى.

أخرجت بطاقة العمل الصغيرة الخاصّة جدّاً، والتي تحمل جميع وسائل الاتصال بها وقدمتها لـ "حسن حبيب" الذي قدّم بطاقته الخاصّة، واحدة لها بالمقابل والثانية لـ "ناجي صالح"، واستأذنَ لعمل اتّصال هاتفي وذهبَ لنقطة الحساب في المطعم وسدّد ببطاقته الائتمانيّة تكاليف وجبة غذاء العمل. عشرة أيّام من العمل المتواصل تخلّلها محادثات بالهاتف مع مجموعة أخرى في إندونيسيا تكلّلت بالنجاح حسب ما خطّط ورسم مهندس عمليّات تمويل الحركة الشّيخ "ناجي صالح" أو "مناحي" الذي اتّصل بالرئيس وأبلغه أنّ العمليّة الأولى تمّت بنجاح وهو في طريقه لإندونيسيا لوضع حجر الأساس للعمليّة الثانية التي لن تستغرق وقتاً طويلاً؛ نظراً لاقتران المجموعة هناك بالعمل، وهكذا لم يبقَ في جاكارتا أكثر من يومين كانا كافيين لتدشين حفل افتتاح المشروع.

مطار كراتشي وفي زحمة القادمين والمغادرين، كان "ناجي صالح" في صالة كبار الزوّار ينتظر مع صديقه "خليل الرّحمن أكبر خان" إنهاء إجراءات الدّخول والتّفتيش الرّسمي على الحفائب، انتقل مع خليل من نقطة إلى نقطة أخرى للتعرّف على القيادات التي سوف تقود الجامعات السّعوديّة

ومقابلتهم المقابلة الشخصية الأخيرة التي ستحدّد على ضوءها المجموعة المختارة وذلك لإنهاء إجراءات سفرهم.

بعد أسبوعين من الفرز النهائي اتّصل "ناجي" بـ "خليل" لكي يطمئن على سير العمل.

ناجي: السّلام عليكم.

خليل الرّحمن: وعليكم السّلام.

ناجي: خبرني آخر الأخبار؟

خليل الرّحمن: تمّ طلب التّأثيرات على حوالي مائة مؤسّسة فردية مختلفة ومنتشرة في جميع المناطق، وعدد التّأثيرات ألف وثمانمائة وخمسة وأربعون بين موظّف وعامل.

ناجي: هل هذه المعلومات دقيقة وصحيحة؟

خليل الرّحمن: نعم.

ناجي: جميع المؤسّسات من المؤسّسات المطلوبة؟

خليل الرّحمن: نعم.

ناجي: كيف تأكّدت من المعلومات؟

خليل الرّحمن: من خلال طرف داخل القنصلية تمّ حصر المؤسّسات، ومن خلال صديقنا في وزارة التجارة تأكّدنا من مواصفات المؤسّسات.

ناجي: هل قمتم بترتيب العقود؟

خليل الرّحمن: نعم، لقد تمّ ترتيب العقود باللغتين العربيّة والأوردو بين المؤسّسات السّعودية والأفراد، وقد تمّ فرز كلّ مجموعة على حدة.

ناجي: هل تمّ استلام الجوازات والشّهادات الصّحيّة والأوراق الرّسمية اللازمة لإنهاء الإجراءات؟

خليل الرّحمن: نعم، لقد تمّ استلام الجوازات وجميع الأوراق المطلوبة.

ناجي: اعذرني يا "خليل"، لكن لا بدّ أن أتأكّد شخصياً أنّ الإجراءات لهذه العملية تمّت حسب النظام؛ لذا أتمنّى أن لا تغضب من أسئلتني.
خليل الرحمن: بالتأكيد يا سيّد "ناجي" لك كلّ الحقّ في التّأكّد من عملك لأنّ العمل أمانة.

ناجي: هل تمّ إدخال الأوراق للقنصلية؟
خليل الرحمن: نعم، لقد تمّ إدخالها للقنصلية عن طريق مكتب "بشاور" للتّخليص.

ناجي: والنتيجة ما هي النتيجة؟
خليل الرحمن: صدّقني أخوي "ناجي" النتائج جيّدة، لقد تمّ إصدار التّأشيرات على جميع الجوازات دون استثناء.
ناجي: يجب تدبير اجتماع مع الثّمانية عشر قائداً في الأوّل قادة الأخضر.
خليل الرحمن: أين؟ ومتى؟
ناجي: أنا موجود في كراتشي نجتمع أنا وأنت في الحديقة.
خليل الرحمن: بعد منتصف الليل.

في واحدة من أحد حدائق كراتشي العامّة، التي تقع في أطراف حي يسكنه جمع من مجموعة متطرّفة وتعتبر "خليل الرحمن" واحداً من أهمّ الأشخاص الذي يقوم بالتبرّع لمدارسها؛ لذا فإنّ حمايته وصديقه اللذين سوف يلتقيان في الحديقة ساهمت في تطوّر العديد دون أن يعلموا أنّ هم المجتمعون لحماية المنطقة من أيّ متطفّل، وصل "خليل الرحمن" في عدد من حرّاسه ورجاله، انتظر في المكان المحدّد وما هي إلّا دقائق، وإذا بشبح رجل يتحرّك نحوه عرف من مشيته أنّه (عالم رشيد) السّائق الخاص لـ "ناجي" تقدّم عالم وهمس في أذن "خليل الرحمن"، الذي تبعه بعد أن أعطى إشارة لحرسه للبقاء في أماكنهم وحماية المنطقة، وفي زاوية من الحديقة وجد صديقه "ناجي".

خليل الرحمن: السّلام عليكم.
ناجي: وعليكم السّلام... هل بلغت الثّمانية عشرة؟
خليل الرحمن: كلّهم موجودين وراح نطلبهم حسب رغبتكم.
ناجي: بالنّسبة للعمليّة إيش الأخبار؟
خليل الرحمن: بعنا حوالي ثلاثة آلاف تأشيرة، وجمعنا حوالي ثلاثة ملايين دولار.

ناجي: ليش بكم بعنو التّأشيرة؟
خليل الرحمن: بألف دولار.
ناجي: السّعر في السّوق بثلاثة آلاف، تقول ألف.
خليل الرحمن: بس...
ناجي: اسمع يا "خليل" الشّغل شغل.
خليل الرحمن: بس دولي محترفين.
ناجي: خذ من كلّ واحد محترف ألفين، والباقي ثلاثة يعني في حسابك على الأقلّ ستّة سبعة ملايين دولار.
خليل الرحمن: حاضر.
ناجي: ممتاز، والختم؟
خليل الرحمن: تمّ استبدال الختم الرّسمي للسّفارة بالآخر المزيّف.
ناجي: يعني السّفارة هي اللي تزور التّأشيرات وتأشيراتنا احنا هي الصّحيحة.
خليل الرحمن: نعم.
ناجي: ممتاز... ممتاز خليل تفاوضت مع رجال الشّمال على موضوع المخدّر؟

خليل الرحمن: نعم... عملنا عقدًا بثلاثة ملايين دولار عائداتها في المنطقة ثلاثين مليون دولار بعد خلطها.

ناجي: ولكن نحتاج لسيولة.

خليل الرحمن: لا تخف سوف نحوّل لحسابكم في البرازيل مبلغ اثنين مليون دولار.

ناجي: أبي أربعة ملايين كاملة... متى؟

خليل الرحمن: غدًا إن شاء الله.

ناجي: ممتاز وباقي المبلغ؟

خليل الرحمن: عندما تصل البضاعة وتُباع سوف نسدد الاثنين مليون دولار ونرى كيف السوق.

ناجي: هل قادة العمل في المناطق جاهزين؟

خليل الرحمن: بالطبع، هل تريد الحديث معهم؟

ناجي: أنا أفضل عدم معرفتهم لشخصي، وأن يكون اتصالهم مباشرة معك.

خليل الرحمن: أنت المدير والي تريد نحن ننقذ فقط.

ناجي: هذه الطريقة أفضل، والاتصال بيني وبينك على الهاتف والرقم الخاص لا تستخدمه إلا بالاتصال بي فقط أو عن طريق النّت.

خليل الرحمن: وبالنسبة للمتخصّصين في الأسلحة والمتفجّرات؟

ناجي: في كلّ منطقة من المناطق ترسل قائدًا، والجميع يكونون على علاقة مع القائد، وسوف تأتيك المعلومات الخاصّة بالمرجع في كلّ منطقة على حدة.

خليل الرحمن: إن شاء الله.

ناجي: غودا حافظ.

خليل الرحمن: غودا حافظ.

"ناجي" وهو في طريق عودته إلى محلّ إقامته بعد أن ودّع خليل الرّحمن أخرج هاتفه الخاص واتّصل بحامد ليبلغه آخر الأخبار.

ناجي: استلمنا ستّة كيلو دخن، أربعة راحت المغسلة واثنين زرعهناه.

حامد: والحصاد؟

ناجي: موسم الدّخن ما بين خمسة لستّة شهور حسب المناخ.

حامد: ممتاز.

ناجي: سلّم لي على الوالدة وطمّنها.

حامد: ودّك نجمع العيلة؟

ناجي: طيب فكرة جيّدة.

حامد: متى الوقت المناسب لك؟

ناجي: بعد ثلاثين يوم عشان فروع المغاسل.

حامد: خلاص أنسّق مع إخوانك وأخواتك وأشوف ظروفهم وأكلّمك.

ناجي: باي.

حامد: بالاي.

الطّائرة المتّجهة إلى برازيليا البرازيل من مطار هيثرو في لندن، وعلى الخطوط البريطانيّة كان الرّكاب الذي يحتلّ المقعد A1 في الدّرجة الأولى هو رجل أعمال عربيّ يمّني يُدعى "ناجي صالح" الذي وضع حقيبة يده في الخزانة الخاصّة بالحقائب فوق رأسه بعد أن أخرج منها كتابًا باللغة العربيّة عبارة عن رواية بعنوان (سمرقند) لأمين معلوف، لم تكن هذه المرّة الأولى التي يقرأ فيها لهذا الكاتب، فقد قرأ له رواية (ليون الأفريقي)، ولن تكون الأخيرة بعد أن قام بشراء مجموعة من مؤلفات هذا الكاتب، ولم تكن هذه الرّحلة هي الأولى التي يسافر فيها إلى البرازيل، ومن مطار هيثرو البريطاني

بالذات، ولن تكون الأخيرة بالتأكيد طالما أنَّ "مناحي" أو "ناجي صالح" يتمتع بصحة جيدة ويملك حرية التنقل.

في المقعد B1 الذي بجواره أو بالتدقيق عن يمينه، جلست امرأة تبدو في نهاية العقد الثاني أو بداية العقد الثالث، طويلة سمراء اللون أقرب إلى الجيل العاشر أو الحادي عشر من الأفارقة الأمريكيين أو الأوروبيين كما يقولون، فالأنف بدأت فتحاتها تضيق وتحوّل إلى الأنوف الرومانيّة أو الغرب آسيويّة، وكذلك الشفتان فقد أصبحتا رقيقتان مكتنزتان تماثل تلك الشّفاه في أواسط أفريقيا، أمّا الهيكل العظمي والذي يتمتع ببناء سليم؛ ممّا يبرز جمال الكسوة من اللحم والجلد الناعم الذي تتمتع به هذه الفئة من خلق الله من البشر، قد اختلط لونها لتصبح كمية الحليب في هذه الخلطة أكثر من لون الشيو كولالة السوداء جعلت تلك السيّدة فيها من الجاذبيّة ما تلتفت له أعناق الرّجال، خاصّة إذا كان أحد أولئك الرّجال هو "ناجي" أو "مناحي" الذي يفخر دائماً بأنّه من القليل من الرّجال الذين يحترمون المرأة ويقدّرون قدسيّتها ويتشرّفون بخدمتها والعمل على تحقيق رغباتها مهما كانت هذه الرّغبات أو الرّغبات، ومهما أشقته هذه الخدمات حتّى لو لم يكن هناك مقابل، كان يعزّي نفسه دائماً بأنّه سيجد أجر ذلك في القادم من بنات حواء، عندما انتهت من ترتيب حاجاتها بادرها قائلاً باللغة الإنجليزيّة: مساء الخير. تبسّمت فظهرت أسنانها البيضاء المرصوفة كصفّ جنديّ باكستانيّ في استعراض عسكريّ يزيمهم الأبيض النقيّ يؤكّد لك أنّ دعاية معجون الأسنان ليست زائفة، ولكن يمكن أن تكون فاعلة إذا داومت على استخدامها، وأومات برأسها فكأنّها ردّت على تحيّة دون أن تتحدّث، قال بعد أن بهره بريق أسنانها:

ناجي: ممكن أسأل سؤالاً؟

السَّيِّدَة: لقد سألت!

أعجبَ بسرعة بديتها وقال: أقصد هل أستطيع أن أسأل سؤالاً آخر.

السَّيِّدَة: لقد سألت السؤال الآخر.

"ناجي" الذي بدأ عليه ارتباك خبير في خلق مثل هذه الظروف من الحديث قال: فقط أريد أن أعرف ما هو نوع معجون الأسنان الذي تستخدمينه؟

تبسَّمت ابتسامة صفراء وكأَنَّها تسمع مثل هذا الإطراء عدَّة مرَّات في اليوم، وكأَنَّها تقول لصاحبنا أنَّ هذه الطَّريقة لسحبها في الكلام قديمة ومملَّة من كثرة استهلاكها، فهل هناك جديد؟ شعر بإحراج فعلاً، ولكن لم يثنِ هذا صاحبنا عن مواصلة الحديث بهدوء.

ناجي: حقيقة أسنانك رائعة وبالتَّأكيد أنَّ الكثير أبدى إعجابه بها؛ ممَّا سبَّب لك قلقاً على بقيَّة جمالِك، ففمك الذي يمثِّل وردة حمراء من لحم ودم، وأنفك المستل كأنَّه سيف هندي ملقى على قطعة من خشب الأبنوس الأفريقي، وعيناك الواسعتان اللتان لا يختلط سوادهما ببياضهما بالرَّغم من تلاهما في بوتقة واحدة ممَّا يجعلها كما نقول نحن في ديارنا حور، وهذا من حقِّك فالجُميلات من أمثالِك أصبحنَ نوادر؛ ولذا يتعرَّضنَ دائماً للمتطفِّلين من أمثالي الذين يتمنُّون أن يتلقَّوا حتَّى ابتسامة رضا مقابل إهدارهم لكرامتهم، ولا أعتقد أنَّ هذا كثير.

يتحدَّث الإنجليزيَّة بلهجة أهل لندن وبطلاقة، وهي لا تخفي إعجابها بمغازلته أو لهجته، عيناها تتحدَّثان، يدها تتحدَّثان، جسده يتحدَّث ليقنع الفريسة ويربكها، إنَّه يقول الصَّدق ولا شيء غير الصَّدق، وبالفعل فقد بدا عليها الخجل من تصرُّفها.

قالت بخجل: أنا لم أقصد...

وقاطعها: حتّى لو قصدت ذلك فهذا لن يقلّل من جمالك ولن يخبئ المكان الذي أتيت منه.

السّيّدة: وهل تعرف المكان الذي أتيت منه؟
ناجي: ومَن لا يعرف... أسألي أيّ شخص في الطّائرة وسوف يجيبك الإجابة الصّحيحة.

السّيّدة: ومَن أتيت؟
ناجي بكلّ جدّيّة: بالتّأكيد من الجنّة، فهذا الجمال وهذه الجاذبيّة لا يمكن أن تكون صناعة أرضيّة.
السّيّدة: الحقيقة لأوّل مرّة أسمع مثل هذه الجملة، أنا اسمي (مايا) بريطانيّة الجنسيّة جذوري من البهامز.

ناجي: صدّقيني لو سألتني عن اسمك لأجبتك!
السّيّدة: كيف؟ هل تعرفني؟
ناجي: بالتّأكيد لا... ولكن إذا لم تكوني من الملائكة، فلا بدّ أنّك من آلهة الإغريق، وبما أنّك أنثى وبهذا الجمال والجاذبيّة فلا بدّ أن تكوني (مايا) إله الحبّ والخصوبة.

السّيّدة: وهل تتوقّع أن أدعوك كيوبيد ونغرق في آلهة من نسج الخيال؟
ضحك وعلّق: لا... ممكن أن تكوني واقعيّة أكثر منّي، وتناديني باسمي "ناجي"... ناجي صالح برازيلي الجنسيّة منبتي من اليمن.
مايا: سيّد صالح...

قاطعها "ناجي": من الأفضل أن تنادينني "ناجي" باسمي الأوّل وإلاّ من يسمّعك يظنّ أنّك تتحدّثين مع رئيس الجمهوريّة وتبلسينا مع الحكومة، أنا أقولك "مايا" بدل سيّدة وأنتِ قولي "ناجي".
مايا: أنا آنسة.

ضحك وعَلّق على كلامها بعد أن ترجم كلامها في عقله: وأنا آنس على وزن عانس.

مايا (التي لم تفهم): لم أفهم؟

ناجي: أقصد حتّى أنا أعزب لم أتزوَّج حتّى الآن.

مايا: والخاتم؟!

ناجي: لا... هذا عادة فقط.

مايا: أنتم العرب حتّى في هذه مراوغين.

ناجي: هل نبدأ في الحديث عن السّياسة أم العنصريّة؟

مايا: عفوّاً لا أقصد الإهانة.

ناجي: أنا أفخر أنّي عربيّ فأين الإهانة هنا؟

مايا: أقصد كلمة عنصريّة!

ناجي: بالطبع أنتِ جذوركِ من البهامز، ولكنّكِ بريطانيّة الجنسيّة

وتفتخرين بأنّكِ بريطانيّة، وأنا عربيّ من اليمن ولكن برازيلي الجنسيّة، فلماذا نتحدّث عن العرق.

مايا: هل تعيش في برازيليا؟

ناجي: ماذا تعني من كلمة تعيش؟

مايا: أقصد عملك.

ناجي: أعمالي في جميع أنحاء العالم.

مايا: رجل أعمال؟!

ناجي: تاجر.

مايا: وما نوع تجارتك؟

ناجي: وسيط.

مايا: في أيّ مجال؟

ناجي: جميع المجالات تعتمد على العرض والطلب في أنحاء العالم.
مايا: إذا أنت تسافر كثيرًا.

ناجي: جدًا.

مايا: هل تشعر بالملل؟

ناجي: بعض التعب في بعض الأحيان.

مايا: السفر متعة.

ناجي: والحياة عمل ومتعة، فإذا دمجت العمل مع المتعة ضاع الاثنان،
ولكن إذا عرفت كيف تتعاملين مع الطرفين فقد أرضيت النفس.
مايا: تعجبني فلسفتك.

ناجي: وهل تستفيدين منها في عملك أم في حياتك الاجتماعية؟
مايا: في الاثنين.

ناجي: وما هو عملك؟

مايا: لدي مصنع للملابس الجاهزة.

ناجي: أين؟

مايا: في تايلاند.

ناجي: آنسة من جزر البهامز بريطانية تملك مصنعًا في تايلاند ومسافرة إلى
برازيليا واسمها "مايا" هل هذه أحجية؟

مايا: لا... فأنا أبيع إنتاجي من الملابس لتجار برازيليين.

ناجي: زيارة عمل؟

مايا: نعم.

ناجي: بدون متعة!

مايا: صديقي ينتظرنني في المطار.

ناجي: أنا أراهنك أنه أسعد إنسان في الدنيا.

مايا: وأنا أراهنك لو سألته راح يقول لك إنِّي أنا أسعد امرأة في الدنيا.
ناجي: هل هو بهذه التَّرجسيَّة؟
مايا: وهل أنا بهذه السَّذاجة؟

ضحكا حتَّى أزعجا الرَّاكب الذي كان يشخَّر خلفهما.

في فندق برازيليا هيلتون وفي زاوية من زوايا صالة الاستقبال الضَّخمة كان "ناجي" يجلس مع شخص غريب، وكأنَّهما ينتظران أحداً ما، القلق بدا ظاهراً على الغريب الذي كان يقوم ويتجولَّ في الصَّالة ينظر ببلاهة ويتفرَّس في أوجه نزلاء أو ضيوف الفندق، ومن ثمَّ يعود مرَّة أخرى، ينظر إلى ساعته الرَّولكس المذهَّبة، ينفخ في سيجاره الكوبي، يرشف بعضاً من الفودكا، يحرك قدمه اليسرى بعصبية.

"ناجي" الذي يختلس بعض النظرات إليه من خلال مجلَّة التَّايمز التي اختارها من مجموعة المجلَّات التي عرضت عليه في الطَّائرة، لم يحاول أن يخفَّف أو يزيد من توتر ذلك الغريب الذي يبدو وكأنَّه من المكسيك أو من أحد سكَّان أمريكا الوسطى، بل كان يراقب عصبية بشيء من البرود الذي تعود عليه في صالات الانتظار في رحلاته من مطار إلى قطار، يستغل الوقت في القراءة أو العمل على حاسوبه الشَّخصي أو التَّحدُّث مع الغرباء، خاصَّة الجنس النَّاعم منهم، وهذا منبع نهر يزيد من ثقافته، بالإضافة إلى خبرته العمليَّة في هذا المجال وغيره من المجالات المشابهة أو المكملَّة لعمله، وهما على هذه الحالة رنَّ هاتف الغريب الخلوي، لم يفهم صاحبنا أيَّ شيء من طرف الحديث في بداية المحادثة، ولم يكلف نفسه المتابعة أو الإصغاء لما تبقى منها خاصَّة وأنَّ الغريب بدأ يتحرَّك بعيداً عن سمع الجميع ويتحدَّث بصوت خافت، وبعد نهاية المكالمة عاد الغريب بعد أن عاد له بعض من هدوئه الذي

فقدته حتّى ما قبل المحادثة الهاتفية، وقال موجّها الحديث لناجي: يا سيّد
"صالح" لقد تغيّر مكان اللقاء.

ناجي: أين؟

الغريب: سوف نسير بالسيّارة في الشارع وبعد ذلك نتبع أحدهم.
"ناجي" الذي تعود على هذا النوع من التصرّف الحذر لطبيعة العمل
الذي يعمل هو وغيره فيه: Ok.

أخذوا يتسكّعون في الشوارع الرئيسيّة حتّى سمعا رنين هاتف الغريب
مرّة أخرى، تحدّث الغريب وهزّ رأسه ومن ثمّ أغلق الهاتف وأشار
لـ "ناجي" بأننا سوف نتبع تلك السيّارة.

انحرفت السيّارة التي يتبعونها إلى اليمين، وتوجّهت مباشرة إلى الخطّ
الدائريّ الشّماليّ لمدينة برازيليا، ومن ثمّ توجّهت نحو الجنوب على الخط
نفسه، ومن أحد مخارج الجنوب الغربي تركت السيّارتان الخطّ الدائري ونزلا
فيما يشبه الدائرة الكاملة، وإذا بهما في شارع عريض مكوّن من أربعة مسارات
لكلّ اتجاه، انطلقا نحو الغرب وبعد حوالي اثنين كيلو متر توجّهت السيّارة
التابعة والمتبوعة نحو الجنوب مرّة أخرى وتاهتا في أزقة أحد الأحياء الفقيرة،
وفي أحد الأحواش التي تمّ فتح بواباتها غابت السيّارتان، يعلم "ناجي" تمام
العلم لو أنّه عاد مرّة أخرى لهذا المكان لما وجد أيّ شيء ممّا رأى، فهم في كلّ
مرّة يتم لقاءه في مكان ما، مغاير تمامًا عن سابقه، ترك السيّارة بهدوء وتبع
الرّجل الذي ترجّل من السيّارة الأخرى، وأشار له بأن يتبعه بعد أن أعطاه
المرافق إشارة الأمان، لاحظ الكثير من الحراس المدجّجين بالسّلاح قبل
دخوله المنزل، وحتّى في الممرّات كان هناك العديد من المسلّحين حتّى أدخل
إلى مكتب، وكان هناك شخص في انتظاره، قال مسلّمًا:

ناجي: سيد "بيرو دي بيريه".

بيرو: دي بيرر تستطيع أن تنادينى "بيرو"، وهذا يكفى من صديق مثلك.

ناجى مصافحاً: مسيو "دي بيرر".

بيرو: "ناجى"... ناجى صديقى العربى الذى يذكّرني بأجدادى.

ناجى: صحيح أنك تحنّ لأصولك العربيّة؟

بيرو: صدّقني أنا أتعاطف مع العرب، صحيح أنّ جدّي "ميشيل دي بيرر" ترك الشّام منذ بداية القرن العشرين في عام ١٩١١م تقريباً، وكان من أوائل المهاجرين بسبب الفقر ولا يرغب أن يذهب إلى اسطنبول أو أنقرة. ناجى: كان هارباً من العدالة؟!

بيرو (مازحاً): نعم فقد كانت هناك عدالة كثيرة، لم يستطع جدّي أن يتحمّلها فتركها لكم.

ناجى: أقصد...

بيرو: أعرف ماذا تقصد، أنا أمزح فلغتي العربيّة مثل لغتك البرتغاليّة سيّئة جدّاً، هل تريد قليلاً من الجن؟

ناجى الذى أصبح يشرب في المناسبات بعد رحلة بيروت وفي أضيق الحدود؛ لأنّ التّعامل مع هؤلاء يحتمّ عليك تطبيق المثل القائل إذا كنت في دارهم فدارهم، أو إذا كنت في أرضهم فأرضهم، وهكذا فعل أو يفعل، يشرب في وقت المناسبات وهو قليل إرضاءً للجوّ العام وليس متعة أو حتّى رغبة ولكنّه لا ينكر أنّ في بعض المناسبات خاصّة مع الجنس النّاعم يعتبر الشّراب جزءاً لا يتجزّأ من برنامج الحفل فيتلذذ بالشّراب. ناجى: بالتّأكيد.

بيرو وهو يحضر لضيفه كأساً من الجنّ يسأل بنوع من الخبث: قطعتان من الثّلج على ما أذكر؟!

ناجي: نعم من فضلك.

بيرو: طمّني كيف هي الأوضاع في المنطقة؟

ناجي: سيّئة، وأعتقد أنّها من سيّئ إلى أسوأ.

بيرو: كيف؟

ناجي: النيران من كلّ جانب.

بيرو: بسبب إسرائيل؟

ناجي: إسرائيل جزء مهم في المشكلة، ولكنّ المصالح المتضاربة نحو

ثروات المنطقة.

بيرو: تقصد القوى العظمى.

ناجي: نعم، خاصّة الولايات المتّحدة.

بيرو: والحكومات العربيّة ماذا تفعل الحكومات العربيّة؟

ناجي: تريد كلام عقلاء أم مزايدة؟

بيرو: نسمع للطرفين، نحن ديمقراطيّون.

ناجي: كلام المزايدة أنّهم خونة وباعوا الأراضي والقضايا العربيّة إلى

آخره.

بيرو: وكلام العقلاء.

ناجي: إنّ ما تقوم به الحكومات العربيّة في حدود إمكاناتها تقليل أكبر

قدر من الخسائر وكسب أكبر قدر من المكاسب من فم الأسد.

بيرو (مازحًا): حافظ الأسد.

ناجي (متفاعلاً مع الجلسة التي بدأت تنبسط أكثر وأكثر حتّى من

اللقاءات السّابقة مع بيرو): لا... الأسد الثّاني الي ما هو حافظ، الأسد البليد

أقصد أميركا.

بيرو: وأنت في أيّ صف؟

ناجي ضاحكًا: أنا، أنا في الرُّوضة ويا صحابي.

بيرو: أقصد في أيّ خط؟

ناجي (الذي أخذ يضحك بنوع من الهستيريا الكوميديّة): خط الرّقعة.

بيرو الذي يجاربه في الضّحك: قصدي أنت مع مين؟

"ناجي" وهو يؤشّر ناحية "بيرو"، ويراه من خلال دموعه التي أخذت تتساقط من كثرة الضّحك: أنا... أنا معك ولا أنت سكرت ومنك شايفني.

بيرو (ضاحكًا): يا لغباء الأسئلة!

ناجي: العيب ليس في السُّؤال!

بيرو: أين العيب إذًا؟

ناجي: العيب في طريقة إلقاء السُّؤال.

بيرو: أنت تعرف ما أقصده، قل لي وإلاّ تعتبر الجواب من أسرارك الخاصّة.

"ناجي" يحاول أن يسترد بعضًا من وقار الجلسة: أنا تاجر سلاح وما تعنيني السّياسة.

بيرو: وراح تبيع السّلاح لمن؟

ناجي: لليمن.

بيرو: هل لا يزال هناك طلب على السّلاح في تلك المنطقة؟

ناجي: اليمني ليس السّلاح صديقه فحسب، بل روحه التي يعيش من أجلها.

بيرو: بس سمعنا أنّ بعض السّلاح يهرب للسّعودية وبعض دول الخليج.

ناجي: وهل يضُرُّنا نحن تجار السّلاح في شيء؟

بيرو: ما تعتقد أنّه يسبّب بلبلة في المنطقة ونوعًا من عدم الاستقرار؟

"ناجي" وقد رشف رشفة من الكأس الثّالثة: أي استقرار تعني؟

بيرو: الاستقرار الموجود في المنطقة.

ناجي: يا خواجه "بيرو" المنطقة تغلي، بعض المناطق اشتعلت فيها النيران فعلاً، والأخرى لا يزال الجمر مدفوناً تحت الرَّمْل، صدَّقني رياح قليلة من رياح التَّغْيِير قد تشعل المنطقة برمتها، خاصَّةً أنَّ آبار البترول والغاز الطَّبيعي القابل للاحتراق متوفَّر وبكثرة في المنطقة.

بيرو: وبالتالي يرتفع سعر السِّلَاح.

ناجي يستدرك: تعرف أنَّك لست المصدر الوحيد.

بيرو: نتكلَّم بزي نس الآن؟

ناجي: لكلِّ كتاب مقدِّمة.

بيرو: حبيبي ناجي احنا عرب.

ناجي: أنا تاجر مبدي السَّعر الأفضل لقائمة طلباتي والخدمة الجيِّدة.

بيرو: وكيف كانت خدماتنا السَّابقة.

ناجي: توازي السَّعر والتزامنا بدفع المبالغ قبل الوقت المحدَّد يا دي

بيريه.

بيرو مصحَّحاً: دي بيير!

"ناجي" الذي بدأ ينتعش من الشَّرَاب والحديث: دي بيير... دلو بئر كلّه

واحد ما تدأش.

بيرو: أن أعرف هذه الكلمة... ما تدأش كلمة مصريّة.

ناجي: تبغا تشوف القائمة؟

بيرو: لو سمحت.

"بيرو" يتصفَّح القائمة ويؤشِّر لأحدهم أن يحمل القائمة لشخص آخر

لوضع الأسعار، قال مخاطباً "ناجي": وقت التَّسليم ومكان التَّسليم.

ناجي: عندما نَتَّفِق على الكميَّة والسَّعر نناقش بعد ذلك التَّفصيل.

بيرو: المطلوب سعر المصنع إذا FOB!

ناجي: بالطبع أسعار الشحن منفصلة مع شركة أخرى.

بيرو: الشركة السابقة نفسها؟!

ناجي: سوف نتحدث عن ذلك في الوقت المناسب، متى تكون الأسعار جاهزة؟

بيرو: غداً في الوقت نفسه سوف تصلك في الفندق.

ناجي: في حالة موافقتنا على أسعاركم سوف أبلغك بالهاتف وأقوم بتحويل المبلغ المقدم، والباقي عند استلام شركة النقل كالعادة.
بيرو: OK.

"ناجي" (وهو يتأهب للخروج): شكراً على استقبالك وكرم الضيافة، بانتظار الأسعار التي أتمنى أن تكون مناسبة، فأنا جداً مرتاح للتعامل معك خواجه "بيرو".

الرسالة التي تلقاها "حامد" في مكة على البريد الإلكتروني الخاص به بالسفيرة المعدلة أخيراً، تؤكد أن درجة الحرارة في (برازيليا) مقبولة، وأن المرسل سوف يغادر إلى (ريو دي جانيرو) ليتمتع ببياض رمل شواطئها، وسوف يتجه إلى صنعاء عن طريق لندن؛ لتجديد الولاء والجواز، ولقضاء بعض الوقت بين شجيرات القات ويتمتع بجبالها، قبل أن يحضر المؤتمر الخاص الذي سوف يعقد في الشرق لأفراد العائلة، لم تكن سوى من "ناجي" الذي كان يقطن في (بنقلو) من تلك المترامية على شواطئ باكو رابانا، المزدحمة في هذا الوقت من العام، مما يزيد متعة "ناجي" عند زيارته لهذه المنطقة الكم الهائل من الخيارات بجميع الأحجام والألوان والأعمار، فالبشر في هذه البقعة من العالم قد تخلصوا من أكبر كمية ممكنة من ملابس

الشواطئ فتجد نساءً (توب لس) ولا تغطي أجسادهنَّ إلا قطعة صغيرة كورقة التوت، وبعضهنَّ بالبكيني ولهنَّ حرية الاختيار، استلقى على الكرسي المصنوع من (الفاير جلاس)، وضع نظارته الشمسية، ودهنَ جسده بهادة لمقاومة أشعة الشمس، وفي الوقت نفسه تغيّر لون البشرة إلى اللون البرونزي وكأنه يحتاج إلى لون أكثر سمرة من لونه، وكتاب سمرقند الذي يحاول أن يكمله وكأس كبير من عصير الفواكه الطازجة المشكلة مع الثلج.

في المساء وبينما كان يتناول طعام العشاء وحده في حديقة الفندق ويستمتع بموسيقى وبعض الرقصات الشعبية المحلية، كانت الحديقة مكتظة بالنزلاء، وإذا لم تكن حاجزاً طاوله للعشاء في هذا المكان في هذا الوقت، فلن تجد مَنْ يرحّب بك، تقدّم أحدهم منه واستأذن مشاركته الطاولة باللغة البرتغالية، ولكن عندما عرف الرجل أن "ناجي" لا يتكلّم البرتغالية طلب من النادل أن يساعده إذا لم يكن عند "ناجي" مانع أن يشاركه الطاولة فقط، وسوف يقوم هو بالحساب، تقدّم النادل من "ناجي" وتحدّث معه بلغة انجليزية رديئة نوعاً ما، فسمح له بمشاركته الطاولة.

ناجي: أهلين فرانك.

فرانك: ميت أهلين متى وصلت؟

ناجي: البارحة.

فرانك: يا ميت أهلاً وسهلاً.

ناجي: وين جالا؟

فرانك: هلا جاية... كيفك؟

ناجي: نشكر الله منيح كثير.

فرانك: إيه يا عم صرت بتحكي لبناني له... له... له.

ناجي: كيف العمل؟

فرانك: هادي شوي بس... الأمريكان...
ناجي: الأمريكان... الأمريكان الله يجرب بيتهم ويش يبوا مننا.
فرانك: تعرف إن أمريكا مو يمكن قربت تفلس؟
ناجي: أمريكا لو فلست العالم كله يروح وطي.
فرانك: معلوم.
ناجي: والعمل؟
فرانك: العقار والذهب.
ناجي: والشرب والمخدرات والنساء.
فرانك: راح تنخفض أسعارهم.
ناجي: كيف؟
فرانك: يا عمي الواحد يا اللي ياكل بدو يعزم على واحدة ويدفع لها
مصارى كمان، ولا بدو يشرب قنينة خمر إذا ما عنده مصاري لقنينة مي.
ناجي: يعني فكرك ما نتعاط السيّدات إلا ما يرخصوا؟
فرانك: ما هيك أصدي.
ناجي: أجل شو؟
فرانك: فنشها الحكي... وصلت "جالا".
ناجي: خلي الجلسة تحلو.
فرانك: والله ما يحلي الجلسة غيرهم.
ناجي: بالذات "جالا" الوسيط التجاري الناعم.
"جالا" تتلف في الحديقة، تلاحظ إشارة "فرانك" الذي قام من مقعده
ليرحّب بها، عانقها، قَبَّلَها، قَبَّلَ يدها كما يفعل الأرستقراطيون في بلاطهم
الخاص، مع انحناء تعلّمها من بطل فيلم ذهب مع الريح، حيث خلع قَبَعته
ومثّل الدور نفسه حتّى مع السيّدات الأخريات اللاتي كنّ يتمتّعن باللحم

المشوي على الطَّريقة البرازيليَّة، والرَّجال الذين يتبسَّمون له ابتسامة صفراء ويمتَّعون نظرهم باللحم النَّسوي في البرازيل ولكي يشوون به قلوبهم، قام ناجي ومثَّل أنَّه لأوَّل مرَّة يلتقي مع هذه السَّيدة الجميلة، حيث قام فرانك بتعريفهم بعضهم البعض: السَّيدة "جالا دولا فيتيه كونزاليس" سيدة أعمال، لديها شركة لخدمة السَّيدات وبرامج للتَّخسيس والتَّدليك والميك أب بوذي كير مونو كير جست نيم إت.

ناجي: أهلاً وسهلاً... أنا "ناجي صالح" من اليمن سمسار.

جالا: أهلين ريو تورت... سمسار شو؟

ناجي: سمسار عقار.

جالا توجه حديثها إلى فرانك وتحدّثه بالبرتغاليَّة وبصوت مسموع: طلبت لي أكلاً؟

فرانك: طلبنا مشويّاً لنا الثلاثة.

"جالا" تتكلَّم باللغة العربيَّة لكي يفهم ناجي: ولو بدنا نزوّد من الطَّليبة وبدنا كرسيين زيادة لأنّ "مايا" و"بطرس" هلا جاين.

"ناجي" الذي أخذته المفاجأة: "مايا" راح تجي لا مو على عيني، ويرفع صوته منادياً (يا جرسون).

جالا: ليه شو بتعرفها لـ "مايا"؟

ناجي: إذا كانت "مايا" اللي أعرفها على عيني، وإذا كانت "مايا" اللي ما بعرفها على رأسي من فوق.

فرانك: وبطرس؟

ناجي: عشان الورد نسقي العليق.

حضرا "مايا" و"بطرس" ولم تكن "مايا" التي التقى بها في الطَّائرة، بل أخرى فهذه أصولها عربيَّة من لبنان، بيضاء تميل إلى الشَّقراوات أكثر من

مجموعة البيض، شعرها ذهبي مائل إلى الصفار، كأنها تمثال روماني، هادئة، لا تضحك إلا بابتسامة صغيرة تظهر نغزتين على وجنتيها تحتفي بسرعة لأن صاحبتهما لا تريد لهما الظهور، قليلة بل تكاد تكون عديمة الكلام، وهذا لعمري في النساء جميل، ليست خجولة كما يبدو ولكنها جادة، لا تمنع أن يضحك الناس ولكن يزعجها الضحك بصوت عالٍ، أما الصريح في الجدل فهو يخيفها تمامًا فهي ملاك جامد، أما زوجها السيد "بطرس" الذي يملك عمارتين في ريو وفندقًا ضخمًا أربعة نجوم في برازيليا وبعض المزارع فقد اشترى مؤخرًا مزرعة كبيرة للتفاح في شيلي يشرف عليها هناك شقيقه الأصغر خوان، أما "جورج" الأوسط فهو يشرف على الفندق في العاصمة فهو من أصول أرجنتينية ومن بيونس آيرس بالذات وقد هرب جدّهم في عام ١٩٢٥م إلى ريو للبحث عن وطن جديد وحياة جديدة، فالتقى بكوندوليزا التي أحبّها لذكائها وتفانيها في العمل والصبر، وإن كانت بها مسحة من جمال فهو جمال الروح فقط؛ لذا فقد كان الجمال الشكلي في هذه العائلة صعب المنال، أما التجارة وكسب الأموال والعمل الشاق المتواصل فهم السمات البارزة في عائلة كعائلة "بطرس" وإخوانه، كان متوسط الطول نحيلًا، حاد التقاطيع، يصلح أن يكون ممثلًا لأدوار الرعب دراكولا مثلًا أو رئيس عصابة، سفاحًا، أو أي دور من أدوار الشر والجريمة، هذه الانطباعات التي صوّرها "مناحي" عن مجموعة العمل التي سوف يعمل معها خلال الفترة القادمة، أما فرانك فقد تعامل معه منذ فترة وحققًا معًا نجاحًا واحدًا في تهريب كمّية من الكوكايين إلى دولة عربية في شمال أفريقيا، وتعرّف خلال تلك الفترة على "جالا" باعتبارها الوسيط المباشر بينهما وبين المصدر الأساس؛ لذا فقد حرص فرانك على المحافظة على "جالا"

وصداقتها والتَّقرُّب منها دائماً، "جالا" التي تسكن في المناطق الشَّمالِيَّة الغربيَّة من ريو، حيث يسكن عليَّة القوم والسَّاسة وأعتى التُّجَّار في البرازيل. بعد تناول طعام العشاء، قام الجميع ما عدا "ناجي" إلى حلبة الرِّقص الذي استمتع به كلُّ من "جالا" و"فرانك" و"مايا" و"بطرس" أو ما يُطلَق عليهما "مناحي" في داخله الجميلة والقبيح The bold & the beautiful ذكَّرتُه بالسلسل الأمريكي، سرَّحَ بذهنه في أحداث السلسل وكيف يتعامل البشر مع بعضهم في عائلة واحدة، ومحور القصة هي إظهار شريحة من شرائح المجتمع الأمريكي في الطبقة المتوسطة العليا أو ما يُسمَّى بالطبقة الأرستقراطيَّة، لوضعها تحت مشرحة النِّقد والدراسة، مجتمع الحريَّات، أم مجتمع التَّنَاقضات، هذا هو المجتمع الأمريكي الذي يقود المجتمعات الأخرى لتصبح مجتمعات تناقضات، فبيوت الفسوق بجوار بيوت العبادة أو على رصيف واحد لجادة واحدة.

عاد الرَّاقصون من الحلبة، الثَّلاثة في ضحك وهرج ما عدا تمثال اليونان، أخرجت من شنطة يدها منديلاً، جفَّفت به بعضاً من حبَّات العرق بكلِّ برود، سحبَ لها زوجها الكرسي لكي تتمكَّن من الجلوس، لم يسمع منها "مناحي" أو "ناجي" غير كلمة (أهلاً وسهلاً) عند بداية اللقاء، أمَّا "فرانك" و"جالا" كانا يتحدَّثان باللغة العربيَّة في معظم الوقت كرمان "ناجي" كما قالت "جالا" وباللغة البرتغاليَّة لكي يترجموا لـ "بطرس" بعضاً من أطراف الحديث، خاصَّة (القفشات) أو بعض النِّكات، رشفت قليلاً من كأس الويسكي، ووضعت الكأس مرَّة أخرى بحركة آليَّة، ناجي الذي كان يراقبها ينتظر أن تقع عينها في عينيه علَّه يرى ردَّة فعلها من رسالة قد تحملها نظراته إليها، ولكن كان هذا المطلب أصعب من أن يطلب منها أن تتحدَّث، فعيناها تلاحق وجه ذلك القبيح وكأنَّها تنعم في شقاء الآخرين.

في نهاية السهرة قال فرانك بالعربي مخاطباً "ناجي": يا خبي بدننا نكمل
السهرة في بيت بطرس.
ناجي: على بركة الله.

"بطرس" الذي يقدم بطاقته الائتمانية للنادل؛ مما أثار احتجاج "ناجي"
عليه متحمساً بالكرم العربي، وخوفاً أن تهدر الكرامة العربية على طاولة طعام
في حديقة فندق في البرازيل! ولكن "فرانك" طلب منه أن يهدأ قليلاً لأن
"بطرس" لن يسمح لأحد أن يدفع فلساً واحداً في منطقته، وهذه تعتبر
منطقته ونحن ضيوف وأنت ضيف على البرازيل ككل، انتهت معركة
الحساب لصالح "بطرس" الذي تقدم الجميع مع زوجته اللبنانية البرازيلية
الغامضة، في الطريق ركب "ناجي" سيارة فرانك وذهبت "جالا"
بمفردها، أما بطرس وزوجته فقد غادرا في سيارتين منفصلتين تبعت كلاهما
منهما سيارة أخرى بها العديد من الأشخاص، عرف من "فرانك" أنهم
رجال الحراسة الخاصة بهما، قال "ناجي": ليش ما يركبوا سيارة واحدة؟
فرانك: الخوف من التفجير، فلو تفجرت السيارة بواحد، الطرف الثاني
يكون حياً وينتقم.

ناجي: الله على الإنسان... ما علينا... كلمت "جالا" على موضوعنا؟
فرانك: كلمتها بس بدها تسمع منك.
ناجي: أقصد الكوكا الكمية ثمانية عشر كيلو خلال الثمانية عشر شهراً
القادمة.

فرانك: من ثمك لثمها تصطفلوا أنا عمولتي عليك يا رب.
ناجي: العمولة على دفعات.
فرانك: وأنا خادمك الأمين.

وصلت السيَّارات تبعاً إلى منزل "بطرس" تحت حراسة السيَّارتين الآخرين اللتين وقفنا واحدة على يمين البوابة والأخرى على اليسار، دخل الجميع خلف "بطرس" الذي تقدّمته زوجته بخطوتين مرحّباً بـ "ناجي" وبالجميع، دخلوا إلى الصّالون ما عدا مايا التي ودّعتهم، وكانت هذه العبارة الثانية التي سمع فيها صوتها طوال السّهرة.

"بطرس" الذي بدأ مرحّباً بلغة انجليزية ركيكة: أهلاً وسهلاً.
ناجي: أهلاً منزلك جميل.

بطرس: شكرًا.

فرانك: الأخ بطرس لديه مزرعة ضخمة من التّفاح في شيلي، وقد سجّل في مكتب التصدير هونيك وهو بدو يقوم بالتصدير للدول العربيّة، خاصّة دول الخليج، وقابله عدّة أشخاص منهم شخصيّة كبيرة من السّعوديّة، عائلة معروفة الزّمة عنده ثلاث ضخمة، ويشغل هيكل شغلّات في مجال استيراد الفواكه من كلّ أنحاء العالم، وقدّم عرضاً لـ "بطرس" ليكون وكيله في الشرق الأوسط، وقد تكلمت مع السيّد "بطرس" على موضوع النّقل للبضاعة اليّ تخصّصنا عن طريق الفاكهة.

ناجي: شو تقصد بهيك شغلّات؟

فرانك: لا... لا ما تروح بعيد الزّمة شغله بس فاكهة وخضار.

ناجي: والي عم نتاجر فيه احنا إيش يا خيي؟

فرانك: تجارتنا خضار مجفّفة مطحونة، لك حل عنيّ.

ناجي: الحقيقة بلغ السيّد "بطرس" شكرنا على الحفاوة والكرم التي قدّمها لنا في حديقة الفندق واستضافته لنا في بيته، أمّا بخصوص الكوكابين فسوف يتم نقلها إلى مصنع التّعبئة التّابع لهم عند مزارع التّفاح الخاصّة به على أساس أن يوضّع كلّ ربع كيلو في كرتون من كراتين التّفاح وتوضع إشارة

صغيرة على الصناديق التي بداخلها الكوكا، وعند فرز الكراتين تبعد هذه الكراتين، ونقوم نحن بنقلها إلى المخازن التابعة لنا.

"جالا" التي تخرج تفاحة من حقيبة صغيرة كانت تحملها، قالت مخاطبة "ناجي": شو رأيك في التفاحة.

ناجي: شكرًا.

جالا: خذ لك شي وصلة تحلي فمك.

ناجي: شكرًا شعبان والله.

فرانك: هذي ما هي تفاحة هيدي حاوية الكوكا بنحطها داخل مغلفة مع التفاح على شكل تفاحة، وبكذا الجني ما يعرف وين التفاحة من الكوكا.

"ناجي" الذي تناول التفاحة من يد "جالا" مندهشًا لدقة الصناعة: عظيم... عظيم.

بطرس: ومن أين تأتون بالكوكا؟

ناجي: من دول لا تينية.

بطرس: هذا يعني أنكم تقومون بالتهريب مرّتين تقريبًا.

ناجي: بالطبع.

بطرس: ولماذا لا تشترون من شيلى مباشرة؟

ناجي: والسعر؟

بطرس: فارق السعر أقل بكثير من المخاطرة.

ناجي: والجودة؟

بطرس: مضمونة.

"ناجي" ينظر إلى فرانك: ودور "جالا"؟

فرانك: "جالا" وكيله التفاح المصنّع، وراح تكون في شيلى لمتابعة العملية والتأكد من الكمية والنوعية.

ناجي: أنا أقوم بتحويل المبالغ لفرانك، وهو بدوره يكون الوسيط المالي بناءً على التعليمات التي يتلقاها مني عند وصول البضاعة حسب الجداول الزمنية التي سيتم الاتفاق عليها.

بطرس: بالتأكيد فكلنا نثق في فرانك.

ناجي: بل كلنا نثق في التفاح الشيلي.

"مناحي" في مطار برازيليا الدولي ينتظر إقلاع الرحلة المتجهة إلى لندن عبر الخطوط البريطانية، يرسل رسالة عبر البريد الإلكتروني لـ "حامد" يبلغه أنه أتم العملية وهو في طريقه إلى لندن للراحة يومين، يسافر بعدها إلى مقر الاجتماع.

في الوقت الذي كان فيه "مناحي" ينتقل من مطار إلى آخر عاد عاصم من أفغانستان، بعد الاجتماع مباشرة وصل إلى الدمام عن طريق البحرين براً متخطياً كوبري الملك فهد، قدم أوراقه الشبوتية، نظر صف الضابط في عينيه، وختم الجواز بالدخول، توجه مباشرة إلى والدته وأخته، التي فاجأته بأن عمته عباسية زوجة عمها قد تقدمت لخطبتها لخليل ابن عمها، فطلبنا منهم الانتظار حتى تعود وتقرر لأنك ولي أمري، لم يصدق، دارت به الغرفة، شعر بغثيان، اختلط الفرح بالحزن على وفاة والده لو عاش ليرى هذا اليوم، اليوم الذي داعب فيه "خليل" عند مولد "فاطمة"، في ذلك الوقت كان خليل على مشارف عامه الرابع عندما حضر مع والدته ليرى النونو (الطفل المولود حديثاً) فقال الأب: ها يا "خليل" أعجبتك؟

خليل ببراءة الأطفال: إيه.

عباس: تبي تتزوجها؟

خليل بخجل وبراءة الأطفال الجليّة في عينيه: إيه.

عبّاس: هات المهر.

خليل: إيش؟

عبّاس: المهر مهر العروسة... ريالين.

خليل الذي ينظر ناحية الطّفلة: لا ما عندي.

"عاصم" الذي لا يعرف كيف علق هذا الحوار في ذهنه بالرّغم من آلاف الصّور والتّشويش الذي حدث له خلال حياته، ولكن لا يزال هذا المنظر واضحًا وكأنّه بالأمس، سقطت دمة على خدّه وهو يحضن فاطمة، قال لها: تعرفي إنّ الوالد -الله يرحمه- هو الي زوّجك "خليل"! "فاطمة" التي خشيت أنّ أخاها قد عاد إلى عالم الهلوسة والمخدّرات: كيف؟

"عاصم" الذي يقصّ الحكاية على "فاطمة"، ووالدته تنظر إليهما بحنان وتؤكد صدق الرّواية ولكنّ صوتها عميق وكأنّها تخرجه من ذلك العالم السّحيق في البعد، علّقت "فاطمة" بعد أن انحدرت دمة حاولت إخفاءها دون جدوى: الله يرحمه... تعشّيت؟ عاصم: لا... والله.

أم عاصم: ويش تبوا؟

عاصم: إذا ما يتعبك نبي سليق دياي.

أم عاصم: أبشر.

استغلّ "عاصم" انشغال والدته في المطبخ، وقال لـ "فاطمة": أنتِ موافقة على خليل؟

فاطمة التي تصنّعت الخجل: أنت الي توافق أو ترفض!

عاصم: بس أنا ما راح أنزوجه يا بنت النَّاس أنتِ أمانة في رقبتى والحياة حياتك، إذا ما تبیه ترانى أعرف أعذر منه وهو ولد عمِّي وصديق في الوقت نفسه.

فاطمة: أنت ویش رأيك فيه؟

عاصم: والله العيال كلهم طيبين وهو ما شاء الله عليه كمل الجامعة ويعمل في الحكومة، يعني وظيفة وراتب مضمون، وهو ما هو لعب الصَّراحة ولد طيب، بس هذا لا يعني شيئاً، أهم شيء إنك تقبله زوجاً وتحسي أنك معجبة فيه، تتراحين له مثلاً بلاش نقول تحبّه؟ الكيمياء متراكبة؟ أنت الآن متعلّمة وفاهمة اللي أقصده.

"فاطمة" التي انفلتت منها ضحكة الرّضا جعلت "عاصم" يقول: على بركة الله... متى راح يجو الرّجال.

فاطمة: الوالدة قالت لهم أنك مسافر ولما ترد من السّفر تعطيه خبراً بعد موافقتك، وإذا ما صار نصيب ما راح تواعدهم، يعني إذا ما وعدتهم معناه ننسى الأمر بالكامل.

عاصم: أجل خلهم يجو يخطبوك رسمي يوم الخميس الجاي بعد صلاة المغرب، بس لازم يجيب أبوه يعني عمِّي لازم يجي معه، بدون رضا عمِّي ما راح يصير شيء.

فاطمة: ما راح تحدّد معه المهر؟

عاصم (مازحاً): المهر محدّد من زمان رyalين... صدّقيني المهم سعادتك. أم عاصم: لا تنسى تقول لخالك وعياله يجو يستقبلوهم معك، عشان العيال يساعدوك.

عاصم: المهم العروس عندها شروط، ولا سمعاً وطاعة يا هوى.

فاطمة: لا... حبيبي... إيه عندي شروط أجل شايفني كتعه ولا عرجه،
مالت عليكم يا الرجال... اسمع وأنا وخيتك أوّل شرط أبي أكملّ تعليمي
أنا يبقى لي سنة في كليتة التّربية، ثاني شرط إني أشتغل ما راح أجلس في البيت،
والشّروط الثّالث والأخير أمّي تعيش معنا، واحنا قلنا لعمّتي هذي الشّروط
وفهمناها أننا راح نعيش هنا في بيتنا اللين يتزوّج "عاصم" ندور على بيت
إيجار، وفي ذاك الوقت أمّي تختار تعيش عندي أو عند عاصم هي حرّة.

عاصم: عال ويش كان رد عمّتي بالله.

فاطمة: وافقت طبعًا.

عاصم: أجل وافقت على كلّ الشّروط!

فاطمة: إيه.

عاصم: أجل ويش هو دوري؟

فاطمة: أنت الكلّ في الكلّ، تقدر ترفض وأنت الي راح توثق الشّروط
معهم، يعني كان ودك نخرجك، لو ما وافقوا على شروطنا ما وصلوا لك،
كان صكينّا وراهم الباب، وقلنا لهم سعيكم مشكور.

عاصم: الله يعينه، ويعينني إذا دوّرتي لي على عروس مثلك.

فاطمة: أنت تأمر، البنات صديقاتي مثل الرّز، كلّ واحدة منهن تقول
للقمر غيب وأنا بدالك.

عاصم (ضاحكًا): أنا أبي مرّة ما أبي ضو للقراية الله يصلحك لو أبي ضو
شريت فانوس أرخص.

"عاصم" يتّصل بصديقه العزيز عمّار: عمّار.

عمّار: "عاصم"... آه يا الخاين... وينك؟

عاصم: أنا في البيت والوالدة مجهزة السّليق، إذا ما تبي تشوفني تعال
تعش وطس.

عَمَّارٌ ضاحكًا: لحمه ولا دياية؟

عاصم: دياية يا دياية أنت.

عَمَّارٌ: جرّبتني يا...

عاصم: عجل يا الله عجل ولا والله ما تحصل غير تعب المشوار.

عَمَّارٌ: فريرة.

أثناء تناول العشاء فاتح "عاصم" صديقه "عَمَّار" بخبر الخطوبة التي
تمّت بين "خليل" و"فاطمة" قال "عَمَّار":

و"فاطمة" موافقة.

عاصم: والله أنا سألتها وألحيت في السُّؤال، بس الظَّاهر أنَّ الجماعة
موافقين قبل ماجي من السَّفر.

عَمَّار: الصَّراحة أنا شايف "خليل" رجل يعتمد عليه، والصَّراحة أنا
لاحظته كم من مرّة يمر بالوالدة ويكلمها من ورا الباب ويقضي لهم
حاجاتهم، وعينه في الأرض وإذا راحت "فاطمة" المكتبة راحت مع الوالدة
وهو معهم يوصلهم السُّوق والمكتبة، في بعض الأحيان تحي أمّه معه والحقّ
عينه في الأرض... رجال شروا من عندي.

عاصم: "شرواك" الطَّيِّب... يعني لو خطب أختك "زينب" توافق.

عَمَّار: بالتأكيد... الله يطوّل عمر الوالد هو الوكيل الشرعي، بس راح
أقول كلمة الحقّ خليل بصراحة يشري.

عاصم: أجل على بركة الله.

عَمَّار: بس ما قلت لي شايف سفراتك كثرت اليومين دول!

عاصم: تعرف الدّاعية مثلي يدج في بلاد الله يدعو النَّاس للدِّين.

"عَمَّار" الذي ينظر إلى وجه "عاصم" ويتبسم: سبحان الهادي.

عاصم: عقبالك.

عَمَّار: على يدك يا شيخ "عاصم".

عاصم: إن شاء الله عمًّا قريب.

عَمَّار: دفعت بقيّة قيمة البيت؟

عاصم: الحمد لله وبكرة الإفراغ أيبك شاهد أنا أبي أكتبه باسم "فاطمة".

عمار: جزاك الله خيرًا ونعم الأخ أنت... بس وأنت؟

عاصم: أنا رجال حتّى لو نمت تحت سقيفة مسجد... بس صدّقني ربّنا راح يرزقني إن شاء الله وأشتري لنفسي بيتًا.
عَمَّار: إي والله الواحد ما يدري إلّا والأيّام تمر، سنين ويلاقي نفسه شايب وما عنده لا مره ولا عيال.

عاصم: نتقابل بكرة عند كاتب عدل.

ما بين قراءة الفاتحة وموعد عقد القران والفرح مساحة من الزّمن تمتد إلى خمسة عشر يومًا، استغلّها "عاصم" بين الكتابة فيما يلتقطه من مشاكل المجتمع المتعثّرة بسبب بطء الإجراءات، أو عدم ملاءمتها لمنطق التّعامل مع الأحداث، أو بعض الأخطاء سواء كانت متعمّدة أو عن جهل أو عن عدم دراية لعدم وجود تدريب قادر على التّقليل من المفاجئات أمام العامّة أو مستهلك الخدمة، وبين بعض اللقاءات السّريّة مع بعض المتحمّسين للتّغيير أو المعارضين أو أولئك الذين علّقوا فشلهم على أكتاف الآخرين، وهؤلاء الآخرون من غير المهمّ تحديد شخوصهم كائنين من كانوا، حتّى لو كان النّظام أو من هم خلفه يحمون حقوقهم، ولكنّ تعميهم أو تضلّلهم الرّؤيا غير البعيدة عن أرنبة الأنف التي يمارسونها، خلال هذه الفترة قرّر جذب أربعة آخرين لتكوين خليّته الأولى، وكان صديق عمره "عَمَّار" أوّل المتحمّسين للفكرة، خاصّة أنّ "عاصم" استغلّ في عمّار كونه من مدينة

القطيف، وكان شاهدًا لما جرى فيها من الأحداث التي لا تزال تؤثر عليه حتى في ألحانه.

عمّار: الفكرة جيّدة، بس لو خليتها شيعة وسنة ما راح تنجح.

عاصم: الفكرة ما هي شيعة وسنة، دولة واحدة ديمقراطية.

عمّار: بس أنت قلت لي دولة خلافة باعتبار أننا مسلمين ولا؟

عاصم: دولة خلافة دستورية.

عمّار: كيف؟

عاصم: الخليفة تحته ثلاث سلطات، السلطة التنفيذية، والسلطة التشريعية منتخبة، أما السلطة القضائية فهي معيّنة من قبل السلطة التشريعية ورواتبهم تُحددها السلطة التنفيذية، وهناك حكومة مركزية وحكومات محلية كل إقليم له حكومة تقوم بأمر الإقليم.

عمّار: ممتاز.

عاصم: بس لازم نجتمع نحن المؤسسين لتوزيع الأعمال والوظائف، وكل واحد يكون الخلية وكل فرد في الخلية يكون خلية وهكذا.

عمّار: وأنا مسئول عن إيه؟

عاصم: غير إني راح أعطيك فرصة تلحين النشيد الوطني، بس أنت اللي تكون مسئولاً عن قواعد البيانات في التنظيم.

عمّار: والتمويل؟

عاصم (متجاهلاً السؤال): إيش رأيك في زين؟

عمّار: ممتاز "زين" خريج محاسبة إدارة أعمال.

عاصم: لا ومن فين؟

عمّار: من جامعة الخرطوم.

عاصم: وباللغة الإنجليزية بتقدير جيّد جدًّا.

عَمَّار: كلمت "جعفر"؟

عاصم: كلمته ووافق وأول اجتماع راح يكون في بيته.

عَمَّار: يعني "حبيب" راح يدخل بيت "جعفر" أخيراً.

عاصم: ليش ويش بينهم؟

عَمَّار: لا ما في شيء بس كان يتمنى يدخل بيت جعفر.

عاصم: كلامك يدلّ أن فيه شيء.

عَمَّار: بصراحة "حبيب" يحب أخت جعفر الزَّهراء ويبي يطلب يدها.

عاصم: قول كذا... أجل العملية فيها إنَّ.

عَمَّار: إنَّ وأخواتها... بس الموضوع سرّ... الله يخليك لا نقول لأحد، وإذا سمعت من غيري كأنك أول مرّة تسمع الخبر.

عاصم: والله العيال كبرت والبنات كبرت والحارة كلّها راح تنزوّج.

عَمَّار: اللهمّ كثّر الأفراح.

عاصم: وأرباح رجال العقار!

بعد خمسة عشر يوماً من يوم قراءة الفاتحة، كان زواج "خليل" على ابنة عمّه "فاطمة" في أحد الاستراحات على طريق الدَّمّام - الرّياض، فرح عائلي فقط ولكن كان أفضل وأجمل من فرح والدتها على المرحوم والدها فعدد المعازيم أكثر والأكل أكثر تنوّعاً وكميّة، حتّى الفستان فقد أحضرته خالتها من أحد المتاجر المتخصّصة في فساتين العرائس في الرّياض، وقد كلّفَ حوالي ثلاثمائة ريال، اعتبرته عائلة الخالة رفد العروس ورفضت أن تأخذ قيمته، أمّا الخال فقد تكلفَ بقيمة ذبيحتين، وكذلك العم أبو العريس ومثلهم فعل "عاصم"، وبالتالي كانت كمّيّة الأكل كثيرة توزّعت أربعة خرفان للرّجال واثنين للنساء وإن لم يشترك أحد من قلة الطّعام إلّا أنّه لم يتبقّ شيء، بل كان الجميع في سعادة، واعتبر هذا الفرح وكأنّه بداية لصفحة جديدة لهذه العائلة

أن تلتقي وتتجمّع في حبّ ووئام، قال ذلك خال العريس فردّ عليه
"عاصم": هذا من بركة دعاء الوالدة الله يطوّل في عمرها.
العم "أبو خليل": ويرحم والدك ويسكنه فسيح جنّاته.
عاصم: آمين، جزاك الله خيرًا.

الخال: الحمد لله الي جمعنا على خير ويجمعنا دائّمًا على الأفراح يا رب.
عاصم: اللهم آمين.

خليل: الحقيقة أنا أسعد إنسان الليلة.

عاصم: الله يتمّ سعادتك بـ "عبّاس" إن شاء الله، ولا أوصيك البنت
هذه أمانة في رقبتي وأنت ولد عمّي وصاحبي وحبيبي وبينك كثير
أوصيك بتقوى الله فيها، وعاملها كما أمرنا رسولنا الكريم، وأوصيك
بالوالدة خيرًا فهي في منزلة أمّك، والبيت أنا كتبته باسم "فاطمة" والصّك
مع الوالدة، يعني البيت بيتك وأنا إذا جيتكم فأنا ضيف عند أخوي عابر
سبيل يعني ليلة ليلتين.

خليل: البيت بيتك ولك صدر المحل، وكلّنا نخدمك يا "أبو عبّاس"
وعقبال ما نفرح لك إن شاء الله.

عاصم: أحقّق أحلامي، وهذا أوّلها كان ودّي أطمئن على الوالدة
و"فاطمة"، وما الحين أنا مطمئن ولله الحمد، دول مهما كان لحكمم ويعدين
يكون خير، الله يكثر أفراحنا كلّنا، بس شدّو حيلكم ودنا نشوف "عبّاس"
صغير ولا... يا عم؟

العم: كيف! الله يرحم أبوك... ربّنا يرزقهم ويرزقك الدُرّة الصّالحة
ويعطيك على قد نيّتك.

"عاصم" وهو يقبّل رأس عمّه: جزاك الله خيرًا.

اسكتلندا تلك الجزر التي أطلق عليها الجزر الاسكتلندية وهي تكون مع انجلترا وويلز وشمال أيرلندا ما يُطلق عليه المملكة المتحدة، وبالرغم من شهرة الاسكتلنديين بالعزف على القرب، إلا أنهم أيضًا يعشقون العزف على الناي، خاصّة وأنهم رعاة للغنم، بلادهم جنة، من جنان الأرض وإن كانت أدنبرة عاصمة إقليمهم إلا أن مدينة (جلاس قو) تعتبر من أكبر المدن، برغم أن الاسكتلنديين يتحدثون اللغة الانجليزية إلا أن لكتتهم صعبة، وإذا تحدّث اثنان من الاسكتلنديين فإنّ الانجليز أنفسهم أو بقية البريطانيين لا يفهمون شيئاً، فما بالك بمن أتى من صحراء الجزيرة، وتعتبر اللغة الانجليزية إحدى اللغات التي يتحدّث بها، والعداء بين الاسكتلنديين والانجليز الذي تحوّل إلى تنافس في العمل والإبداع قديم، وأشهر أبطالهم هو وليم دالاس أو صاحب القلب الشجاع، يُعتبر الاسكتلنديون هم أفضل وأشهر مصانع الويسكي في العالم، فالاسكتش من أشهر أنواع الويسكي، ويُطلق عليه (أوشكا بآي) أو ماء الحياة، أمّا كلمة (سلانجيقا) فتعني في صحّتك، وعضواً عن كلمة (تشيرز)، ويصنع في (أوبان). ومن أشهر الوجبات الغذائية هي أكلة (الهاغيس) وهي عبارة عن الرئة والقلب والكبد والكلى من الخرفان أو الخنازير بالنسبة لمن يأكل الخنازير مع صلصة مرق اللحم مع الطحين (تشبه أكلة في مكة المكرمة تُسمّى (السقط) أو الكمونية في السودان، أمّا جبال منرو فهي لا توازي إفرست في ارتفاعها إلا أن ارتفاع بعضها قد يصل إلى ثلاثة آلاف قدم، وبالإمكان أن تركب قطاراً في رحلة إلى المرتفعات الغربية ويكلف حوالي ٣٥ دولاراً أمريكياً، تميّز اسكتلندا بقصورها والمحافظة على تاريخ هذه القصور وهندستها، ويشتهر الاسكتلنديون بتصاميمهم، فنجد أن أحد مهندسيها لم يكتف بتصميم منزله فقط، بل صمّم جميع الأثاث الموجود في منزله حتّى أصغر قطعة من القطع، كما أن هناك

قصرًا عمره حوالي سبعمائة عام، فهي مليئة بالقصور التاريخية على قوائم من
توالى سكنها ومتى من أشهر العائلات، ولكل قصر قصة منذ بنائه حتى الآن،
وتعتبر المنطقة من أرقى مناطق العالم من حيث محاربة التلوث البيئي، وفيها
من الأساطير والخرافات الشيء الكثير، منها على سبيل المثال وحش بحيرة
(لوك نيس) الذي جذب أحد المغامرين إلى الاستقالة من عمله والمراعاة
بأجهزته بالقرب من البحيرة لتصوير الوحش، وقد مضى عليه أكثر من تسع
سنوات ولم يظهر الوحش ولا يزال أخونا ينتظر على أمل.

"مناحي" الذي ترك فندق الدورشيستر الساعة الخامسة والنصف
صباحًا وألقى بجسده في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة السوداء وضع معطف
المطر والمظلة والقبعة وحقيبة من جلد النعام بمقابضها المذهبة تدل على
فخامة صاحبها، وكأنه بريطاني أرستقراطي منحدر من أحد سلالات
مستعمرات بريطانيا العظمى التي لا تغيب شمسها عنها، شوارع لندن في
هذا الوقت بدأت تستيقظ من عطلة نهاية الأسبوع، خاصة في قلب المدينة،
المسافة بين الفندق ومحطة فيكتوريا قطعها في حوالي اثنين وعشرين دقيقة، وفي
قطار الساعة السادسة صباحًا والمتجه إلى جلاس قو كان يجلس في أحد
مقاعد الدرجة الأولى يقرأ جريدته المفضلة باللغة الانجليزية (SUN) شمس
كل يوم، وفي الحقيقة كانت عبارة عن فضائح كل يوم فهي الجريدة الأكثر
انتشارًا تقريبًا بسبب ما تنقله من فضائح.

وفي الوقت نفسه تقريبًا أي حوالي الساعة الخامسة وعشرين دقيقة صباحًا
ترك "عاصم" فندق زاوية بادنقوتون الواقع في شارع (بريد) المتفرع من
طريق (الإدج وير) ذي النجوم الثلاثة، وهو في طريقه ألقى تحية الصباح على
صاحبة المخبز الإيطالي التي كانت تستعد لفتح محلها والبدء في خبز وتجهيز

طلبات الرّبائن، خاصّة أولئك الذين يعملون في مستشفى القسيّسة مريم، وتوجّه نحو محطةً بادنقون للقطارات سائرًا على قدميه التي لا تبعد سوى عدّة خطوات، بالفندق هو عبارة عن استراحة للقادمين إلى لندن؛ لذا يقع في زاوية قريبة من المحطة، ومنها استقلّ القطار المتّجه إلى محطة فيكتوريا، ليصعد في القطار نفسه الذي ركبه "مناحي"، ولكن في الدّرجة الثّانية، في حوالي السّابعة والنّصف التقى الاثنان في مطعم القطار لتناول طعام الإفطار ولكن دون أن يحدث أحدهما الآخر، "مناحي" الذي يمثّل فئة الإقطاعيين ورجال الصّناعة بملابسه الفخمة من أرقى بيوت الأزياء العالميّة يجلس بجوار النّافذة على يمين المتّجه إلى مؤخّرة القطار، أمّا "عاصم" الذي يرتدي سروالاً من الجينز وفانلة نصف كم، كُتِبَتْ عليها عبارة الشّيطان أو إبليس Devil ويده سويتز؛ علّه يحميه من البرد الذي قد يصادفه في الشّمال، لم يستطع أن يتركه في غرفة القطار السّياحيّة خوفاً ألا يجده عند عودته، ولذلك أتى به إلى المطعم، ألقي به على أحد الطّاولات التي تقع على يسار المتّجه إلى الكراسي الخلفيّة للقطار، بحيث يستطيع أن يرى "مناحي" فهو في الجهة المقابلة، ولكنّ الكرسي الذي اختاره على الطّولة كرسي الممر، كلّ واحد منهما يلاحظ إن كان صديقه مراقباً أم لا، وأغلب الظّنّ أن لا أحد حتّى يحس بوجودهما ولكنّ الحذر واجبٌ.

"سعد" الذي أمضى أكثر من أربعة أيّام في هذه المدينة مدينة (جلاس قو) يستمتع بجملها وبقصورها، يتلذّد بطعامها ونقاء هوائها، يحتسي بعضاً من خمرها، تشاركه في ذلك شابّة من الجوّالة التي من الممكن أن تقضي معك الوقت، تتسوّق وتعمل سكرتيرة وقد تشاركك السّرير كما تشاركك الحديث ولكلّ عمل، فاتورة يجب أن تدفع آخر المطاف، يحلم أن يتقاعد في زاوية من زوايا هذه المنطقة البعيدة القريبة، ولكن الرّيفيّة منها، يقرأ على كرسي من

الكراسي الهزازة ويكتب على الحاسب الآلي مذكراته وما مرَّ به من أحداث ويتَّصل بالعالم وخلاياه التي كونها من خلال البريد الإلكتروني أو المحادثة عبر الشبكة العنكبوتية، هو الوحيد في ذلك اليوم الذي كان يستمتع بجولة في حافلة ليتعرَّف على المدينة مع (جولي) التي كانت تشرح له عن كل مبنى وكل مكان يزورانه.

أمَّا "حامد" فقد أمضى الليلة التي تسبق الاجتماع في مدينة أدنبرة، كبقية الليالي التي كان يقضي فيها الصَّيف مع شقيقه المريض، الذي يُعالج في أحد المصحَّات في أحد الأحياء المتطرَّفة من العاصمة الاسكتلندية، فقد ركب قطار الثانية ظهرًا والمتَّجه نحو جلاس قو.

في أحد ليالي الصَّيف وفي زاوية من زوايا فندق من الفنادق ذات النجوم الأربعة في مدينة جلاس قو كان اجتماع الخلية 05، أهمِّية الاجتماع تكمن في إعطاء "عاصم" كامل الصَّلاحيَّات لتنفيذ العمليَّة، وسوف تنقطع صلتهم به بعد هذا الاجتماع، ولن يروا بعضهم البعض إلَّا بعد أن تهدأ الأجواء من تنفيذ العمليَّة التي تركوا تحديد مكانها ووقتها وطريقة التَّنفيذ لـ "عاصم" فقط، فهو القائد المكلف للقيام بهذه المهمَّة، وسوف تتم عن طريق خلاياه، قال "حامد": "نحمد الله الذي جمعنا في هذا اليوم، وتعرفوا سبب تغيب الأخ "ماهر"، هو عدم مقدرة على الحصول على التَّأشيرة حتَّى آخر مكالمه، ولكن فوضني بالنيابة عنه أن أبلغكم تحيَّاته وتمنَّياته لكم بنجاح الاجتماع.

مناحي: ما أعتقد راح نناقش تفاصيل.

سعد: نسيت أغنية محمَّد عبده... كلَّ التَّفصيل على البال... بالطبع التَّفصيل راح يحدِّدها ويديرها الجريح، احنا علينا نبارك ونوافق على أن تكون هناك عمليَّة ونضع الإطار العام، وتكاليفها، نوَّمن المبلغ، (مستدرِّغًا)

حضرتك تؤمن المبلغ، توصل المبلغ لحضرته فين؟ كيف؟ هذا تتفقون عليه بينكم، نبغي المعلومات تكون في أضيق حدٍّ ممكن.

حامد: ودنا نسمع من الجريح.

عاصم: تسمع الي يسرك طال عمرك.

سعد: يسرنا كلنا.

عاصم: الي يسر الزعيم يسر الكل... ولا.

مناحي (مازحاً): ولا.

حامد: المهم سيبو المزح دقيقة، كم المبلغ المطلوب؟

الجريح: الحقيقة عندنا في خزنتنا حوالي ثلاثمائة ألف، ونحتاج حوالي سبعمائة وخمسين ألف.

سعد: ليه؟

عاصم: الحقيقة هناك أعضاء راح يشاركوا في العملية وراح ينتحروا وودهم يسددوا ديوناً عليهم، بالإضافة إلى مبالغ راح تروح لشراء بعض الذمم لتسهيل بعض المهام، قيمة السيّارة، ممكن نعطيكم فواتير لو حبيت! سعد (ضاحكاً): لا... مو لهذه الدرجة.

حامد: سيبك منه تراه يبي يرفع ضغطك.

سعد: على فكرة يا رئيس أنا حولت لك خمسمائة وسبعة وأربعون ألف ريال لحساب التنظيم، وعندني الإشعار باسم أحد التجّار.

"حامد" الذي ينظر في وجه "مناحي": وصلت... شفت الكشف وقرت رسالتك بالشّفرة.

مناحي: الجريح... كيف تبي المبلغ؟

عاصم: نقد أضمن.

مناحي: وين؟

عاصم: في الرياض.

مناحي: متى؟

عاصم (قال بالانجليزية): The sooner the better.

مناحي: يعني الأسبوع الجاي.

عاصم: أفضل.

مناحي: أجل راح أرسل لك رسالة بالشفرة عن تفاصيل العملية... ولا.

عاصم (متبسماً): ولا.

"سعد" وهو يشير للنادل: في أحد بيبي يسكر؟

مناحي: أنا ودي أنتعش مو أسكر.

عاصم: ودي سيجارة من الي بالي بالك.

حامد: أنا زي "ناجي".

سعد: يعني قارورة واحدة تكفي؟

مناحي: بلاش بخل اسكتلندي خلّها اثنين.

سعد: بس راح نشرب على العشاء Red wine.

مناحي: يعني وين العشاء وينا!

سعد يحدث النادل: Please two bring some ice & nuts

& battle of scotch.

"مناحي" الذي كان يراقب لهجة "سعد": الله... الله والله وسرنا نرطن

بالانجليزي يا صفر سبعة.

حامد: صحيح لهجتك جيّدة.

عاصم: لا تمدحوه كثيرًا ينفضخ راسه.

"مناحي" مصحّحاً لـ "عاصم": يتنفخ... يتنفخ يا الدّبّجة، هذا واحنا

ما سكرنا بدينا نخربط في الكلام.

سعد: المكان... اخترتوا المكان ولّا!

"عاصم" و"مناحي" في الوقت نفسه: ولا.

سعد: يا دمكم أنتوا الاثنين دم البق.

الجميع يضحك بما فيهم سعد.

What a happy group? النّادل:

What a fucking gay? حامد بعد أن غادر النّادل الطّاولَة:

سعد: ولا عليك عرفت إنّهُ gay على طول!

مناحي: لا الصّراحة عرفته على عرض.

الهاتف الخلوي الخاص بـ"حامد" يرن، "حامد" وهو ينظر الاسم الظّاهر في شاشة الجوّال: حبيبي "ماهر"... هلا وغلا.

ماهر: وينكم؟

حامد: في المقر.

ماهر: أنا في جلاس قو.

حامد: تمزح!

ماهر: والله، أنا هنا خلاص، بس قل لي وين المقر وخليّ "ناجي" يولم جيبه عشان يحاسب السّوّاق ما عندي Cash يكفي وعطني العنوان.

حامد: هاك "ناجي" كلّمه.

مناحي: أكلم مين؟

عاصم: أكيد "ماهر" يعني راح تكلّم الملك ياخي.

مناحي: هلا.

ماهر: لو سمحت كلّم السّوّاق وعطه العنوان.

مناحي: عنوان مين؟

ماهر: أنتو وين ها لحين؟

مناحي: في جلاس قو.

ماهر: أقصد الفندق أو الصّالة؟

مناحي: أنت وين؟

ماهر: أنا في جلاس قو.

مناحي: طيب تعال.

ماهر: بلاش سلاعة خذ الرّجال كلمه.

مناحي: قل له فندق هارت آرت.

"ماهر" يحدّث السّائق: Do you know heart art hotel?

السّائق: Yes.

ماهر: خلاص أشوفكم على خير.

مناحي: على خير.

حامد: قبل كم يوم اتكلّم من صنعاء، وقال ما أقدر أجى عشان التّأشيرة ما خلصت.

سعد: طيب الي أخذ تأشيرة على الأقل من اليوم وصاعد صارت له جنسيّة؟

مناحي: لا... وقدم بيبي الجنسيّة البرازيليّة.

سعد: كيف؟

مناحي: صحيح ترى العمليّة بسيطة تحوّل نص مليون دولار على أنّك رجل أعمال، يعطوك كارت وبعد خمس سنوات الجنسيّة.

سعد: ليه خمس سنوات؟

مناحي: يعني لو الإنترنت يبحث عنك أو أي أحد خلال خمس سنوات أكيد راح تبان.

"ماهر" يدخل عليهم الصّالة: سلام (ويوجّه كلامه لمناحي) & Go
pay the driver.
مناحي: Ok sir.

حامد (وهو يعانق "ماهر"): الحمد لله على السَّلامة.

ماهر: الله يسلمكم جميعاً من كل شرّ.

سعد: هات السَّالفة يا ولد نجد.

عاصم: أقول رَوْق واشرب كاس، وانتظر لما أخونا "ناجي" يرجع
وبعدين علّما السَّالفة كلّها.

حامد: "ناجي" تأخّر!

سعد: تلاقيه انتهز فرصة قومته وراح الحَمَام، ما تعرفه في البرد ولا إذا
شرب كثير ما شاء الله عليه الكِلية شغّالة.

عاصم: لا يقول أنّ مثنائه صغيرة.

ماهر (وهو يستلم الكأس من "سعد"): "ناجي" ما فيه شيء صغير
كلّ شيء فيه كبير.

سعد: وأنت شفت كلّ شيء؟

ماهر (بين ضحك الجميع): يا خبيث ما أقصد هذا... الظَّاهر الأخ من
عيال العمومة اللي يحرفوا الكلم عن مواضعه.

عاصم: هذا ناجي جا يا لله كمّل سالفتك.

حامد: الرّجال ما قال شيئاً... كيف يكمل.

ماهر: الصّراحة زي ما تعرفوا من يوم تركتكم آخر مرّة سافرت اليمن،
القرية اللي مفروض أكون أنا منهم، وبالفعل أخذني الرّجال اللي بالي بالك
للشيخ وقال له هذا ولدنا ولد فلان ابن فلان راح مع أبوه السُّعوديّة وهو
صغير وعاش هناك والحين رجع ويبي يكمل أوراقه ويعمّر أرض أبوه
ويزرعها، أنا عين على الشيخ وعين على الرّجال لاحظت الإشارة العمليّة
كلّها (بقش... فلوس... مصاري) قربيّ الشيخ منه، وقال جهّزوا الطّعام
وقدّم لي القات وكاس خمر، سألني: الحمد لله على سلامتك في وطنك.

ماهر: الله يسلّمك.

الشيخ: جبت البقش (الفلوس) معك، ولا تنتظر التحويل؟

ماهر: لا هي معي البيزات معي.

الشيخ: كم؟

ماهر: مية ألف.

الشيخ: يمّني!

ماهر: سعودي.

الشيخ: والباقي؟

ماهر: حسب كلام الرّجال بعد ما نخرج الأوراق النّظاميّة كاملة. وكلّها يومين والقرية كلّها عرفت إن ولد فلان رجع وراح يزرع ويعمّر أرضهم، ويومين وكلّ الأوراق انتهت وأخذت الأرض وثبتها في الدوائر الرّسميّة وشغلت ناس من القرية في الزّراعة.

عاصم: ويش زرعتهها؟

ماهر: حنة... لا... لا... زعتر... طبعًا زرعتهها (قات) هو فيه أفضل من (منظّمة القات) القات يجيب فلوس وبالتّالي يغسل فلوس.

مناحي: أهم شيء فتحت حسابًا بنكيًا؟

ماهر: بالطبع في صنعاء اشترت بيت آخر حلاوة.

حامد: يعني كلّ شيء تمام؟!

ماهر: الحمد لله ترى الإنسان الي ما يكون له وطن ما له عنوان، والي ماله عنوان ما هو إنسان زي البهيمة الله يكرمكم.

سعد: ويش قصّة البرازيل؟

"ماهر" وهو ينظر ناحية مناحي: لا... هذي قصّة ثانية... متى العشاء؟

"حامد" ينظر إلى ساعته: بعد ساعتين.

"ماهر" يناظر "سعد": يقولون أنت شيخ الجلسة حجرت ولا!

الجميع في صوت واحد وهم يضحكون: ولا.

سعد: عسى ما تظن إني حبل.

ماهر (مازحًا): أنا ما أظن أنا متأكد، الي زيك يجلس أربعة أيّام هنا من

غير ونيس!

حامد: لا تخاف البنات راح يقابلونا على البار قبل ما نروح على العشاء.

ماهر: ومين الي وزّعهم؟

سعد: ما في أحد وزع، مجموعة من البنات راح يتعشّوا معنا، الي تعجبه

واحدة يخمها المهم أنا صاحبتني لا أحد يقربها.

ماهر: قولوا لي فاتني شيء من الاجتماع؟

حامد: باختصار الجريح هو القائد.

ماهر يتعجّب: وأنت؟ (مخاطبًا "حامد").

سعد: هو الزعيم.

ماهر: عادل إمام يعني... طيسيسيب، بس برضه ما فهمت الجريح قائد

على إيه؟

"مناحي" قالها باللهجة الجيزانيّة: قائد على بيض.

ماهر: والله لو خليتم الاجتماع في الحرم وجنّبكم رئيس الاستخبارات

ورئيس ديوان المراقبة العامّة ورئيس المباحث وكلّهم متنكّرين لأنّ فيه

إخباريّة عن اجتماعكم وسمعوا كلامكم هذا، راح يطلعوا للملك ويقولوا له

طال عمرك لو لا سمح الله احتجت شي من الشعب ترى ما عندك أحد.

سعد: يا خبل لو قالوا له كذا راح يستغني عنهم، راح يفنّشهم، هو ما

حطّهم غير إنّهم كلّ يوم يقولوا له عددهم يزداد، زي الدّين العام، المتعاونون

معهم كثير، المتعاطفون معهم واجد، واحنا لا معدّاتنا تنفع، ولا عدد أفرادنا يكفي وهات يا خزنة وهات يا صرف.

ماهر: طيب آخر الموجز.

مناحي: بكم؟

حامد: راح نقوم بعملية نرسل رسالة عسى ولعل يفهمها أحد صح هذي المرة.

ماهر: أوه... دخلنا في الجد.

سعد: احنا في الجد من زاومن وأنت منت حاسس.

ماهر وهو ينظر ناحية "عاصم": ناقشوا... شيئاً؟

عاصم: التفاصيل لا... أعطوني كامل الصّلاحية.

ماهر: والتّمويل؟

عاصم: والتّمويل.

ماهر: المكان!... الزّمان!

عاصم: لا هذه تفاصيل ولسلامة العملية والمتفّدين ما أحد راح يعرف عن الوقت والمكان.

سعد: يعني زينا زي الآخرين راح نتفاجأ في الأخبار عن العملية.

حامد: المهم أقلّ ضحايا من جانبنا خطّطوا صح واتجنّبوا المدنيين قدر الإمكان.

عاصم: أمرك يا ريس.

ماهر: العمل لنا والسّمتة لغيرنا.

مناحي: أزين خلّهم بعيدين عنّا.

سعد: إي والله... الله يصرف شرّهم عنّا.

ماهر: أسألوني عن شرّهم!

سعد: صح أنت ذقت مُرَّهُم.

"حامد" ينتهز فرصة انشغال "سعد" و"ماهر" و"مناحي" مع البنات وينفرد بـ"عاصم": ها طمّني عن أخبار التّحليل.

عاصم: الحمد لله الي ما يُحمّد على مكروهه سواء.

حامد: يعني؟

عاصم: والله الأخبار شينة No hope.

حامد: ربّك الشّافي العافي لا تيأس من رحمة الله.

عاصم: ونعم بالله، بس وصيتي لو مت أمّي وأختي، أنا راح أترك لك رسالة في البريد الإلكتروني عنوانهم وطريقة الاتصال لو لا سمح الله احتاجوا شيئاً أنا تركت لهم بيتاً وبعض النّقد في حساب أختي وابن عمّي وزوج أختي رجال بس الواحد مما مرّ فيه ما يضمن الدّنيا.

حامد: الله يطوّل عمرك وترعاهم بنفسك.

عاصم: احنا اتعاهدنا وأمّي أمك وأختي أختك، وقل لن يصيبنا إلّا ما كتّب الله لنا.

حامد: ونعم بالله... وربّنا يشهد على كذا.

الرياض العاصمة في حالة طوارئ، معلومات عن وجود تحرّك لبعض الخلايا، سيّارة صغيرة تقترب من نقطة التّفّتيش في الطّريق الدّائري المتّجه للمطار، سعد بهدوء يحركّ المذياع، لمحطّة من محطات الـ(إف إم) الغنائيّة، وبرود يخرج سيجاراً من صناعة هافانا، يضعه بين أصابعه، يزيد من صوت الأغنية ويتظاهر بالغناء مع المطربة المشهورة بدلعها، وإثارتها للشّباب بحرّكاتها وتمايلها، لاحظ العسكري الذي يسمح للسيّارة التي أمامه بالحركة والاستمرار في السّير، وكذلك طلب منه الاستمرار في التّقّدّم، لاحظ في المرآة

أَنَّ العسْكَري يَدَوِّن رَقْم لَوْحَةِ سَيَّارَتِهِ وَمَا هِيَ إِلَّا دَقَائِقُ حَتَّى سَمَعَ صَوْتَ الطَّوَافَةِ فِي الْفَضَاءِ، أَتَّصَلَ بِسُرْعَةٍ بِالْهَاتِفِ الْخُلُويِّ الْخَطِّ الْمُبَاشِرِ عَنْ طَرِيقِ الثُّرَيَّا وَلَيْسَ عَنْ طَرِيقِ خَطِّ الْهَاتِفِ الْعَادِيِّ؛ لِأَنَّ الْمَحْطَّةَ الَّتِي فِي الْمُنْطَقَةِ تَمَّ تَعْطِيلُهَا:

سَعْدٌ: وَقَفَ تَحْتَ الْكُوْبَرِيِّ.

الصَّوْتُ مِنَ الطَّرْفِ الْآخَرِ: سَمَّ طَالَ عَمْرُكَ.

تَوَقَّفَتِ السَّيَّارَةُ الْيَابَانِيَّةُ الصَّغِيرَةُ خَلْفَ سَيَّارَةِ كَادِيلَاكٍ أَمْرِيكِيَّةٍ زُرْقَاءِ زُرْقَةٍ سَمَاءٍ صَافِيَةٍ فِي وَضْحِ النَّهَارِ، وَبِسُرْعَةٍ تَبَادُلِ السَّائِقَانِ أَمَاكُنْهُمْ، تَحَرَّكَ "سَعْدٌ" بِسَيَّارَتِهِ الْكَادِيلَاكِ، يَمِينًا نَحْوَ الثَّمَامَةِ بَيْنَمَا تَحَرَّكَتِ السَّيَّارَةُ الْيَابَانِيَّةُ الصَّغِيرَةُ نَحْوَ الْمَطَارِ، وَفِي نَقْطَةِ التَّفْتِيشِ التَّالِيَةِ صَعَقَ الضَّابِطُ وَالْقُوَّةُ الْمُسَانِدَةُ الَّتِي تَقَدَّمَتْ مِنَ الشَّابِّ الْقَابِعِ خَلْفَ مَقْعَدِ السَّيَّارَةِ أَنَّ الشَّخْصَ الَّذِي يَقُودُ السَّيَّارَةَ هُوَ شَابٌّ لَا يَزِيدُ عَمْرُهُ عَنِ الثَّانِيَةِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ، أَسْوَدَ اللَّوْنِ، طَوِيلَ الْقَامَةِ، نَحِيلٍ، قَدَّمَ أَوْرَاقَهُ الثَّبُوتِيَّةَ بِكُلِّ ثِقَةٍ، نَظَرَ الضَّابِطُ فِي عَيُونِ الْقُوَّةِ الْمُرَافِقَةِ وَالْمُتَوَاجِدَةِ فِي النُّقْطَةِ وَتَحَرَّكَ وَقَامَ بِالاتِّصَالِ.

الضَّابِطُ: عَمَلِيَّاتٌ.

الصَّوْتُ مِنَ الْجِهَازِ: مَعَكُمْ الْعَمَلِيَّاتُ حَوْلَ.

الضَّابِطُ: مُوَاصِفَاتِ السَّيَّارَةِ الصَّغِيرَةِ وَرَقْمِ اللَّوْحَةِ لِلْمَشْتَبِهِ فِيهِ لَوْ سَمَحَتْ.

الصَّوْتُ: اللَّوْنُ فَضِي مَوْدِيل ٢٠٠٣ أَرْبَعَةُ أَبْوَابِ رَقْمِ اللَّوْحَةِ...

الضَّابِطُ: مُوَاصِفَاتِ السَّائِقِ وَاسْمُهُ؟

الصَّوْتُ: "سَعْدُ عَبْدُ اللَّهِ الزَّدَنُ" خَطِرٌ جَدًّا.

الضَّابِطُ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَدَّةِ: لَوْنُهُ... طَوْلُهُ.

الصَّوْتُ: يَا ثَلَاثَةَ وَأَرْبَعِينَ عِنْدَكَ صُورَتُهُ وَمُوَاصِفَاتُهُ.

الضَّابَط: بس الي يسوق السَّيَّارة الي تقول عليها شاب أسود عمره اثنين وعشرين سنة، و استهارة السَّيَّارة باسمه يعني السَّيَّارة ملكه.

الصَّوت: معه ركاب؟

الضَّابَط: ولا لك لوا... طال عمرك بحاله.

الصَّوت: لحظة ثلاثة وأربعين... اثنين وأربعين... اثنين وأربعين.

صوت: اثنين وأربعين... حول.

صوت من المحطَّة: من الي بلغ عن المشتبه "سعد الزَّدن".

الصَّوت: رقيب "أحمد".

الصَّوت من المحطَّة: رقيب أحمد.

الرَّقِيب "أحمد": سم.

الصَّوت من المحطَّة: سم الله عدوك، أنت الي بلَّغت عن المشتبه "سعد عبد الله".

الرَّقِيب: إيه طال عمرك.

الرَّقِيب: متأكَّد من السَّيَّارة والمعلومات.

الرَّقِيب: بالتأكيد طال عمرك.

الصَّوت: أسمر ولا أسود؟

الرَّقِيب: حنطي في لوننا طال عمرك.

الصَّوت: ثلاثة وأربعين.

الضَّابَط: حوّل.

الصَّوت: فتشوا السَّيَّارة واعتذروا لصاحبها إذا ما حصلتوا على شيء، بس فتشوه تفتيشاً دقيقاً وشخصياً، مع بعض الأسئلة من وين جاي وين رايح... يعني.

الضابط المناوب يكتب المذكرة التالية (فقدنا أثر المشتبه به، الرجاء اتخاذ الإجراءات النظامية مع الرقيب "أحمد" للتحقيق معه، وعمل الكشف الطبي اللازم خاصة النظر) ويناوئها لأحد الجنود لتقديمها لمدير إدارة الأفراد في القطاع.

"سعد" الذي تحوّل إلى طريق الثّامة استمرّ في هدوئه ورباطة جأش، يسترق النظر إلى المرأة فلا يجد ما يثير الانتباه حتّى وصل إلى تقاطع طريق خريص، ومن هناك توجه إلى العليا ومنها إلى منزله حيث قام بتغيير ملابسه، ارتدى الزيّ الباكستاني، وتوجّه بشخصيته الجديدة إلى منفوحة، حيث بدأ في كتابة مذكراته باللغة الأردية، وفي اليوم التالي كان يغادر مطار الرياض إلى كراتشي بجوازه الباكستاني، في الطائرة كان يكتب تقريراً عمّا حدث.

وباستخدام ساعة للتوقيت المتوقّف استطاع "عاصم" أن يقيس ردّة فعل القوّات الأمنيّة في التعامل مع حادث من هذا القبيل، وبهذا الحجم، وعرف "سعد" أنّه من المطلوبين وأنّ صورته قد تمّ تعميمها على كلّ المنافذ، وقد تكون هذه المرّة الأخيرة التي يغادر فيها المطار بطريقة رسميّة، ومن الآن وصاعداً عليه بأحد الطّريقين شاماً شرقياً أم يميناً غربياً.

غاب "سعد" حوالي شهرين قضاهما مع زوجته وابنه سعود الذي بلغ السابعة من عمره، وكأنّه يستعد للبعد عنهما لفترة من الزّمن قد تطول، فكان يقوم بتوصية زوجته على رعاية الصّغير والسّفر به إلى استراليا، حيث خالها هناك وأن تقوم بتقديم طلب الجنسيّة لها ولـ "سعود" باسم "سعود بن سعد بن عبد الله" مع حذف اللقب الأخير لشخصيته الثّانية، والاهتمام بتعليمه، خاصّة اللغة العربيّة والإنجليزيّة وتربيته التّربية الإسلاميّة الصّحيحة وتدريبه على ركوب الخيل والسّباحة والسّلاح، كما لم ينسَ أن يطلب منها إرسال رسالة إلكترونيّة توضّح عنوانها ورقم الهاتف كلّما تمّ

تغيير العنوان أو رقم الهاتف في أيّ دولة وتحت أيّ ظرف إلى (علي) ابن خاله وقام بفتح حساب بنكي لها في كراتشي لتنقل أموالها إلى موطنها الجديد لشراء منزل هناك، والعمل على مشاركة خالها في تجارته المزدهرة في تجارة القصابة الإسلامية وتربية الماشية.

تعلن الخطوط الجوية الباكستانية عن وصول رحلتها رقم ٧٣٧ والقادمة من كراتشي، هبطَ منها العامل أكبر أمير أحمد شاه، وقد غطّت ذقنه معظم أجزاء وجهه، وقف بهدوء أمام موظف الجوازات، قدّم جواز سفره، وما هي إلا لحظات حتّى كان خارج أرض المطار، خاصّة وأنّه لا يحمل إلاّ حقيبة صغيرة حقيرة بها قطعة قماش بيضاء وسروال ومصحف في يديه.

ألقي بنفسه في المقعد الأمامي لسيّارة أجرة، وطلب من سائقها بلغة مختلطة بين العربيّة والأوردو أن يقلّه لحي الغيرة.

عاد "سعد" لعمله في الشركة كالمعتاد وتقلّصت حركته واقتصرت على العمل والمنزل والمسجد والسير على القدم لتنشيط الدّورة الدّمويّة في الشّوارع القريبة من منزله فقط، وتناول بعض الأقراص التي تساعد على محو ما علق في الذاكرة عن طريق استخدام طريقة التّركيز على الصّور أو الأحداث التي يُراد مسحها، ومع العلاج والتّركيز يصدر أوامره إلى الدّماغ بمسح هذه الصّورة أو الحدث؛ لذا فقد قام خلال فترة بقائه في أفغانستان يداوم على هذه الأقراص ورحلة التّركيز والمسح، واستمرّ عليها حتّى بعد عودته من هناك، وكان يتذكّر فقط حياة "سعد سعيد" والعمل في شركة المقاولات وعمله كسائق للأجرة، أمّا زوجه وولده فقد كانا من قائمة الأحداث المنسيّة خوفاً عليهم، ولم يبقَ حبلاً يوصله بهما غير موقع للبريد الإلكتروني طلب من ابن خاله (علي) أن يتابعه فهو لا يثق في أحد غيره.

المعلومة التي وصلت رجال الأمن أنَّ "سعد الرّذن" قد عاد يخطط لعمل إرهابي!

أين؟... متى؟... كيف؟ علّم ذلك عند ربّي!

معلومات، تقارير، عمليّات تحرّ هنا وهناك، ورش عمل، ودرجة الاستعداد ترتفع يوماً بعد يوم، فكلّما تأخّر الوقت في إلقاء القبض على المشتبه به أو بهم، زادت درجة القلق لدى كبار القادة في الأمن العام بأن فسحة الوقت المطلوبة لتحقيق عمل إرهابي ما، تزيد من حرج القادة لدى المسؤولين وبالتالي ترتفع درجة التّوتّر التي تنعكس على القرارات المتلاحقة من جميع المناطق المترامية، وكلّما زاد التّوتّر والقلق أكثر قلّ التّوم، وبالتالي يقلّ التّركيز والبحث عمّا اخترعه الطّب من مواد كيميائيّة تسمّم الجسد، حرب الأعصاب بين فريقين أحدهما ظاهر والآخر متخفّ تجعل من التّخيط وكثرة الاحتمالات والآراء؛ مما يزيد من تعقيد المشكل وهذا ما يسعى الطّرف الثّاني إلى خلق واستغلال التّكتيك المطلوب لعمليّة التّشتيت الذي يقابل التّكتيك المتّبع في الضّربات الاستباقية، فمنّ ينجح ويكسب الجولة وأي نوع من التّكتيك سوف ينجح لكي يسجّل ومن ثمّ يدرس.

في غرفة العمليّات تتكاثر التّقارير والتّحليل والاحتمالات، وسعادة اللّواء يدخّن السّيجار بهدوء، ويسأل نفسه في صمت التّفكير... وين أنت يا "سعد"؟ صحيح اسمك "سعد" ولا كنية؟ لو كنت مكانك وين أعملها؟ متى أعملها؟ كيف أعملها؟ مناطق التّفّتيش في كلّ مكان يا "سعد"، يعني لو كنت مين ما راح تقدر تحرّك سيّارات الموت؟ كيف؟ سيّارة الموت قرب الهدف! آه يا مجرم! حدّدت الهدف، ووضعت متفجّراتك بقرب الهدف... وين الهدف؟ قل لي؟ تراك عقدت الموضوع يا "سعد".

لعبة الذكاء الي كنّا نلعبها واحنا صغار وين غبيت الضّاع، عسكر وحرامي.

في الرّياض، في جدّة، ولّا الدّّمّام، ما تقدر تعملها في المدن الصّغيرة صح؟! صعبة المدن الصّغيرة صعبة كدا ولا لا؟ وما لها أهميّة! واحدة واحدة على مهلك... على أقل من مهلك... تكفى يا "ابن الوقّاص" تكفى يا "سعد"، قل وين أنت؟ في الرّياض ولّا جدّة ولّا الدّّمّام، مقدّم يطرق باب تفكيره، يستأذن بالدّخول، اللّواء يسمح للمقدّم بالحديث بإشارة من يده، دون أن يلتفت إليه.

المقدّم: طال عمرك عندنا معلومات تقول إنّ "سعد" موجود في الرّياض وناس شافوه يسوق تاكسي.

اللّواء دون أن يلتفت ناحية الصّوت أو طاولة العمل: "سعد"... "سعد" ولا شبح "سعد".

المقدّم: المعلومات تقول "سعد".

اللّواء: عندكم معلومات عن التّاكسي؟

المقدّم: الي شافه طال عمرك قال ملح واحدًا يشبه صورة المطلوب في منطقة البطحاء.

اللّواء (وهو يلتفت بهدوء نحو الصّوت): ملح واحدًا يشبه (كرّرها بهدوء وأضاف) ويش يسوّي واحد في ذكاء "سعد" يسوق تاكسي في هذا الوقت في البطحاء وهو ناوي على عمل إجرامي وعارف أن البلد مقلوبة عليه... معقول!

(وضع السيّجار بهدوء في منفضة السّجائر) نظر ناحية المقدّم، سأل بتعجّب ورغبة في التّأكّد (في البطحاء! وسط الشّوق!) وقال في نفسه: (لا يا

"سعد" أخبرك نذل بس لا مو لهذي الدرجة، الضرب تحت الحزام خطر،
ويزعل).

اللواء بصوت يسمعه كل من في غرفة العمليات: بلغ نقط التفّيش
تراقب سيّارات الأجرة أبغى تفتيشاً دقيقاً على سيّارات الأجرة كلّها، يا عقيد
"محمّد" اطلب من المروحيّات التّحرّك نحو وسط البلد في الرّياض لا
يعملوا شيئاً، بس يعملوا حركة علشان يبعدوا هذا المجنون من وسط البلد،
هذا إذا كان فعلاً موجود وسط البلد لازم نخليه يغيّر الملعب. يضغط على زر
جهاز اتّصال يا عقيد "عناد" ... عقيد "عناد".
عقيد "عناد": سم.

اللواء: سم الله عدوك أبي رجالك اللي في السّوق يفتحوا عيونهم،
ضاعفوا عددهم، خاصّة أصحاب الملابس المديّة والشّحّاذين والبائعين
الجوالين وعمّال الزّباله أبغى رقابة لصيقة Man to man على كلام أهل
الكورة، ضيقوا المساحات في المنطقة، وانتبهوا لسيّارات الأجرة، يُقال إن
المقرود يتمشّى في تاكسي تراه هو السّوّاق في البطحاء عندك، أي حركة يشتبّه
فيها الإبلاغ الفوري رجاء خليّ أولادك يفتحوا عينوهم طيب، المباراة شكلها
سخن، ينظر للعميد عدنان الذي كان يصنّف التّقارير والتّحريات والتّحليل
المتلاحقة، اعتقد أنّ "سعد" يبغى منّا التّركيز في وسط البلد وهو في مكان
ثانٍ.

العميد عدنان: تقصد يسحبنا طال عمرك.

اللواء: لو كنت مكانه أعملها ولاّ إيه؟

العميد عدنان: إيش الهدف؟

اللواء: فراغات ... يحتاج فراغات يقدر يتحرّك فيها العمليّة كدا خانقته،
احنا بالنّسبة له واضحين حتّى يمكن عارف اسم كل واحد فينا عددنا حتّى

معدّاتنا، لما يسحبنا داخل البلد من الصَّعب النَّقل لمكان العمليَّة المحتمل لصعوبة الحركة في وسط البلد، هذا إذا ما حط بعض العراقل الي تبدو طبيعيَّة.

العميد عدنان: زي؟

اللواء وهو يبحث في عين العميد عن شيء لا يجده: حادث مروري عرضي... حريق مفتعل... مشاجرة كبيرة بين جنسيَّين يشعلونها، فوضى غير منظّمة... تكسير محلات تجاريَّة يتبعها نهب وسرقة... شيء زي كذا يعني تشيت انتباه الضَّحيَّة أو الفريسة أو الخصم، وهنا ما يشتت فقط يقسم ويغنم ويسوي ما بداله.

يضغط الزرّ مرّة ثانية: أقول يا عقيد "عناد" خليّ الأجنحة والأظهرة من جماعتك على الأطراف، ويكونوا مستعدّين للتَّنقُّل بأسرع وقت للتَّغطية الاضطرابيَّة في بعض المناطق الضَّعيفة، خاصَّة الحسَّاسة يا جماعة احنا نتعامل مع إبليس وعياله.

عقيد "عناد": أمرك طال عمرك.

المقدّم: بس طال عمرك في الوقت نفسه هناك تحريات ثانية عن وجود "سعد" آخر بين حي السليمانية والعليا.

اللواء: اشرح لي، كيف!

المقدّم: بلاغان كلّ واحد منهما يقول شاف الأوصاف، بس واحد في البطحاء والثَّاني بين السليمانية والعليا في شارع العروبة يعني في منطقتين مختلفتين في الوقت نفسه.

اللواء: الاحتمال، واحد فيهم الشَّبيه والثَّاني حقيقي.

العميد "عدنان": إيش تقصد طال عمرك.

اللواء: يعني واحد ابن الوقاص الحقيقي والثاني يشبهه، المهم فيه تنسيق بينهما ولا مجرد صدفه؟

العميد "عدنان": دا خطير فعلاً إذا عمل نسخة ثانية.

اللواء: قلت لكم انتبهوا احنا نلعب مع الشياطين.

"عاصم" الذي يهرّب المعلومات التي تخدم أهدافه لجهاز الأمن عن طريق بعض الأعضاء المتخصصين في نشر الإشاعات السريّة الوهميّة والحقيقيّة منها حتّى تجعل المتلقّي في حيرة من أمره، يراقب ويحسب ردود الفعل لدى الخصم، بعد أن اطمأنّ على زواج أخته من ابن عمّه فقد عمل منذ أن عاد من اجتماع اسكتلندا، على تكوين فرق للبحث عن هدف، يراقب الأهداف المختارة وحده دون علم الخلايا الأخرى المجنّدة لهذا الغرض، كان يراقب كلّ هدف على حدة لعدد من الايام، الجوار، الطرقات المؤدّيّة، المخارج، الحراسة، نقاط ضعف المبنى، المسافة، وقت ذروة السير في الطرقات للمركبات، وهكذا بعد عدّة أشهر كان لديه مجموعة كاملة من المعلومات عن الأهداف وللسريّة التأمّة لم يبلغ أحداً البتة عن الهدف الذي سيقوم بتدميره، بل جعل الجميع يعتقد أنّ الهدفين اللذين سيتم تدمير أحدهما بعيدين جدّاً عن مسرح عمليّاته، وعيّن مجموعتين انتحاريّتين، كلّ واحدة في موقع على أن يكون التفجير يوم خميس.

ينظر أمامه لنموذج غرفة عمليّات، وضع (الفريق) رئيس المباحث العامّة شخصياً كقائد للفريق المضاد، ووضع بعض الأولوية، كلّ باسمه، وملفّاً كاملاً عن شخصيّته، كيف يفكر في العوامل التي تثيره أو تقلقه، نقاط الضعف، نقاط القوّة، وعلى الطاولة الأخرى في الغرفة نفسها عميدان، والثالث برتبة عقيد، ومقدّم، ووضع لكلّ واحد منهم اسماً ومجموعة من الضبّاط الآخرين برتب مختلفة على الأجهزة لمراقبة الوضع وآلات التصوير

التي تراقب بعض الطرقات، خاصّة الرّئيسة في العاصمة، كان وفريقه يمثلون ماذا يجري في غرفة العمليّات وكيف يفكر الخصم، وكيف أنّ الفريق يصدر أوامره بناءً على المعطيات التي أمامه، وتلك الفطنة والدّهاء اللذان يملكهما، فالصّراع هنا هو صراع يتميّز بالذكاء والسّرعة والمباغطة في محاولة للسيطرة على المباراة. الفرق بين الفريقين أنّ معالي الفريق وفريقه ليس لديهم كامل المعلومات عن أفراد الفريق الخصم، بل حتّى المعلومات التي أمامهم مشوّشة وغير مكتملة، وقد تكون غامضة أو مدسوسة، وهذا ما يجعل اللعبة أكثر تشويقاً فهو يلعب أمام أشباح، تتحرّك بسرّيّة تامّة، سواء كانت حركتها مستترة بظلام الليل أو تحت أشعة الشّمس الحارقة.

تتجمّع التّقارير لدى "عاصم" لقراءتها وتحليلها من قبل جهازه المختص، يحرك دمية صغيرة لسيّارة أجرة كتب عليها الشّبيه داخل منطقة البطحاء في الرّياض المزدهمة بالمارّة من جميع الجنسيّات (شخص يشبه ابن الوقاص) وطلب من "سعد" أن يتّجه بسيّارته التّاكسي في الوقت نفسه في شارع العروبة بين العليا والسّليانيّة، بعد أن قام بتهريب بعض المعلومات عن ابن الوقاص وصورته وهو في أفغانستان مع بعض المقاتلين الأفغان تجعل رجال الأمن ينصرفون عنه وعن جماعته، ويتركونهم للعمل بهدوء، فهو قد حدّد مكان العمليّة وجّهز السيّارة في محباً أرضيّ لأحد المنازل المحيطة، والذي لا يبعد عن الهدف كثيراً، لا يؤلّه شيء إلّا ألم أمعائه التي تفسّى فيها مرض السّرطان، وصوت الطّبيب المختص في مستشفى الملك فيصل التّخصّصي في الرّياض، وهو أنّ حالته ميئوس منها وإنّ التّدخّل الجراحي لا نفع منه سوى العجلة في الموت المحقّق، وأكّد ذلك العديد من الأطباء في انجلترا في مركز الأورام عندما قام بزيارتهم بتشديد من قبل "حامد شاكر"، وما هي إلّا مسألة وقت وينتهي الألم إلى الأبد، لم يزعج "عاصم" هذا؛ فهو يؤمن أنّ

الموت حقٌ، ولكنه قَرَّرَ أن ينتقم من المجتمع لما ترك فيه من آلام وما أسقاه من مرارة الحياة دون وجه حق؛ فهو يؤمن أنَّ الموت حقٌ، وساعة الأجل لا تقدّم أو تؤخّر، ولكن يؤمن أنَّ الأفعال من الإنسان وليست مقدّرة بقدر، بل يؤمن أنَّ الله سبحانه وتعالى خلقنا وخلق الأفعال أيضًا، الفاضلة منها والخبيث ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ٥١ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٥٢﴾، والإنسان هو مَنْ يغرف من هذه الأفعال ما شاء، وبالتالي يتم وزن الحسنات والسيئات من مجموعة الخيارات، فما قام به المجتمع من ظلم تجاهه وتجاه أمّه لا يتحمّله بشر؛ لذا فهذه هي اللحظة المناسبة التي يرد فيها صفة المجتمع له، التي لم يعلن عنها لحسّتها ودناءتها، بصفعة تتناولها وكالات الأنباء العالميّة، وتحدّث عنها الأجيال، قد يختلف النّاس في موقفها، وقد يختصمون ولكن لا بدّ أن يسمع عنها القاضي والدّاني؛ لذا فقد قَرَّرَ أن يقوم بعملية الانتحار بنفسه عوضًا عن شخص آخر قد يحتاجه التّنظيم في عمل ما في يوم ما.

اختار شابًا قريب الشّبه من ابن الوقاص أو الذيب، ودربه كيف يتهرّب من الرّقابة، وهناك مجموعة تحميه وتعرقل مطارديه، كلّ هذا و"سعد" يتبع أوامر "عاصم" في التّحرّك لا يعلم ما يجري سوى أنّه أصبح من المطلوبين، كان الشّبيه يظهر فجأة ويختفي كما ظهر فجأة ممّا يحير مطارديه.

الشّبيه لا يتحرّك من مكانه المتعدّد إلّا بعد أن تأتيه الإشارة بالتّحرّك في النّطاق المحدّد والاختفاء حتّى يجرّكه أمر آخر، وكذا "سعد" لا يعمل شيئًا غير الظهور الفجائي والاختباء السّريع.

في ساعة الصّفر طلب "عاصم" من الشّبيه قيادة سيّارة ونيت في الدّائري الشرقي ويتّجه جنوبًا كانت محمّلة ببعض المعدّات من قطع غيار مختلفة للسيّارات والمكيّفات وبعض أجهزة الحاسب الآلي المعطّلة والهواتف الجوّالة

القديمة، وكانت كل مجموعة من هذه القطع قد رُتبت وُصِّفت وكأَنَّها مواد قد تُستخدَم للتفجير؛ ممَّا يجعل خصمه يعتقد أَنَّهُ قد كسب الجولة الاستباقية وتمَّ تفادي العملية في الوقت الذي طلب من "سعد سعيد" أو "سعد الرذن" أن يقود سيارته الأجرة في الاتجاه المعاكس للشَّبيه على الطَّرِيق الدَّائري الشرقي ويتَّجه شمالاً في الوقت نفسه.

"سعد" الذي أصبح جاهزاً لمجابهة أعظم فصول حياته، كما كان يقول لنفسه، تلك الفصول التي رسمها بخطَّ يديه، ساعدته على ذلك الأقدار وبعض الظروف لترتيبها كما يريد ويبغي، قام بحلاقة ذقنه، فظهر أكثر وسامة وأقلَّ عمراً عندما حلَّق ذقنه ورُتَّب شاربه، وبعد الاستحمام ارتدى ثوباً جديداً وكأنَّه ذاهب لملاقاة مسئولٍ كبيرٍ يحدِّد في لقائه مستقبله، كان يقود سيارته الأجرة البيضاء على الطريق الدَّائري الشرقي، متوجَّهاً نحو الشَّمال، وفي الاتجاه الآخر كان الشَّبيه يقود سيارة نقل المعدَّات جنوباً في الاتجاه المعاكس.

وفي نقطة التَّفَتُّش طلبَ العريف من "سعد" الحقيقي أن يوقف السيَّارة، تبسَّم، أوقف السيَّارة بالكامل، طلبَ منه العريف أن يترجَّل بهدوء بعد أن فتح له الباب، ترجَّل بهدوء وتجمَّعت عليه قوَّة دعمت من قبل مروحية من المروحيَّات وطلبَ منه النزول والابتعاد عن السيَّارة رافعاً يديه إلى أعلى والخروج بهدوء، وعندما طُلِبَ منه وضع يديه فوق سقف السيَّارة وأن يبعد ما بين قدميه وعدم التَّحرُّك كانت الأوامر تأتيه عبر مكبَّر للصَّوت، اللواء وهو يتابع عملية القبض على "سعد" يسمع في الجهاز عن وجود "سعد" آخر يقود سيَّارة نقل يعتقد أنَّ في داخلها متفجَّرات قد تمَّ إيقافها ومتَّجهة نحو (الخروج)، حيث سكن بعض من القوَّات الأمريكيَّة وبعض من أفراد القوَّات المسلَّحة، أيُّها "سعد"؟ وأيُّها الشَّبيه؟

"سعد" الذي مثل دور البريء الخائف لكي يكسب بعض الوقت يطلب من الجميع إبعاد السلاح ويصرخ بأنّه بريء لا يعرف ماذا يجري، ويماطل دون استفزاز أن يطلق أحدهم رصاصة أو رشاشاً، عمل كلّ ما يُؤمّر به بنوع من الخوف والرَبْكَة وعدم الإدراك، طلب منه الانبطاح على الأرض ووضع يديه خلف ظهره، وتبرّع أحد الجنود بإلقاء نفسه عليه ووضع القيود في يديه، ومن ثمّ قام آخر بتقييد قدميه، سُحِبَ أمام الجميع بعد أن تمّ تغطية وجهه بالشَّعَاغ الذي كان يرتديه ووقع على الأرض وداسته الأقدام، ووضع في سيارَة مصفّحة تحرسها قوّة خاصّة انطلقت به نحو سجن الحائر.

تعالوا لنشعل في الليل أملاً

يضيء بصيصه ليل طويل

تعالوا لنصنع عملاً عظيمًا

نسّميه للأرض ردّ الجميل

تعالوا لنسقي فرع الكرامة

دماً قد سقاه من قبل جيل

(السُّفْيَانِي)

في الوقت نفسه الذي كان اللواء فيه فرحاً بالقبض على "سعد عبد الله" أو ابن الوقّاص أو الذّيب وتبادل التّهاني، كانت المعلومات الرّسميّة تنتقل بسرعة البرق بين القطاعات الأمنيّة، ذلك الخبر الذي قوبل بارتياح كبير من قِبَل الجميع، بل والتّهاني من قبل المراقبين، خاصّة في غرفة العمليّات، قام "عاصم" والذي صمّم الخطّة بقيادة السيّارة المفخّخة، فقد طلب من المتأمّرين إخلاء المكان والانصراف وعدم التّحرّك حتّى تأتيهم إشارة منه أو

من القيادة في التَّنْظِيم، واتَّجِهْ نحو الهدف بعد أن قام بحلاقة ذقنه وشاربه ووضع شريط أغنية فوق هام السُّحْب، وأخذ يردّد كلماتها مع الفنَّان "محمَّد عبده" بصوتٍ عالٍ.

عندما بلغ بَوَّابة الهدف أوقفه العسكري الذي كان يتحدَّث عن طريق الجهاز مع شخص آخر، كان الجميع مسرورًا بأخبار سقوط "سعد" في قبضتهم، الجميع تقريبًا على الهاتف أو الجهاز يتناقلون الأخبار بالتفصيل، يقظة رجال الأمن، الخطَّة، العمل الجماعي.

قال الجندي في الجهاز: شركة الصِّيانة الدَّوريَّة وصلت.

الصَّوت: ويش نوع السَّيَّارة.

الجندي: فان مكتوب عليها شركة (...) للصِّيانة.

الصَّوت: السَّائق ملتحي؟

الجندي: ولا لك لوا.

الصَّوت: صغير؟

الجندي يسأل "عاصم": ويش اسمك؟

"عاصم" مقلِّدًا اللهجة المصريَّة: رمضان.

الجندي: أقصد عمرك... كم عمرك؟

عاصم: أربعين... أربعين سنة.

الصَّوت: كبير يا رَجَّال.

الجندي: شكله مرفَّه وميسوط مع أغنية فوق هام السُّحْب.

الصَّوت: خلّه يدخل.

سمَحَ له بالدُّخول، وعندما وصل إلى بَوَّابة المبنى الدَّاخلي، وأصبح تحت المبنى مباشرة، طلب منه أحد الجنود عدم الوقوف في هذا المكان، سحبَ

"عاصم" الحزام النَّاسف وسمع صوت دوي قوي هزَّ المنطقة، وتناثرت أشلاء الضَّحايا وتصدَّعت أجزاء المبنى بعد أن تحطَّمت نوافذه. صعق اللواء بخبر تفجير المبنى وُصِّدَ عندما علم بعدد الضَّحايا، خاصَّة من المدنيين والأطفال، فبعد أن ظنَّ أنَّه فاز في الجولة وجدَّ نفسه ومَن معه أنَّهم قد خسروا المباراة بالكامل.

بعد التَّحقيق المبدئي مع الشَّبيه تمَّ الإفراج عنه لعدم تطابق المواصفات، ولأنَّ الشَّبيه عبارة عن رجل يعمل في حراج الخردة ولا علاقة له بالإرهاب.

بعد عشرة أيَّام من اجتماع الخليَّة في فندق هارت آرت في اسكتلندا عاد "حامد" وأخوه العليل من آثار حادثة جهيمان في الحرم المكيَّ الشريف إلى جدَّة، حدَّثه "مناحي" بأنَّ يستثمر في الأسهم، خاصَّة بنك الرَّاجحي، قَسَم حوالي تسعين مليون ريال بين سهم الرَّاجحي وسابك وشركة بيشة الزراعيَّة، أمَّا "ماهر" فقد تركَ (جلاس قو) واتَّجه إلى دبلن، حيث أمضى قرابة أسبوع هاربًا من لندن، هاربًا من ماضيه، وخائفًا أن يلتقي بباريا أو صوفيا المراقبين من قِبَل عملاء الاستخبارات السُّعوديَّة، فأدخلها في نظام الدَّول والمدن التي لا يمكن أن يصل إليها أو يزورها إلَّا (ترانزيت) في حدود المطار، ومنها غادر إلى صنعاء، ومن ثَمَّ إلى منطقة (شبوَّة)، حيثُ قام بالإشراف على مزرعته وسلَّمها لوكيل أعماله لكي يضع غلَّة المحصول من القات في حسابه البنكي، وعاد إلى صنعاء حيث قام بتأجير منزله إلى أحد السَّفارات، فهو قد عقدَ العزمَ على المغادرة إلى شيلى بعد أن وصلته الأوراق الرِّسميَّة التي تفيد أنَّ بإمكانه الإقامة في شيلى بعد أن قام بتحويل مليون دولار أمريكي في أحد البنوك هناك لشراء مزرعة للتَّفاح، وفي ذهنه إنشاء مصنع لعصير التَّفاح لتصديره للخارج؛ لذا فإنَّ الحكومة في شيلى ترحَّب بالمستثمرين الأجانب

وتمكّنهم من الحصول على الجنسيّة بعد خمس سنوات من الاستثمار، اتّجه إلى القنصلية الشّيلية، وقَدّم أوراقه الرّسميّة كأحد التّجار اليمينين، وحصلَ على تأشيرة الدُّخول خلال ثلاثة أيّام قضّاها في صنعاء لتجهيز نفسه للمغادرة التي قد تطول هذه المرّة.

عندما وصلَ إلى فندق (بلازاك) ذا الطّراز الأندلسي القديم، حيث حجزَ غرفة في هذا الفندق بناءً على توصية من قِبَل القنصلية الشّيلية في صنعاء، فوجئ عندما قام بتعبئة الاستمارة الخاصّة بالنّزلاء بأنّ الشّاب الذي قدّم له مفتاح الغرفة بعد أن تسلّم منه الأوراق والجواز يقول له باللغة العربيّة:

- أهلاً وسهلاً.

لم يصدّق أذنه فهو قد اختار هذا المكان النّائي من العالم ليهرب بنفسه من هذه اللغة ومن أهلها، قال بابتسامة صفراء:

- أهلاً وسهلاً... الأخ عربي!

- جنسيّتي شيلية، أمّا أصلي فأنا ابن عرب من الشّام.

- مسلم؟

- لا...

- مسيحي!

- لا.

- لا تقول لي...

- لا... أنا لا ديني.

- لك فترة هنا؟

- بعد حرب ١٩٦٧م... كنتُ في الجولان... أنا سوري من مرتفعات

الجولان.

- أهلاً... أهلاً.

- إذا محتاج أي خدمة؟ أنا تحت أمرك... هذا تليفوني الخاص... في النادر
يجينا عرب على هالأوتيل.

- تتكلم أسباني؟

- باحكي عربي وانجليزي وأسباني... بس باكتب عربي وأسباني منيح...
أعرف أقرأ انجليزي بس ضعيف شوي في الكتابة.

- أهلاً... وسهلاً... الحقيقة فرصة سعيدة، وأنا بعد ما أرتاح أقدر
أعرف ويش راح أعمل في هذه الدّيره.

صعد إلى غرفته، رتبّ ملابسه وألقى بجسده على السرير، لا يعرف كم
عدد الساعات التي استغرقها في النوم، ولكنه أحسّ بالجوع وهو السبب
الرئيس في إيقاظه، نظر إلى الساعة المعلقة على الحائط، كانت تشير إلى
الخامسة والنصف صباحاً، خلع ما تبقى من الملابس التي رافقته رحلة سباته
العميق، دخل إلى الحمام، أدار صنّبور المغطس بعد أن وضع السّداة في مكان
تهريب الماء من أسفل المغطس، تأكّد من حرارة الماء، التفت نحو المغسلة،
نظر في المرأة، لا يزال الاحمرار في عينيه من آثار التعب والنوم، أخرج معدّات
الحلاقة، قام بحلق ذقنه وشاربه، ألقى بجسده في المغطس وأغمض عينيه
مستمتعاً مرخياً عضلاته، وبعد أربعين دقيقة قام وجفّف جسده وسرّح شعره
وارتدى ملابسه، وتوجّه إلى مطعم الفندق، حيث النّية في تناول إفطاره.

لم يكن هناك أحد في المطعم سوى رجل عجوز يضع نظّارة سميكة على
عينيه يقرأ الجريدة ويحتسي كوباً من القهوة، وهناك على الطاولة في الزاوية
توجد سيّدتان تتناولان إفطارهما، استأذن للدّخول ومشى بخطوات ثابتة
خلف النّادل الذي وقف في انتظار طلبه من القهوة أو الشاي، أمّا الفطور فهو
على طريقة البوفيه المفتوح، طلب بعضاً من القهوة.

قام بجولة على المعارض الصَّغيرة الموجودة في بهو الفندق، كلَّ شيء حولك هنا يدلُّ على أنَّ الأسبان استعمروا هذه البقعة من العالم ليقبوا، لا لينهبوا ثرواتها ويعودوا بها إلى مدريد، وإنَّ تحوَّلت بعض الأموال المنقولة من ضرائب وخلافه إلى هناك، ولكنَّه ثمن هذه الحضارة التي بنوها ونقلوها من العرب، خرج إلى الشَّارع حيث بدأت الحركة في سانت ياقو أو (سانت يعقوب) العاصمة من عربات ومارة، فالسَّاعة قاربت على التَّاسعة صباحاً، تسكَّع في الشَّوارع القريبة من الفندق، دخل إلى العديد من المحلَّات يقلب نوعيَّة البضائع، والأسعار، كان الجو لطيفاً فدرجة الحرارة حوالي خمس وعشرون درجة، وها هي السَّاعة تشير إلى الواحدة بعد الظهر، لفت نظره محل لبيع (الشَّاورما) والفلافل أو الطَّعميَّة، دخلَ المحل، قرأ قائمة الطَّعام ونظرَ إلى صور الطَّعام، وجدَ أكلة تُسمَّى (بكايا) ونطقها بالعربيَّة (بقايا)، طلبَ منها صحناً يكفي لشخص، أحبَّ هذا النّوع وإن لم يكلف نفسه بالسُّؤال عن نوعيَّة اللحم؛ فهو لا يعرف من اللغة الأسبانيَّة شيئاً، تحدَّث مع نفسه وهو يلتهم الطَّعام بلذَّة، حتَّى أنواع من الأكلات يمكن أن تنتقل إلى هذا البعد من العالم، كيف لا والأسبان قد احتلُّوا هذا الجزء من العالم منذ عام ١٥٤٠م، ولم تتحرَّر تشيلي إلَّا في عام ١٨١٨م، فعرفَ سبب التَّسمية وعاد به التَّاريخ حيث كان العرب المسلمون يحكمون الأندلس، وكانوا يطعمون الفقراء من بقايا موائدهم؛ لذلك سمَّيت بكايا أو بقايا، تبسَّم ابتسامة صفراء بمرارة، فالعرب والمسلمون الآن يأكلون من فتات وبقايا الشُّعوب الأخرى. وردَّد قول الشَّاعر "فاروق جويده":

يَوْمًا بَيْنَنَا قُصُورُ الْمَجْدِ شَاخِخَةٌ وَالْآنَ نَسْأَلُ عَنْ حِلْمٍ يُوَارِنُنَا

عادَ إلى الفندق من جولته، سأل عن سام أو (سامي) الشاب العربي المهاجر، علم أنَّ وِردِيته من السَّاعة الرَّابِعة عصرًا حتَّى السَّاعة الثَّانية عشرة مساءً.

توطّدت العلاقة بينه وبين سامي شلبي الجولاني، الذي أعطاه فكرة جيّدة عن هذه الدَّولة الهادئة الثَّائرة، فهي تمتلك ثلث احتياطي العالم من النّحاس تقريبًا، أسّس شركة زراعيّة وعيّنهُ مديرًا لمكتبه، قام بشراء مزرعة كبيرة لزراعة البنجر الذي يُستخدَم في صناعة السُّكَّر، ووكل على إدارتها مزارع تشيلي يهودي يُدعى بنجامين كونزالس، وأطلق عليه اسم بن يمين، واشترى منزلًا صغيرًا في غرب البلاد في مدينة صغيرة تُدعى سان أنطونيو على مرتفع يطلّ على المحيط، ولكنّه يقضي معظم وقته متنقلاً بين فالباري زو، حيث مكتبه هناك في العاصمة، برغم أنَّ مدينة (فالباري زو) وهي أهم ميناء للدَّولة على شواطئ المحيط الهادي، والتي سجّل فيها شركته وفتح فيها مكتب الشركة الرّئيس وهي مركز حضاري وعاصمة إقليم فالبري زو، وقد تمَّ اختيارها من قبل منظمة اليونسكو كأحد المدن الثَّرائية في العالم في العام نفسه الذي وصل فيه "ماهر" كانت تحتفل باختيارها من قِبَل الكونغرس التشيلي لتصبح عاصمة الثّقافة، وذلك في العام ٢٠٠٣م إلّا أنّه فضّل أن يكون منزله بعيدًا قليلًا عن مكان العمل؛ فاختر هذا المنزل الصّغير الهادي، ولا يعلم عنه أحد شيئًا.

سجّل في الغرفة التّجاريّة وأخذ يرسل التّجار في أنحاء العالم، وفي الولايات المتّحدة الأمريكيّة بصفة خاصّة، وبالذات أولئك الذين ينصرف همّهم في الأبحاث الزراعيّة وانهمك في عمله الجديد، إلّا أنّ حنينه للكتابة والصّحافة جعله يتعاقد مع صحيفة يوميّة تصدر باللغة الانجليزيّة لكتابة عامود يوميّ، يؤمن أنَّ الإعلام بصفة عامّة والصّحافة بصفة خاصّة إذا

أرادت أن تؤدّي دورها على أكمل وجه، يجب أن تعتمد على الأسس التالية:
الاستقلال المهني، الأمن ويشمل الأمن بمفهومه العام المالي كدخل أساسي
للصحفي والأمن الجسدي له وللمقرّبين منه، التدريب المستمر.

لذا فيجب أن تكون هناك هيئة مستقلة مسئولة عن الصحافة أو نادي أو
رابطة للصحفيين، سمّها ما شئت على أن تقيم مهرجاناً كلّ عام؛ لإظهار
أفضل صحيفة من الصحف وأفضل قلم خلال العام، وأفضل مقال تحت
ضوابط واضحة ومعروفة للجميع؛ لترك باب المنافسة مفتوحاً على
مصراعه، فقد تعلّم من خلال عمله أن معظم الصحف العربيّة تعتمد على
العناوين الرّئيسة مثلها مثل بقيّة صحف العالم، ولكنّ العناوين الرّئيسة فيها
غالبًا ما تكون مضلّلة، وبعضها رديء ومنها ما هو صعب فهمه وغير متوافق
أو متّصل بالموضوع، ومنها ما هو غير جذاب بصريّاً، ومعظم التّقارير التي
تُكتب إمّا مختصرة ومبتورة؛ وبالتالي فهي غير مفهومة أو مبهمّة، وأخرى
مطوّلة بحشو من الكلمات الرّنانة واللّاذعة والمستهجنّة فهي ممّلة وإن اقتربت
في مفرداتها مع لغة العصر، بعيدة عن التّفقّر اللغوي، إلا أنّها تدلّ دلالة
واضحة على ميول - أو ما أُملِيَ - على الكاتب، وليست على الحياد
والموضوعيّة في الحوار والحوار المضاد.

أمّا بعض الصحف فهي من السّليبيّة والتّشاؤم؛ ممّا يجعلك تعتقد أن معظم
كتابها يضعون على أعينهم (النّظّارات السّوداء) وسط نور الحقيقة المفرّج فهي
غارقة في السّوداويّة، وأخرى تكتب بالدّف والمزمار، فكأنّها الأولى تنعي أمّه
وتبحث عن تاريخ لأجداد دفنت في القبور عزاءً لقرائها، والأخرى تريد أن
توقظ موتى من الأحياء يسرون على الأرض.

وتعلم أنّ آفات الإنسان والإعلام بصفة عامّة والصحافة جزء منه هي:
الخوف، الفقر، الفساد.

وهذه العناصر مترابطة، فأَيّ مناخ يعمل فيه أيّ إنسان، رجلاً كان أو امرأة تطلّله سحب الخوف ويذر الفقر جذور أنيابه في تربته، يؤدّي إلى الفساد، ولن تكون هناك استقلاليّة في الرأْي ما لم تكن هناك صحافة مستقلة عن الآفات الثلاثة، فالرّسوم الواضحة الجريئة والكلمات أحرفها رسوم لا يمكن أن تستقيم بقلم يرتعد تمسك به أصابع يد ترتعش بسبب خفقات قلب راجف، ولكن للأسف هذا ما يحدث في مجتمعات (الأجل القصير).

كانت معظم مواضيعه عبارة عن معاناة الإنسان في العالم الثّالث، وبالذّات في أمريكا الجنوبيّة أو اللاتينيّة وخاصّة التّشيليّة منها، وعقله وقلبه معلّق بتراب أرضه:

تَحْمِلُنِي الرِّيَاحُ مِنْ وَادٍ لِوَادٍ لَكِنْ فُؤَادِي فِي الرِّيَاضِ مُقِيمٌ
تُرْجِمْتُ بَعْضَ مِنْ مَقَالَاتِهِ إِلَى اللُّغَةِ الْأَسْبَانِيَّةِ، وَانْتَشَرَ صَيْتُهُ بَيْنَ الْعَامَّةِ
وَالطَّبَقَةِ الْكَادِحَةِ الْقَارِئَةِ وَغَيْرِ الْمُتَعَلِّمَةِ عَنْ طَرِيقِ أَحَادِيثِ النَّاسِ عَنْ أَهْمِيَّةِ
المَوَاضِيعِ الَّتِي يَكْتُبُ عَنْهَا، انْتُخِبَ فِي الْغُرْفَةِ التِّجَارِيَّةِ لِيَصْبِحَ نَائِبًا لِرئيسِ
الشُّتُونِ الزَّرَاعِيَّةِ، فَتَوَسَّعَتْ عِلَاقَتُهُ بِالْعَالَمِ الْخَارِجِيِّ، التَقَى مِنْهَا بِكَثِيرٍ مِنْ
الْوُفُودِ الْأَجْنِبِيَّةِ الْقَارِيَّةِ وَالدَّوْلِيَّةِ، فَأَلْقَى مُحَاضَرَةً عَنِ الْمَجَاعَةِ فِي الْجَامِعَةِ كَانَ
لَهَا صَدَى كَبِيرٌ، وَبِالتَّالِي قَامَتْ بَعْضُ مَحَطَّاتِ التَّلَفُزَةِ بِعَمَلِ عِدَّةِ لِقَاءَاتٍ مَعَهُ،
وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْإِعْلَامُ الْمَكْتُوبُ وَهُوَ قَدْ أَصْبَحَ وَاحِدًا مِنْهُمْ.

لَفَتَ نَظْرَهُ شَابٌ فِي الْخَامِسَةِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ عَمْرِهِ مِنْ ضَمَنِ الْوُفْدِ
التِّجَارِيِّ الْأَمْرِيكِيِّ الَّذِي زَارَ الْغُرْفَةَ التِّجَارِيَّةَ فِي تَشِيلِي، أَكْثَرَ مَا لَفَتَهُ فِي
الشَّابِّ أَنَّ هُنَاكَ دَمٌ عَرَبِيٌّ أَوْ شَرْقٌ أَوْسْطِيٌّ يَجْرِي فِي هَذِهِ الْعُرُوقِ الَّتِي تَبْدُو
خَلِيطًا بَيْنَ الزُّرْقَةِ وَاللُّونِ الرَّمَادِيِّ، وَاسْمُهُ "لَا فِي آلِ شَرِي"، فَهَذَا الْاسْمُ
عَرَبِيٌّ، وَهَذِهِ الدِّمَاءُ شَرْقٌ أَوْسْطِيَّةٌ، أَخَذَ يَتَقَرَّبُ مِنْهُ بِحَذَرٍ حَتَّى حَصَلَ مِنْهُ
عَلَى بَطَاقَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ، أَثْنَاءَ الزِّيَارَةِ الَّتِي كَانَ مُعْظَمُهَا اجْتِمَاعَاتٍ وَزِيَارَاتٍ

للمزارع والمصانع، خاصّة مصانع السُّكَّر منها، والحديث عن الفرص الاستثنائية والقروض، طلبَ منه تناول القهوة في بهو الفندق وتحديثًا، وعرفَ أنَّ هذا الشَّابَّ تعود أصوله إلى المملكة العربيَّة السَّعوديَّة، دلو الحذر المملوء بماء الشَّكِّ والخوف جعله يتحفَّظ عن الإفصاح عن جذوره على الأقل في الوقت الرَّاهن، خاصّة أنَّ لغته الانجليزيَّة ذات اللكنة الأمريكيَّة تساعده في التَّسْتُرِّ نوعًا ما، ولاختلاط أهل البلاد الجيني الذي يصعب على المرء أن يخمِّن من أيِّ من الجينات ينحدر هذا المخلوق، فالتَّزَاج الأسباني الممزوج أصلًا بالدمَّ العربي في هذه الخلطة البشريَّة - إن جاز لنا التَّعبير - كَوَّنت ما يُسمَّى (المس تزو) وهي مجموعة خليط بين السُّكَّان الأصليين وهم من هنود أمريكا اللاتينيَّة والمستعمرين من الأسبان وبعض الأوروبيين النَّازحين، ويشكِّلون حوالي ثلثي مجموع السُّكَّان، أمَّا الثلث الباقي منهم فهم أوروبيون صرف معظمهم من الأسبان غير المخلطين وخمسة في المائة فقط هم من الهنود الأمريكيين ويشكِّلون الأقلِّيَّة، معظم سكَّان تشيلي يسكنون في الجزء الأوسط.

توطَّدت الصَّدَاقَة بين الطَّرْفَيْن بعد أن غادرَ الوفد عن طريق رسائل البريد الإلكتروني، وعن طريق المبادلات التَّجاريَّة بين الشَّرْكتَيْن، وكثرت زيارته للولايات المتَّحدة الأمريكيَّة، وخاصّة كاليفورنيا.

دعاه "لافي" إلى منزله وعرفَّه على صديقته وشريكته (جينفر سميث) في الشَّرْكة، وعرفَ منه أنَّ جدَّه "صخر بن لافي" (الدَّائم الحديث عنه) وعن بطولاته في الحرب العالميَّة الثَّانية وكيف تمَّ تكريمه بالأوسمة والنِّياشين، قدم في أواخر النِّصف الأوَّل من القرن العشرين، وبالتَّحديد عام ٣٦ م تاركًا مكَّة التي لم يزرها "لافي" قط.

عندما تزداد العلاقة لتصبح نوعاً من أنواع الصداقة تفتح بعضاً من صناديق الأسرار أو الذكريات التي كانت مغلقة أو شبه مغلقة، وفي يوم قدّم له مذكرات جدّه والتي كُتِبَتْ بخطّ يده، وتحتاج إلى مَنْ هو ضليع في اللغتين العربيّة والانجليزيّة ليقوم بترجمتها إلى اللغة الانجليزيّة لنشرها، في الوقت المناسب أخذ الأوراق، نظر في الخطّ الذي كُتِبَتْ به فقد كان خطّاً جميلاً يدلّ على أنّ كاتب الأوراق يملك موهبة غير عاديّة في رسم الخطّ العربيّ، قال "لافي": تستطيع أن تحتفظ بهذه النسخة فهي صورة طبق الأصل، أمّا النسخة الأصليّة فقد احتفظت بها في الخزانة.

أخذ "ماهر" يقلّب صفحات قصّة "صخر بن لافي" بسرعة، لم يصدّق عينيه، قال لصديقه:

- هل أنت متأكّد إنّك تبرّني بهذه المهمّة.

لافي: يا صديقي العزيز لن أجد شخصاً في موهبتك أستطيع أن أثق فيه لترجمة هذه الأوراق.

ماهر: هذا شرف كبير لي، وصدّقني بعد أن أقوم بترجمتها سوف استأذنك لنشرها على حلقات في الصّحيفة التي أكتب فيها كنوع من الأدب العربيّ السّعوديّ في هذه المنطقة من العالم.

لافي: لا بأس ولكن ترجمها في الأوّل وأطلعني على مسودّة التّرجمة، فأنا مشتاق لقراءتها، وبعد ذلك لكلّ حادث حديث.

ماهر: سوف أتفرّغ لها في الأيام القادمة وأجعلها من أولويّات عملي لا تهتم، وضع الملف بهدوء في حقيبة أوراقه وكأنّه يضع كنزاً ثميناً يخاف عليه من الضّياع، وعندما عاد إلى منزله في مرتفعات سان أنطونيو في تشيلي أخذ يقرأ:

بدوي في بلاد الغرب البعيد

غابت النجوم وكذلك فعل ضوء القمر، فقد حجبت الغيوم التي تلبّدت بلونها الرمادي الدّاكن في السّماء إطلالتهما على أرض القرية، أمّا الرّيح التي كانت تزجر وهي قادمة من الجهة الشّالّيّة فهي محمّلة بالأتربة والغبار نشطة باردة، وخلف هذا الغبار وهذه الأتربة يكمن الخير، فرائحة المطر تزكم أنوف البدو في تلك المنطقة، فيعرفون متى ترحمهم السّماء من جفائها وهجرها فتهلّل وجوههم، وتراقص عيونهم فرحاً وطرباً بالقادم العزيز، ويبدأ الاستعداد لاستقبال الخير القادم والدّعاء الدّائم... اللهمّ اجعلها سقيا رحمة لا سقيا عذاب.

"نورة" العروس الصّغيرة التي لم يمضِ على زواجها أكثر من عشرة أشهر بقليل تصارع آلام مخاض مولودها البكر، وما أن أحسّت بتقارب الطّلق حتّى أيقظت زوجها "لافي" البالغ من العمر عشرين ربيعاً لكي ينهض من نومه ويسرع بإحضار والدتها من القرية، المسافة بين البيت الذي يقطنه وزوجه وبين بيت أهل عروسه حوالي كيلومتر، أي أنّه يحتاج ما بين خمس إلى سبع دقائق مشياً على الأقدام أكثر قليلاً أو أقل، يعتمد ذلك على السّرعة في الخطوات، ولكن المشكلة ستكون في العودة؛ فسوف تكون في صحبته والدته العجوز وبعض الأغراض؛ لذا لا مفرّ من استخدام البهيمة.

"لافي" الذي يحاول إخراج الحمار من الزّريبة الملاصقة للبيت يلاحظ قدوم العاصفة الرّملية التي بدأت قوّتها تضرب باب الحظيرة المصنوع من الألومنيوم القديم وبعض الأخشاب العتيقة.

في هذا الليل وهذه الأجواء كان يصارع قرار المضي قدماً لإحضار والدته عروسه، وتركها وحيدة تصارع الألم والعاصفة والأمطار والسيول وهو يسكن في الوادي، أم يبقى معها وقد يعرّض الوالد والمولود أو أحدهما لخطر الموت، وأقرب جار يمكن أن يساعده يبعد المسافة نفسها تقريباً في اتجاهات

متفاوتة، فها هي القرية تقبع هناك ولكن لا يمكن رؤيتها في مثل هذه الظروف من رداءة الطقس فهي قريبة بعدها، بعيدة رغم قربها في هذه الأجواء، ولكن الذي اضطره للسكن في أطرافها هو أنَّ البيوت في أطراف القرية أقلَّ أجرة، ولكنها متباعدة عن بعضها البعض لا يعرف لماذا، وإن كان يسمع كلمة خصوصية القرية هي التي تحتم عليها هذا، ولا يجد هذه الكلمة معنى.

يجاهد في سحب الحمار الذي يرفض الخروج في هذا الطقس السيئ والعواصف الغاضبة المزججة، فقد أثر على هذه البقعة من الأرض ضغط مرتفع وهي تقبع في ضغط منخفض؛ مما أثار زوبعتها وغضبها وجعلها تنتقم في كلِّ مَنْ يقف في طريقها، ينظر إلى عيني حمارة ليزجره، فلا مفرَّ من الخروج في هذا الوقت، فيحسَّ بأنَّ عيني الحمار تقولان له وهي تتوسَّل: مَنْ يخرج في هذا الوقت يا حيوان، حالة اليأس التي وصل إليها وفشله في إقناع الحمار للخروج، والخوف من ضياع الوقت أن يُهدَّر سُدَى وهو على هذه الحالة، هذا من جهة ومن الأخرى صراخ "نورة" الذي يتوالى فجأة، يتوارى على شكل أنين من ناحية أخرى، يعتمد في ذلك على تقارب الطلقات وبعدها.

هذه العوامل أجبرته على التنازل عن قراره مصاحبة هذا الحيوان الذي لا رغبة لديه في الصحبة في هذه الظروف.

ترك الحمار في الحظيرة وأغلق الباب وركض نحو القرية، يصارع الرياح وتصارعه، وما هي إلا دقائق معدودة ظنَّها دهرًا وهو يطرق باب دار صهره والد عروسه والدة "نورة" أو (أم عوض) التي أصابها القلق على ابنتها، فخبرتها في مثل هذه الأحوال تقدر أنَّ الولادة قد اقتربت، ولكن في هذه الأجواء فقد تمتَّ أن تكون بجوارها حتَّى لو لم يكن هناك ولادة، ظلت

ساهرة وكأنّها تنتظر قدوم (لافي)، فحالما طرق الطّريقة الأولى على الباب سألت:

أم عوض: خير اللهم اجعله خيرًا.

لافي: خير بس "نورة"... تصرخ... الطّلق... حاولت... الحمار... العاصفة... الخوف... تمطر بغزارة... أسرعوا الحقوا البنت... عمّي صاحي... صحّي عمّي... أنا راح أجيب الوالدة من البيت... نتلاقى هناك. أم عوض: خير... إن شاء الله خير... وما تشاءون إلّا أن يشاء الله، توكلّ على الله يا وليدي وأنا وعمّك جاهزين.

ركض إلى داخل الحارة ليلبغ والدته التي تقطن مع أختها الكبرى، فهي بعد الله لم يبقَ له سواها، فهي التي قامت برعايته بعد وفاة والده، فرحت بالخبر وطلبت منه أن لا ينسى أن يطلق عليه اسم أبيه (صخر) إذا كان المولود ذكرًا، أمّا إذا كانت أنثى فـ(مشاعل) على اسم والدتها جدّته التي لا يعرف من ملاحظها إلّا لحظة تسليمها للرّوح وبجوارها والدته تبكي، وهو في شيء من الدّهول الذي يُصاب به الكبار من جلال الموقف والصّغار لعدم إدراكهم ما يجري بالقرب منهم، ينظر للمرأتين ولا يعرف ماذا حدث؟ ولم هذا العويل وتجمّع الجيران من حولهم.

لا يذكر كيف تمّت مراسم دفن جدّته "مشاعل"، ولكن يذكر وجهها وهي مغمضة العينين فقط، ماذا حدث بعد ذلك فقد محته الأيام وأصبح في وعاء النسيان.

في طريق العودة الرّياح كانت تدفعهم إلى الأمام، ولكن الأثرية التي بدأت تعيق الرّؤية وتعيق السّير أيضًا، كانا يتعاركان معها، يسابقان الوقت حيث قطعة من الفؤاد تصارع الموت من أجل البقاء، في اللحظة التي كان يسبقهم وعلى مرأى من البصر في الأوقات العادية كان هناك رجلان وامرأة

يَحْتَن الخَطى لمصارعة الطَّقْس الذي قاربت حرارته من الصَّفر تلسع أطرافهم. يَحْت أُمّه على السَّير وهو يحمل صرّة جهّزتها لمثل هذا اليوم المرتقب، كلّما اقتربوا أكثر من المنزل ازدادت سرعتهم في اتّجاه صوت صراخ "نورة"، "لافي" و"عوض" تسابقا... وصلا... أوّلاً دخل عليها "لافي" يطمئنّها، أطرافها باردة بالرَّغم من ارتفاع درجة حرارة الجسد، وجهها مال لونه إلى الصَّفار، عيناها الزَّائغتان جاحظتان، العرق تصبَّب منحدرًا من أعلى الرّأس إلى صدرها مارًا بجيدها، خصلات من الشَّعر تعرّضت للبلل فلصقت على أطراف الوجه والنَّحر، الوافدون يتدافعون إلى المنزل الواحد بعد الآخر تسبقهم "أم عوض"، طلبت من "لافي" مغادرة الغرفة، وتسخين الماء، وضعت الجزء الأعلى من نورة على الوسائد الموجودة في البيت، نظرت بعين خبير ناحية الرّحم، دخلت "أم لافي" لتقديم المساعدة.

أم عوض: أبشرك الأمور بخير والحمد لله.

أم لافي: الحمد لله هذي ميه الرّأس.

أم عوض: إيه... الحمد لله ادفعي يا بنيتي... اضغطي... البزر نازل... نحمد الله جينا في الوقت المناسب... لو تأخّرنا شوي الله العالم... شوفي الرّأس خلاص بدأ يطلع... اضغطي يا بنيتي اضغطي يا "نورة"، ساعديني يا "أم لافي" حطّي طرف الشَّرشف بين أسنانها عشان ما تقرض لسانها ومسحي لها العرق ولا تعالي اتناولي الجنين.

أم لافي: لا خليك أنت مكانك... أنا أروح عند راسها.

أم عوض (تأمر "نورة" بحدّة هذه المرّة): اضغطي بقوة هذي آخر مرّة. "لافي" الذي تبادل التَّحيّة مع صهره وعوض، وما هي إلّا لحظات وصوت طفل يصرخ وصوت العجوز "أم لافي" يهلّل حامدًا شاكرًا:
- "صخر" ... يا "أبو صخر" ... ولد... الحمد لله على هذا اليوم.

في هذه اللحظة سقطت الأمطار، ومن غزارتها أخذت تنحدر بين الشُّعاب مكوّنة جداول صغيرة ومتّجهة نحو المنحدرات صوب الوادي.
قال صهره: ألف مبروك والحمد لله على سلامة "نورة" والجنين، هذا ولد الخير إن شاء الله.

اختلط حديث بعضهم البعض مع هدير المطر الذي بدا أنّ بعضاً من مياهه أخذت تتسلّل داخل بيت الطين من خلال الشقوق الصّغيرة، هتّوا بعضهم وتحدّثوا ثلاثتهم طويلاً عن المطر والزّرع والحصاد والخير القادم، وإن المطر بكر عن العام الفائت، والمحصول إن شاء الله يكون طيّباً، وبالتالي يمكن تسديد بعض من دين الشّيخ "رعد".

قال "لافي": المشكلة في دين الشّيخ ما يخلص!
أبو عوض: كيف يخلص واحنا نسدّد منه منا وتدين منه منا أبك هذي سالفنا من سنين.

لافي: هل الحين القرية كلّها مدانة للشّيخ؟
أبو عوض: إيه بالله كلّنا مدانين للشّيخ.
عوض (الذي يحاول أن يشارك في الحديث): والشّيخ كيف صار شيخاً؟
لافي: اللي ما يختاروه ربه تختاره الحكومة!
عوض: وشيخنا!

"أبو عوض" الذي ينظر إلى الشّابين ويحاول أن يغيّر الموضوع قال:
الجميع يعرف أنّ زواج أخت الشّيخ "رعد" من "شريف"، وبعدها أصبح خال الشّريف الصّغير صدرت الأوامر بتعيين "رعد" شيخاً على هذا الفخذ من القبيلة برغم أنّ "عواد" أحقّ منه وهم شيوخنا الحقيقيّون، نحن آل شري كلّنا والشّيخ "عوّاد" الله يمسيه بالخير "عواد الشري" بس "رعد" هذا ما هو منّا.

عوض: وين راح الشيخ "عواد" أنا مَن عرفت الدُّنيا ما أعرف غير "رعد".

أبو عوض: بعدما أُجبرَ على ترك المنصب لعدوّه اللدود "رعد"، تركَ الدَّيره مع ربه وسرحوا في أرض الله الواسعة، ويُقال والله أعلم أَنَّهُ مصاب بأمراض وحالته يُرْتَى لها، فهو شبه معدم لأنَّه كان شريفًا وكريمًا ويهتم بشئوننا وشئون القرية أكثر من اهتمامه بالنَّهب والسَّرقة ونفسه عزيزة، ما يطلب من أحد شيئًا، وما يمسح البلاط ويقدم النعل (عندما قال هذه الكلمات نظر في عيون الشَّابين وكأنَّه ينبِّههما أن لا يُعيدوا الجملة الأخيرة على الغرباء) على رأي "منصور الشَّادي" الشَّاعر الي دايِم يمدح في "عواد" ويذم في "رعد" بس ما أحد يقدر يرَدُّ أبياته، بس أقول لكم شعراً لأحد الشعراء القدامى، قال أحد الشعراء زمان.

لا تَأْسَفَنَّ عَلَى عَذْرِ الزَّمَانِ لَطَامًا رَقِصْتَ عَلَى جُثِّ الْأَسْوَدِ كِلَابَ
لا تَحْسَبَنَّ بِرَقِصِهَا تَعْلُو عَلَى أَسْيَادِهَا تَبَقَّى الْأَسْوَدُ أَسْوَدًا وَالْكِلَابُ كِلَابَ
عوض (الذي تأثَّر بأبيات الشَّعر): إيه... صح لسانك... وربِّك على الظَّالم.

لافي: يمهل ولا يمهل.

انتقلَ الحديث عن أخبار القتال في الشَّرق، كيف ينتقل الحديث من موضع إلى آخر دون أن يشعر أحد بذلك! فهل يجر الكلام بعضه بعضًا كما يقولون؟

قال عوض: الأخبار تقول إنَّ "عبد العزيز" دخل حائل.

لافي: ما لنا بحائل؟ حائل بعيدة عنَّا يا رجَّال... الإشاعات تقول النَّزاع بين "ابن سعود" و"الشَّريف" على الخرمة الآن تقول حائل... الخرمة حذفت حصاة من يا.

أبو عوض: بس الإخوان في الخرمة وهي تابعة للحجاز.

لافي: الإخوان يبو "ابن سعود"، ما سمعت عن ثورة الخرمة على الشريف؟ وأرسل قوَّات مرَّتَيْنِ وانهمزت قوَّاته بقيادة الشريف "حمود بن زيد"، ويقولون إنَّ الملك "حسين" أرسل لهم مددًا بقيادة الشريف "شاهر بن زيد" والإخوان هاجموا في منزله وانهمز، رجَّال قدروا يدافعوا عن أنفسهم.

عوض: كيف؟... بس يقولون الشريف "عبد الله بن عون" في حضن وجبل حضن قيل عنه: "مَن رأى حضنًا فقد أنجد".

لافي: كيف؟ إيه؟... كيف انهمزت قوَّة الشريف؟ ولا كيف دافعوا الإخوان!

أبو عوض: أقصد مَن قال إنَّ الإخوان يبون "ابن سعود"؟

لافي: الإخوان يتبعوا "أحمد بن حنبل" و"ابن تيمية"، وما يعجبهم تساهل الشريف مع أصحاب الطَّريقة من الصَّوفيَّة، والأمر الثاني يقولون إنَّ الشريف عبد الله أهان الشريف "خالد بن لؤي" القائد في جيش الشريف اللي راح إلى "ابن سعود" يفاوضه.

أبو عوض: بس "ابن لؤي" من الأشراف وقريب من الملك، فيه نسب بينهم، وزعيم قبيلة من الجنوب، وما هو من الإخوان، تراكم بدأتوا تحربطوا حتَّى في القبائل والألقاب... مَن قال هذه الإشاعة؟

لافي: صدَّقني ما هي إشاعة، النَّاس كلُّها تتكلَّم عن الحادثة، صدق ولا لا يا عوض.

عوض: أنا سمعت الكلام بس الكلام أكيد ولا ما هو أكيد ما أعرف؛ لأنَّ موضوع الإهانة موضوع غير واضح وما له دليل... الكلام في القرية وفي الطَّريق إلى مكَّة كثير... خبر يحتمل كذا وكذا.

أبو عوض: يعني حتّى لو قامت حرب في الخرمة... الخرمة بعيدة عنّا.
لافي: ما هقيت الشّريف راح يفرط في الخرمة، وإذا سقطت الخرمة في يد
"ابن سعود" راح يحاصروا شريف الحجاز من شرق ويمن.
أبو عوض: ويش قصدك؟ من شرق هم في الشّرق سواء سقطت ولا ما
سقطت وجنوبنا عسير!

لافي (وهو ينظر إلى وجه عوض): يقولون "ابن سعود" راح يوسّع ملكه
ويضم (عسير).

أبو عوض: بس الشّريف عنده جيش ومعدّات الانجليز معه.
لافي: حتّى لو صارت دولتين حجاز ونجد دولة الحجاز راح تكون
ضعيفة بالنّسبة لدولة نجد الممتدّة.

أبو عوض: يعني راح تنثور الحرب؟
عوض: فهمت من كلام "أبو صخر" أنّ الشّريف راح يجنّد الشّباب
إجباري، ويرميهم في وجه المدفع في الخرمة لملاقاة عبد العزيز.
أبو عوض: خط دفاع أوّل!
لافي: إيه.

أبو عوض: كبك من الخرابيط وقم جب صخر، تراهم جهّزوه ولا
تكلّموا عن الحرب قدام الحريم.

لافي (وهو يستعد للقيام لإحضار الوليد): أنا ما أهاب الحرب، بس
خوفي على "صخر" و"أم صخر".
عوض: إعداد جيش معناه رسوم وفقر ودمار.

لافي: وهذا هاجس آخر الجوع، الله يكفينّا شرّه ولا الموت حق على البشر
ما حد نجا منه.

أبو عوض: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ ﴿٢٠١﴾ توكل على الله يا رجال لا تخف شيئاً، المكتوب مكتوب والي مكتوب على الجبين راح تشوفه العين.

تغير الحديث وهم يتناقلون "صخر" من يد لأخرى، ويقرأ كل منهم الفاتحة وينث في أذن الصَّغير ووجهه (هل هي عادة أم تطعيم طبيعي لهذا الوليد الذي سيعيش مع هذه المجموعة، وهذه هي أوليات التَّطعيم فالحيوانات القادمة حديثاً يتم عزلها حتَّى يؤخذ من فرو حيوانات المنطقة ويخلط بفروها لمدة ثلاثة أيَّام على الأقل قبل أن تُخلط).

في اليوم السَّابع للولادة اجتمع معظم رجال القرية في منزل "أبو عوض" للتهنئة بقدوم "صخر"، الأحاديث بين المدعوين انحصرت في الأمطار الغزيرة المستمرة لليوم السَّابع، ومعظمها عن أخبار وقصص عن عبد العزيز وقوَّة جيش نجد الفتية تحت قيادة وحكمة واحد من آل سعود وانتصاراته في الشَّرق والخلاف على الخرمة، واستعداد الشَّريف بجيش جرَّار قوامه ثلاثون ألف مقاتل أو أكثر مع معدَّات الانجليز، وأنَّ الشَّريف سيوحِّد الجزيرة بهذا الجيش القوي، واختلف رجال القرية بين مؤيِّد للشَّريف وخصم، وكادت المناسبة أن تفقد حلاوتها بصراخ الضيَّوف حول سياسة الشَّريف؛ فقد بلغ الحقد على الشَّريف من البعض أن يحكم الشَّيطان، ولا يحكمها شريف مغرور بنسبه، البعض منهم يذكر حادثة الخلاف بين الشَّريف "عبد الله" وبين "ابن لؤي"، وإهانة الشَّريف له دليل على الغرور والغطرسة، كاد الجدل يتحوَّل إلى معركة تسيل فيها الدَّماء، خاصَّة أنَّ كلَّ واحد محزم بجنبيه أو خنجر، والبعض يحمل الفرد (المسدس)، لولا رحمة السَّماء وحكمة "أبو عوض" الذي أدخل "صخر" في الوقت المناسب، وغير مجرى الحديث:

- صلُّوا بنا على النَّبي، ما فيكم أحد من الأشراف ولا واحد قريب لـ"ابن سعود"، الحين الخير قادم مع رحمة الله بهذه الأمطار، وأنتم تتكلّمون في أمور الغيب، هذا صخر يا شيخ "رعد" (وهو يقترب من أذن الشَّيخ) هدي الربح الله يحفظك لا يثور واحد منهم النَّار وتشتعل تكلم عن المطر الي تعينهم على زراعة محصول جيّد هذا الموسم.

الشَّيخ "رعد" (وهو يتناول الرّضيع): أبشر، قدّم الأكل حلّهم يأكلوا وأنا أصرفهم بعد ذلك قدّم الطّعام وبعده القهوة والعود، وبعد العود ما هناك قعود أي إشارة بالطرد المؤدّب من المجلس، انصرف كلّ إلى غايته ولم يبقَ إلّا البعض القليل جدًّا والقريب جدًّا من "أبو عوض" يتحدّثون بهدوء وعقلانيّة عن أخبار السّاعة، يحاولون بقدر الإمكان تجميع المعلومات المتناثرة وتحليلها، مصدرها، دقّة المعلومة، محاولة لتحديد المبالغة في النّقل، كان "أبو عوض" يرسل المراسيل ومن ضمنهم ولده الوحيد عوض إلى مكّة التي تبعد مسيرة يوم على الدّابة، وعلى حصوة الحرم المكيّ كانت الأخبار مع الدّروس للأمة الأربعة كلّ عالم له مريدوه وطلبته، "عوض" الذي ينتقل بين العلماء كالفراشة التي تقترب من النّور يصغي لهذا ويسمع لذلك ويفهم ما يهديه إليه فكره، ينتهز فرصة ما بعد الدّرس لأحد الأئمّة؛ ليلتقط من تلاميذه بعض كلمات الهمس التي تدور حول احتمالات الحرب، وهل سيغزو الشّريف (نجد)، ويوحّد الجزيرة؟ أم ستسقط الحجاز في يد "ابن سعود"، الحديث عن الشّقاق داخل الأسرة الحاكمة في الحجاز بين الأشراف، خاصّة الكبار منهم، قد تكون في صالح الصّقر القادم من الشّرق، سوء الأحوال المعيشيّة بعد زوال الحكم العثماني الذي لم يكن صالحاً أصلاً في هذه المنطقة من دولتهم السّاسعة، وكثرة قطاع الطّرق، خاصّة بين مكّة والمدينة والنّهب والفقر اللذان ولدتهما معارك الثّورة العربيّة وتقسيم التّركة العثمانيّة وقلة الحجاج، إمّا خوفاً

على أنفسهم أو لخوفهم على أملاكهم من المستعمرين الجدد الانجليز والفرنسيين أو الفرنجة الصليبيين كما يطلقون عليهم، المعلومات بالرغم من كثرتها إلا أنها مشوشة، غير دقيقة، حذرة، منقوصة أو مبتورة في بعض المواقع، ولكن على "عوض" أن ينقلها لوالده كما هي: الشريف ذهب إلى جدة لملاقاة شخصية بريطانية كبيرة، قوات الشريف سوف تتحرك من (تربة) حيث معسكرها هناك، ومن ثم تتجه إلى (الخرمة)، ومنها إلى نجد، ومن ثم الإحساء، الشريف "عبد الله بن الحسين" سوف يقود القوات التي تساندتهم المدفعية والأسلحة البريطانية، الشريف "حسين" أبدى رغبته في أن يغسل قدميه في شواطئ الإحساء الشرقية على ضفاف الخليج.

ثلاث سنوات مضت على ولادة "صخر" والعمل الجاد في القرية من حفر للآبار أو ترميمها والزراعة والحصار ووفاء والدته "لافي"، وكيف واراها الثرى بعد صلاة الجمعة في مقابر القرية، أما الحديث أو الأحاديث التي تشغل "أبو عوض" والقرية هو "عبد العزيز بن سعود" والشريف "حسين" وموقف بريطانيا، قال أحدهم:

- الانجليز راح يتفرجوا عليهم... حليفهم المنتصر، أمّا الخاسر عليه السلام راح يتركوه يلحق مرارة الهزيمة وحده.
- ومصالحهم!

- يقدروا يأخذوها وقت ما يريدوا من أيّ واحد منهم، فالمصالح راح تكون مشتركة بينهم وبين المنتصر.
- يعني لابد من حرب؟!

- الشريف ما أعدّ الجيش وعيّن ولده عليه عبثاً، و"ابن سعود" جيشه كلّ يوم عن يوم يكثر مع انتصاراته وفتوحاته، هناك قوتان في المنطقة لابدّ ممّا ليس منه بد، الحرب! والخرمة هي العقدة، معظم أهلها و"عبد العزيز"

نفسه يبيها نجدية، والشريف يعتبرها أرضاً حجازية، ولا يمكن التفريط فيها، ولو تنازل عنها يخاف يجبر على التنازل عن غيرها.
- والنصيحة.

- الخوف على الحرم والبزارين.

- القرية ما لها حامية.

- ما قدأما غير الطائف أو مكة.

- مكة الله يعمرها ما لنا شيء فيها غير بيت الله، والطائف قريبة منا
وعندنا معارف هناك.

بعد الحصاد مباشرة نقل "أبو عوض" وابنه "عوض" وبناته الاثنين
ورجليهم "لافي بن صخر" و"عوضة بن فلحان" وأطفالهم.
لافي: الله يرحم الوالدة لو كانت عايشة ما كان سمحت لي بمغادرة
القرية.

عوض: الله يرحم موتانا وموتى المسلمين، المنادي ينادي الشباب
للانخراط في الجيش راح يعسكروا في (تربة).

لافي: غصب؟

عوض: إيه.

لافي: وأنت ويش رأيك؟

عوض: الوالد - الله يطول في عمره - يقول لا ناقة لنا فيها ولا جمل،
يعني بعدما نبيع المحصول إذا أجبرونا... رحنا... بس حذّرني أقول لك
نكون مع بعض، وفي الصفوف الخلفية إذا انتصرنا هّللنا، وإذا انهزم الشريف
عودنا إلى الطائف نحمي عارنا وأهلنا؛ لأنّ الوالد - الله يحفظه - يقول
الحروب تسبّب فوضى يستغلّها أصحاب النفوس الرخيصة للسلب والنهب
والقتل.

لافي: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾.

عوض: صدق الله العظيم والله إنَّها مكروهة.

لافي: وين راح نسكن؟

عوض: عند الجماعة معارف الوالد الله يرعاه أخذ الدور العلوي والسَّطح.

لافي: قريب من الخان ومسجد بن هادي.

عوض: لا البيت المتطرّف آخر الرّيع عند الخبّاز... فرن الخبّاز تعرفه، دورين، الدّور الأرضي مكري للحضرمي أبو صاحبة.

لافي: والله فكرة تقرب من حبيبة القلب... اخطبها واتزوِّج وريحنا.

عوض: احنا في حرب ولا حب.

لافي (ضاحكاً): الحب والحرب والله حكاية اسم حلو لحكاية.

عوض: بس الوالدة تبي مزن.

لافي: أخت عيضة... مزن بنت فلحان.

عوض: تصوّر أنا في وادٍ وأمّي في وادٍ آخر.

لافي: تزوِّج الثنتين واحدة لقلبك وواحدة لأُمّك.

لم يقطعهم عن حديثهم الذي يقطعون به الطّريق نحو الطّائف إلّا طلب ابنه "صخر" منه أنّه يريد أن يترجّل من الدّابة ليتبوّل، يترجّلان لأنّ على ظهر حماره (زهرة) وابنه "صخر"، أمّا حمار "عوض" فقد كانوا يتناوبون عليه مع "عيضة".

استقرّ بهم المقام، وبعد أن باعوا المحصول، أمّا بعض الماشية وبعض الدّواجن فقد اشتراها جيش الشّريف على أن يدفع ثمنها بعد النّصر، لم يستطع "أبو عوض" أن يجادل كثيرًا، فقد كانت الأوامر بتزويد الجيش أمرًا ملكيًا من ملك الحجاز لا جدال فيه يعاقب كلّ من يعترضه بالموت باسم

الخيانة العظمى، أخفى بعضًا من البهائم، أخذت "أم عوض" من بيع المحصول لتشتري به ما خفَّ حملة وغلا ثمنه في أيام بدأت طبول الحرب تنذر بقرها ووقوعها لا محالة، وبالرَّغم من ندرة هذا المعدن (الذهب) في هذه المنطقة في هذا الوقت إلاَّ أنَّها حصلت على البعض منه، تمَّ تجنيد "عيسة" الذي يكبرهم بحوالي عشر سنوات، ومهارته في القتال ممتازة؛ ليلتحق بالجيش في معسكره (بترية)، أمَّا "لافي" و"عوض" فقد ظلَّا في (وحدة من الوحدات) تقبع على أطراف الطائف في قلعة قريبة من قصر (شبرا). الليالي تمرّ بطيئة، الأعين حائرة، مترقبة.

- الأخبار تقول إنَّ "عبد العزيز" في الرياض، ولا نيَّة لديه لغزو أو حرب مع الحجاز، بل ردَّ على رسالة الشَّريف بأنَّ الدَّولتين يمكن أن يعيشا متجاورتان متحابَّتان متعاونتان إذا تمَّ تحديد الحدود بينهما على أن تكون الحرمة من نصيبه!

عندما سمع "أبو عوض" هذه الإشاعة، وخاصَّة الجملة الأخيرة قال يحدث نفسه (بشر النَّخل بفلاح جديد).

كلَّما انقضى يوم اقتربت عجلة القتال بمسافة الزَّمن نفسها، النَّاس تبحث عن المعدن الثَّمين، والإشاعة تقول إنَّ الذهب تمَّ تهريبه مع "ابن بريك" إلى خارج الحدود، والبعض منه للصرْف على الجيش، الأخبار التي تأتي من المعسكر عن طريق "عيسة" تقول إنَّ الجنود متذمِّرين من غطرسة الشَّريف "عبد الله" وعدم استلامهم لرواتبهم والحالة المعنويَّة في القوَّات سيِّئة، وهناك إشاعة تقول إنَّ "عبد العزيز" يقدِّم عن طريق بعض أَعوانه النُّقود والهبات والوعود لبعض من قادة الوحدات في جيش الشَّريف، أمَّا الدَّجَّالون وقرَّاء الطَّالع فقد انقسموا كما انقسم الأشراف والحجاز على نفسه، البعض يؤكِّد انتصار الشَّريف، والآخر ينذر بالشُّوم على أشراف مكَّة من بني هاشم.

إشاعة هزيمة الشَّريف "عبد الله" في معركة (تربة) أكَّدتها الفلول الأولى للقوَّات الحجازيَّة، ودبَّ الرُّعب والفوضى في الحصون المحيطة بالطَّائف من جهة الشَّرق والجنوب الشَّرقي للمدينة، الإشاعة تقول لو أنَّ الشَّريف "عبد الله" استمع إلى كلام العجوز، التي أمر جنده بطردها بعد أن حدَّرتَه، وأخذ بزمَام المبادرة وتقدَّم نحو الخرمة لما كانت الكارثة، والأخرى تقول إنَّ بعض المندسِّين من الخونة هم مَن سبَّب الفوضى في المعركة، فالمخلصون للشَّريف لم يعرفوا مَن هو عدوُّهم ومن أين تأتيهم الطَّلقات.

أما وقد عاد الشَّريف "عبد الله" على بغلته مع حفنة من أتباعه وخدمه، وتمَّ تبليغ الشَّريف بذلك عن طريق عامل الهاتف في مكتب بريد الطَّائف، فقد قال الشَّريف:

أَلَا ذَهَبَ الْحِمَارُ بِأَمِّ عَمْرُو فَلَا رَجَعْتُ وَلَا رَجَعَ الْحِمَارُ
"لافي" الذي شارف عمره على السَّادسة والعشرين و"عوض"
يستمعون للقادمين وأعينهما تتجول في الحصن، أحسَّا بنوع من الخوف والرَّهبة، فها هم أشجع فرسان الشَّريف يفرون من أرض المعركة وحداناً وزرافات لا يفعلون شيئاً غير اللوم والشَّتَم على الخونة والمندسِّين، والبعض الآخر قد لقي حتفه، تسلا بعيداً.

لافي: خذ سلاحك والذَّخيرة وخلِّنا نروح البيت نحمي عرضنا...
الوضع خطير.

عوض: أنا جهَّزت البهيمة فيها ثلاث بنادق من الفتيل وذخيرتها، خذها واسبقني، أمَّا أنا راح أنتظر شوي وألحقك.

لافي: وين البهيمة.

عوض: في الحوش المهجور الي آخر الرِّيع بعد الباب.

لافي: لا تبطئي.

عوض: لا تخفْ عليّ طمّن الوالد والوالدة، وقل لهما لو غادرنا سوا راح يذبحونا.

عاد "لافي" ومعه السّلاح، دخل مسرعًا حيث كان صهره يصليّ صلاة التّراويح، وعندما انتهى من تفريغ الحمولة سمع صوت صهره يسأله عن "عوض" فأجابه بأنّه في الطّريق، وأخذ يقصّ عليه ما رأى وما سمع، و"أبو عوض" يحول ولا يعرف ماذا يقول؟

صعدا إلى السّطح، كانت مساحة السّطح لا تتعدّى أربعين مترًا مربعًا بأيّ حال، دارا في أرجاء السّطح، وقال "أبو عوض" محدّثًا صهره:
- هنيا... يجب أن نتحصّن هنيا... نقدر نجندل أي متطفّل يقترب من البيت من نيا.

لافي: الأفضل نتوزّع على أطراف السّطح، أنت تكون من هنيك، حتّى ما يتسلّل أحد منها، وفي الوقت نفسه تحمي الزّريبة من النّهب، وأنا هنيا أحمي الباب، و"عوض" هنيك يحمي باب الحضرمي "أبو صالحة".
وهما على هذه الحال وصل "عوض" وهو يلهث من الجري، كان الرّعب قد أخذ منه كلّ مأخذ، قال "أبو عوض":

- صلّ على النّبي... خير؟

عوض: وين الخير؟

لافي: ويش صار؟

عوض: نكسة، تصوّر يقولون إنّ "خالد بن لؤي" أقنع "سلطان بن بجاد" وقائد الإخوان عيّنه قائدًا على الغطط ليكونوا جيشًا مع "ابن سعود" ووزّعوا الجيش لثلاثة أقسام، حاصروا جيش الشّريف، وفجأة أطلقوا النّار، وما صحا جيش الشّريف إلّا والرّصاص كما المطر منهال عليهم من كلّ صوب... راحوا يصوّبون بعضهم بعضًا وعمّت الفوضى.

أبو عوض: و"عيضة" شفت "عيضة"... سمعت عنه؟
عوض: ولا لك لوا... بس يقولون انذبح واحد من القوّات، هناك
خونة، وأسلحة فاسدة.

لافي: كم عدد جيش "ابن سعود"؟
عوض: يقول البعض إنّ ما لهم عدد، والبعض يقول بضعة آلاف.
أبو عوض: عرفت وين وصلوا؟

عوض: الأخبار تقول إنّ المعركة هناك لانزال طاحنة... وناس تقول إنّ
جيش "ابن سعود" ولا جيش "ابن لؤي" و"ابن بجاد" على حذفة حصاة
من الحوية وهم يطاردون فلول جيش الشريف، إذا كان الخبر الثّاني صحيحًا
تراهم مصبحين في أطراف الطّائف.

بعد صلاة الفجر أخذت الأخبار تتقل والإشاعات تزداد وتختلط الحقائق
بالأكاذيب بأنّ الشريف "حسين" هرب بعد أن تنازل للحكم لولده "علي"
متى؟ كيف؟ لماذا؟

الهلع ورائحة الموت تختلط مع نسمة ذلك الصّباح، القتال على أطراف
الطّائف من ناحية الشّرق والجنوب بين من تحصّنوا في القلاع والجبال المحيطة
وبين قوّات "عبد العزيز" بقيادة "ابن لؤي" و"ابن بجاد".
لافي: الإنسان يتنازل عن الكثير إلّا عن كرامته، لو لم يحتقر الشريف "ابن
لؤي" لجمع له القبائل ودافع عن الحجاز.

أبو عوض: إن (لو) تفتح عمل الشّيطان، ﴿وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا
وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾... مشيئة الله... وهذه معركة والحرب سجلال... قد
يجتمع الأشراف مرّة ثانية ويتصرون، ما نهاية الدّنيا، خسارة معركة لا تعني
نهاية الحرب، ويمكن أن يتأخّر القادم عن السّابق.

بعد الظَّهيرة كانت الأخبار السيِّئة عن أنصار الشَّريف تسبق غروب ذلك اليوم، فالقلاع بدأت تسقط في يد "ابن لؤي" من جهة، وفي يد "ابن بجاد" الأخرى، وازداد عدد القتلى، والخوف كلَّ الخوف على المدنيين.

الجرحى ينسحبون إلى داخل الطَّائف، وبعض النَّاس تحتمي بقصر شبرا الذي ضاق بَمَن فيه، وصوت الرِّصاص وصياح القوَّات الغازية بالتَّهليل والتَّكبير، وصريخ وأنين القتلى يزرع الرُّعب في المدنيين، خاصَّة النِّساء والأطفال، صعد ثلاثتهم إلى السَّطح مع بعض التَّمَر والمضير (لبن ناشف) والماء، ومعهم سلاحهم والدَّخيرة، ضجَّت شوارع وأزقة الطَّائف، أصوات الرِّصاص من بعض الأسطح تتمكَّن من قتل بعض الجنود القادمين، ثمَّ تصمت بعد أن تزهق أرواح أهلها، "لافي" الذي يلاحظ بعض الجنود وهم على خيولهم قادمون نحو الدَّار يطلقون النَّار ليرعبوا مَن تسوَّل له نفسه أن يحاول أن يقف في طريقهم يستعد وقد جهز فتيله حتَّى اقترب أحدهم، وأصبح في متناول بندقيته، فأطلق الرصاص عليه وأرداه قتيلًا، نفرت الخيل وألقت بَمَن تحمل على الأرض ووَلَّت هاربة، توقَّف بعض الجنود وأخذوا يتحصَّنون في أركان البيوت وفي الأزقة الضَّيقة، بعد أن ترجَّلوا عن خيولهم وأطلقوا النَّار على مصدر الرِّصاص، لم يستطيعوا سحب الجريح؛ فقد حاول أحدهم أن يتقدَّم، إلَّا أنَّ الرِّصاص من الفتيل (وهي بندقيَّة ناريَّة ذات قصبة طويلة تعبًا بالبارود والرج الحلبى من فوهتها، ثمَّ تدك بسخ اسم المدك أو المرجس، وفي أسفل القصبة حوض صغير له ثقب متَّصل بباطنها، وتوضع فيه ذخيرة ويشعل بلهب يكون في طرف فتيلة من لحاء الشَّجر مرَّكب في المقراص الذي ينزل اللهب عند ضغطه فتثور، وسُمِّيَت بالفتيل نسبة لطرف الفتيلة) قد أعاقهم.

عندما تبادل "عوض" مكانه وهو القريب من "لافي" لأنَّ بندقِيَّته جاهزة، أمَّا الأخير فقد صاح قتلته وزحف ليعبِّي سلاحه، أطلق "عوض" النَّار على آخر فأصابه في ذراعه وانسحب تاركًا المجال لوالده الذي أطلق النَّار على ثالث وأرداه قتيلاً، عرف قائدهم أنَّ هناك مجموعة من المقاتلين وليس شخصاً واحداً، أو شخصاً لديه عدَّة بنادق جاهزة، وقد يكون هناك شخص آخر يقوم بتعبئة البندقية المستخدمة، فالبندقية من هذا النوع تحتاج إلى وقت لتجهيزها، إذن فهو يحتاج إلى قوَّة أو دهاء؛ فأمر جنده بالانسحاب، عاد "لافي" إلى مكانه وعاد كلُّ إلى موقعه وعمَّ الهدوء الزَّفَاق، ولكنَّ صوت الرِّصاص في بقيَّة الأحياء والصَّراخ ما زال يُسمَع، اهتزَّ قلب "لافي" عندما سمع صوت امرأة تستغيث وكأنَّ معركة لخطفها وإرغامها على ركوب الخيل مع مختطفها دائرة هناك، وهل من مغيث؟

"أم عوض" وبناتها والصِّغار يطمئنون على رجالهم بالسُّؤال، وعندما يطمئنون تعود "أم عوض" إلى قراءة ما تحفظ من القرآن وهو قليل، وبعض الدُّعاء أن يصرف البلاء عن البلاد والعباد.

الصَّمت القاتل الذي يسبق العاصفة، والانتظار المملِّ، ومنظر الجنود وهم يحاولون الزَّحف نحو رفاقهم ودمائهم تسيل، ثمَّ استسلامهم للموت بعد أن أمر قائدهم بالانسحاب الباقي، عينا "لافي" تتبعهم تثير في النَّفس الزَّهو من جهة واللوم على قتل جندي قد تكون له عائلة وأبناء، لماذا يقتل الإنسان أخاه الإنسان، واهتزَّ عندما تذكر أنَّ القاتل مسلم والمقتول مسلم أيضاً، ولكنه معتدٍ يريد أن يسبي نساءهم ويقتل أبناءهم، فليكن هذا جزاؤه وليغفر الله لي، كم يُقتل من النَّاس بسبب المعتقدات فكريَّة كانت أم دينيَّة؟ مدَّ يده نحو شربة الماء، بلَّل بها ريقه وعيناه تتحرَّكان وتراقبان، لقد انسحبوا.

لافي: ها إيش الأخبار عندك يا "عوض"؟

عوض: تمام.

لافي: ها يا عم؟

أبو عوض: تمام طمّني عنك.

لافي: أعتقد الاثنين ماتوا ما يتحرّكوا، والثالث جريح، أعتقد اللي صوّبه

"عوض" زحف يم خويه في الرّفاق وظنّي أنّهم انسحبوا.

أبو عوض: الله لا يردّهم.

عندما بدأت الشّمس تميل نحو المغيّب، زحف "لافي" من موقعه، وطلب من "عوض" أن يحلّ مكانه ليصعد إلى أعلى سطح الدّرج لكي يكتشف المنطقة بصورة أوضح قبل حلول الظّلام، عند المنور وبالقرب من الدّرج رفع رأسه بحذر شديد، وعندما تأكّد من خلوّ الطّريق من الجنود وقف لكي يتسلّق الجدار ليصعد إلى سقف الدّرج الأعلى، وإذا به يهوى صريعاً على أثر رصاصة من بندقية شوزن (شوزل) أصابته في رأسه، اخترقت شظاياها عينه اليمنى، حاول أن يتناسك في المنور ولكنّه سقط إلى الدّاخل من فتحة المنور على الدّرج، ارتطم جسده بالدّرج، وصرخ صرخة اقشعرّ لها بدن "نورة" التي أسرع نحو أسفل الدّرج يتبعها "صخر"، منظر "لافي" وهو يتدحرج دون توازن من أعلى السّلام والدّماء تلتطّخ جدار الدّرج، وملابسه ويده على عينيه أصابت "صخر" الصّغير بالذهول فلا يسمع صراخ أمّه أو أوامر جدّته بأن يتعد، تصلّب في مكانه حتّى اصطدم به جسد أبيه فسقطاً معاً على الأرض، وضع رأس أبيه في حضنه ووضع يديه الصّغيرتين على الجراح التي توسّعت علّه يوقف الزّيف، أين أبيه يسمعه وكأنّه قادم من بعيد، تحوّل إلى حشرة ومن ثمّ صمت، لم يسمع شيئاً، وإن كانت الأصوات تحتلط بعضها البعض، فصوت جدّه لأُمّه وصوت خاله

عوض وبكاء النسوة وبنات هبة وهو متحجّر في مكانه يحضن جثة أبيه إلى صدره، دموعه سالت في صمت، وصوته المرعوب يردد:

- يه رد علي يا ييه... حبيبي أنت... لا تموت يا ييه.

وبقي ممسكاً بالجثة محتضناً الرأس المغطى بالدماء، ويقبله حتى تعاونت حالته وجدته على سحبه، كان ملطخاً بدماء والده، أخذته جدته وهي تغالب حزنها وبكاءها إلى الحمام، حيث مزّقت ثوبه وقامت بغسل وجهه وجسده، ثوان معدودة ودقائق من أصعب وأطول اللحظات.

زحف "أبو عوض" نحو الباب المؤدّي إلى الدّرج، وطلب من "عوض" أن يبقى في مكانه حتى يستطلع الخبر، منظر الشمس وهي في الرّمق الأخير مال إلى الاحمرار وكأنّها انعكاس صورة للون الدّماء التي سالت في أزقة وطرقات الطائف، هبط "أبو عوض" الدّرج، وعندما وجد جثة "لافي" ملقاة وبجوارها "نورة" تبكي بحرقة، أخذ يبكي وأجهش في البكاء؛ فقد أحبّ "لافي" كما يحبّ "عوض" و"عيزة"، وسمع صوت رصاص كثيف في أعلى السطح؛ فحمل بندقيته أم عشر بعد أن أعطى بنتيه بندقيتين أحدهما للشّهيد "لافي"، صعد إلى السطح مرّة أخرى ليجد ابنه الوحيد "عوض" وقد سقط صريعاً بعد أن اخترقت عدّة عيارات نارية صدره ورأسه، وقف كالأسد الجريح، وأخذ يطلق نيران بندقيته في كلّ الاتجاهات، أصاب اثنين وسقط هو الآخر مضرّجاً بدمائه عندما بدأ ستار الظلام يلف الكون من حوله.

هدأت أصوات الرّصاص، وخيم سكون الليل على الجميع، فلا تسمع إلّا أصوات عويل وبكاء ونباح كلاب سائبة ضالّة في الشوارع تبحث عن جثث الضحايا.

صعدت "أم عوض" وابنتها الكبيرة "هبة" إلى السطح، بينما تسمّرت "نورة" عند جثّة زوجها وحبيبها "لافي"، وبجوارها "صخر" الذي يحاول أن يواسيها وهو بحاجة إلى مَنْ يواسيه في مصابها الجلل، أفادت "نورة" من ذهولها من عويل والدتها على مقتل أبيها وأخيها "عوض"، ليلة ليلاء صبّت مأساتها على هذه العائلة المنكوبة، وهل نجت عائلة أو على الأقل فرد قريب أو صديق من هذه المذبحة؟!

عند منتصف الليل، وبعد أن سحبوا جثث الرّجلين من السطح حتّى أسفل الدّرج، سمعت النّسوة طرقًا خفيّفًا على الباب، حملت "هبة" البندقيّة، وكذلك فعلت "نورة"، تتقدّمهم "أم عوض"، وعندما تعرّفوا على صوت "صالحه" وأبيها فتحتا الباب بحذر، سمحتا لهما بالدّخول، صرخت "صالحه" بأعلى صوتها عندما رأت عند مدخل الباب جثث الرّجال الثلاثة، وكادت تسقط مغشيًّا عليها عندما شاهدت حبيبها "عوض"، وقد غطّته الدّماء لولا مساندة أبيها لها، أخذتها "أم عوض" التي تحاول أن تتناسك إلى الدّاخل، وتبعتهما "هبة" و"نورة"، أمّا "أبو صالحه" فقد جلس في المدخل بجوار الجثث يقرأ عليهم ما تيسّر من آيات الذّكر الحكيم، ودعا لهم أن يكتبهم الله شهداءً عنده لأنّهم قُتلوا دفاعًا عن النّفس والعرض، وما لبث أن قال من وراء الباب لـ "أم عوض" هناك قافلة سوف تتّجه إلى مكّة الآن، وإنّ الوضع بدون رجل في البيت هنا سيعرّضهم لمشاكل هم في غنى عنها، وطلب منهم مرافقتهم حفاظًا على البنات والصّغار وعليها أيضًا، لم تفكّر كثيرًا وسألت:

- والجثث؟

- يتولّاها الرّحمن الرّحيم، وأكمل ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

- أمنت بالله وعليه توكلت... متى نغادر؟
- الآن أنا أخرج في الأوّل أشوف الطّريق، وبعدين أنتنّ واحدة وراء
الثّانية، نلتقي عند الزّريبة من الباب الخلفي... نأخذ الحمير ونلحق بالقافلة
في ستر الليل، أنا راح أراقب الشّارع حتّى آخر واحدة منكنّ تخرج من البيت،
أقفل الباب وألحق بكنّ.
- على بركة الله.

- جمعوا أغراضكم، ما خفّ حملهم وغلا ثمنه، والباقي اتركوه.
- ما يصير إلّا خير... بس خليّ الباب مفتوحاً عسى أحد يلاقي الجثث
ويدفنها.

ما هي إلّا دقائق وقد تركوا البيت، وفي أقلّ من ساعة كانوا مع القافلة في
طريقهم إلى مكّة المكرّمة.

القافلة التي تتكوّن من واحد وستين شخصاً أغلبهم من النّساء
والأطفال، فهناك سبعة من الرّجال وخمس عشرة امرأة وخمس بنات،
أعمارهنّ بين الثّانية عشرة والخامسة عشر، وثلاثون طفلاً وطفلة أقلّ من
الثّماني سنوات وعبدان هما "فرج" و"عيد" لحراسة سيّدهم "نائل بن
ظافر"، وجارية تُدعى مبروكة تقوم على رعاية طفله "لطيفة"، والدّلّيل،
ورجلان بسلاحهما لحماية القافلة. وكان من بين الرّجال السّبعة رجل في
العقد السّادس من عمره نحيل أسمر متوسّط القامة ذو ملامح حادّة وعينين
سوداوين فيها حزن عميق وانكسار، يحبّ الشّعْر والغناء، ذو صوت شجيّ
فيه أسى ولوعة سريع البديهة، حاضر النّكتة، اجتماعي يلتف حوله الرّجال
لسماع أشعاره، وتلك التي يحفظها لغيره يحفظ لـ "أبي فراس الحمداني"
قصيدة عصي الدّمع ويردّدها بلحن شجيّ إذا كان راكباً أو مختلياً بنفسه
يدخّن سيجارة الجنز، الذي كان يُزرع في الجبال ويُدعى "محمود آل حجي

وحيد"، والحضرمي "أبو صالحه" ومعه زوجته وبناته الأربعة، و"عامر" بائع اللبن مع زوجته وطفلين وسراج الصَّائغ مع أهله و"عيسى صباغ" الموظَّف في المحكمة وزوجته، و"عبد القادر سليهاني" موظَّف البريد وزوجته وأبنائه، أمَّا "نائل بن ظافر" فهو في الثَّامنة والعشرين من عمره وهو القائم بهذه القافلة يعرف الجميع ما عدا "أم عوض" وبناتها فهم غريبون عن الطَّائِف، ولكن "أبو صالحه" جارهم هو الذي دعاهم وأقنع الشَّيخ نائل بأنَّ أجْرهم عند الله عظيم.

طويل، وسيم، تاجر، الوحيد الذي يملك اثنين من الخيول وفرسًا، أمَّا جماله الأربعة فهي محمَّلة بالأمتعة والزَّاد يركب على أحد الخيول وأمامه ابنته الصَّغيرة "لطيفة" التي لم تبلغ الرَّابعة من عمرها بعد، أمَّا الخيل الثَّانية فيتناوب على ركوبها "فرج" و"عيد"، أمَّا الفرس فهي لـ "مبروكة" التي تتناوب معه الطفلة.

في اليوم التَّالي من الرِّحلة قدَّم "نائل" جاريته مبروكة وابنته لطيفة لـ "أم عوض" بعد أن قدَّم لها العزاء في الشَّهداء الثَّلاث، وطلب منها لطفًا مراقبة الطِّفلة، أمَّا الجارية فهي تحت خدمتها في أيِّ شيء تريده، فرحت "نورة" بالطِّفلة وحضنتها، فكم كانت تتمنَّى أن يرزقها الله بطفلة من "لافي" تكون أختًا لـ "صخر"، ولكنَّ المرض الذي ألَمَّ بها بعد الولادة تسبَّب في عدم قدرتها على الإنجاب كما قالت لها "سمحة" الخيرة في شئون النِّساء في القرية، واستسلمت لإرادة الخالق.

العلاقة بين "أم عوض" و"مبروكة" توطَّدت؛ فهذه الجارية تحكي عن سيِّدها أنَّه يملك منزلًا فخمًا في وسط بستان في (المثناه) وهي قرية قريبة من الطَّائِف أصبحت حيًّا من أحياء مدينة الطَّائِف الكبيرة الآن، وفيها صخرة الكوع ومسجد صغير يُقال إنَّه بُني في عهد الخليفة الثَّاني "عمر بن الخطَّاب"

علامة للموقع الذي مكث فيه الرسول "محمد" ﷺ عندما صعد إلى الطائف يدعو ثقيف للإسلام فرجموه بالحجارة)، ويملك عمارة قريبة من الحرم في مكة يكرها كل عام للحجاج وبيتاً آخر في حي (المعابدة) واسع وله حديقة، يقوم على خدمته والعناية بالمنزل الجارية "خضرة" والعبد "سعيد"، أمّا البيت والبستان في الطائف فقد ترك "أم الخير" و"عبد" و"سعيدان" للعناية به، قالت "أم عوض":

- وين زوجته؟

مبروكة: تُوفيت بعد ولادة البنية على أثر حمى النفاس، كانت جميلة اسماً ورسماً.

أم عوض: وما تزوج بعدها؟

مبروكة: يقول ما خلق الله مثل جميلة يحبها موت.

أم عوض: وأنت كم لك معه؟

مبروكة: أنا تربيت معه عند أبيه الله يرحمه.

أم عوض: وين أمّه.

مبروكة: الله يرحمها ماتت بعد ولادته بستين أو ثلاث، وهي حامل أسقطت وجاها مرض والعياذ بالله، تُوفيت على أثره بسرعة وأكملت تربيته أمي معي.

أم عوض: والصندوق (السيسم) الي تتناوبي على حملة معه ويش فيه قروش؟

مبروكة: صكوك العبيد والجواري وصكوك البيوت وأوراق مهمّة وجنيهاات ذهب وفضّة.

لهفة لطيفة الصّغيرة على نورة ورعاية الأخيرة لها كان له وقع في نفس نائل، الذي كان يسترّق النّظر إليها بين الفينة والأخرى بحجّة متابعة ابنته،

أوقات سير القافلة بعد صلاة العشاء، وتتوقّف بعد صلاة الفجر للرّاحة والتّواري عن أعين قطع الطّرق، وتسلك طرقاً وعرّة يضطر الجميع إلى التّرجل عن الدّواب، بل ومساعدة الإبل للتّزول من المنحدرات الجبلية بالتّخفيف من حمولتها وتوجيهها بعيداً عن مسالك الجند والحرب؛ لذا فقد استغرقت الرّحلة عشر ليالٍ كاملة، كانت أشبه برحلة منها إلى هروب من ويلات القتال الدّائر، تقارب فيها أفراد القافلة كباراً وصغاراً وتكاتفوا.

النّظرات بين "نائل" و"نورة" تسرق الوقت وتمضي، في بعض الأوقات تركب الفرس مع لطيفة بطلب من الصّغيرة وتركت حمارها لـ"مبروك"، أمّا "أم عوض" فقد تبادلت الرّاحلة مع العبيد فأخذت الخيل وأعطتهم الحمار يتناوبون على ركوبه، أمّا "صخر" فقد سعد بركوب الخيل، مرّة خلف جدّته، والأخرى خلف "نائل" والثّالثة خلف والدته عندما تكون "لطيفة" مع والدها وهذا نادر، "أم عوض" التي كانت ترغب في الوصول إلى مكّة بأسرع وقت ها هي تدعو الله سرّاً أن تطول هذه المتعة مع هذه الصّحبة؛ فالأكل متوفّر وكلّهم متعاونون رجالاً ونساءً، وصوت آل حبيّ الشّجي الحنون يثير في النّفس شجناً، وضحكات الرّجال والأولاد عندما يلتفون حوله مكوّنين حلقة للمرح لا يمل ولا يمل، هذه الرّحلة قد غسّلت الكثير من الأحزان التي كانت تسرق من وقتهم بعض اللحظات يتذكّرون فيها ما حدث، خاصّة "نورة" التي تبكي أباه وأخاه وزوجها قبل النّوم، تحسّ بها "مبروك" التي تنام بجوارها وتهدّئ من حزنها بأن تحتسب وتذكر الله.

عندما دخلت القافلة إلى مكّة توزّع الجميع بين دموع الوداع والإلحاح على السّؤال والتّجمّع مرّة أخرى، ولم يبقَ إلّا الشّيخ "نائل" و"الحضرمي" وعائلته و"أم عوض" وبنيتها، سأل "نائل" بخجل:

- وين راح تسكنوا؟

أبو صالحة: ويش رأيك يا "أم عوض" ننزل في الخان حتّى نكري بيتًا! لم تستطع "أم عوض" أن تجيب، لم تفكرّ في السّكن، وكيف تعيش مع ابنتيهما وهي لا تملك من حطام الدّنيا شيئًا غير بعض القطع الذّهبيّة والفضيّة قد لا تكفي كروة منزل لمُدّة عام.

قال "نائل" معاتبًا "أبو صالحة": ننزل في الخان ودار أخيك واسعة، أقسم بالله العظيم أن تنزلوا عندي؛ فالبيت واسع والحمد لله... وفيه مختصر واسع لـ "أم عوض" وبناتها.

"أم عوض" وهي تحاول أن تخفي بكاءها: الأمل في الله ثمّ في "عيضة" زوج "هبة" يكون عايش ولنلقاه.

نائل: البيت بيتك يا "أم عوض" وأنا مكان "عيضة" الله يرجعه بالسّلامة ولما يرجع فيها حلال.

أم عوض: اللي يشوفه "أبو صالحة".

نائل: تعالوا نروح على البيت ونرتاح وبعدين إذا ما عجبكم الحال تصرّفوا!

أبو صالحة: بس نخاف نثقل عليك.

نائل: ثقلكم على الأرض وأنت أخوي وذولي أهلي وأنا أقسمت.

وانتجه الجميع ناحية حي المعابدة، وعندما دخلوا قام "فرج" بأخذ البهائم للحظيرة، أمّا "مبروكة" و"عيد" و"سعيد" و"خضرة"، فقد قاموا بإدخال الحمولة إلى الدّار، أمّا "نائل" فقد رحّب بضيوفه وأخذ يطوف بهم على المنزل، وعند المختصر الملحق بالمنزل وهو جزء منه منفصل متّصل، فقد كان يحتوي على ثلاث غرف للنّوم بحمّاماتها وصالون وصالة واسعة للمعيشة ومطبخ، فقد قال:

- هذا منزلك يا "أم عوض" أنت والبنات تراه هبة لك مني، البيت مجهز بالكامل وبابكم مفصول على البستان والخدم في خدمتكم، الأكل وقتما تريدون و"صخر" ولدي راح أعلمه وأربيّه، وإذا جا "عيزة" بالسّلامة يسكن معك في بيتك، هذا الجزء لك يا "أم عوض" وعلمي سلامتك، واعتبر "لطيفة" حفيدتك مثلها مثل صخر وبنات "هبة".

أم عوض: الله يسلمك يا وليدي، بس هذا كثير الله يطوّل في عمرك ويحفظ لك "لطيفة".

نائل: الغالي يرخص لك يا "أم عوض" فدى راسك الله يسلمك... وها الحين ارتاحوا ولا تخجلوا... عندك "مبروكة" و"خضرة" تراهم جواريك وراح أشتري لك جارية باسمك، بس تهدي الأمور شوي.

أم عوض: الله يغنيك ويوسّع رزقك ويستّر عليك دنيا وآخرة.

"أبو صالحة" وعائلته لم يمكثوا أكثر من ثلاثة أيّام الضّيفاء، فقد اكترى منزلاً واشترك مع "نائل" في تجارة لمواد البناء.

"صخر" الذي عوّضه ربّه بهذا الرّجل الذي لا يفارقه، فقد جهّز له جناحاً في البيت الكبير، وترك "لطيفة" مع "نورة" ومربّيتها "مبروكة"، فقد سمّى البيت الكبير بيت الرّجال والملحق بيت النّساء، لم تمض عدّة أشهر حتّى اشترى "نائل" جارتين.

مرّت الأيّام والأشهر، ولم يظهر "عيزة" واعتبر من المفقودين في الحرب لكي يبقى الأمل يداعب "هبة"، وبعد أن قام الإمام سلطان نجد "عبد العزيز بن سعود" بدخول مكّة معتمراً وهدأت الأمور نسبياً قالت مبروكة لـ "أم عوض":

- ويش رأيك في سيدي نائل؟

أم عوض: ونعم ألف نعم رجال ولا كلّ الرّجال.

مبروكة: يعني لو تقدّم لأم صخر توافقي؟

أم عوض: أم صخر ثيب والثيب تُسَّشَار!

مبروكة: أنتِ موافقة؟

أم عوض: إذا وافقت صاحبة الشأن ليه لا!

مبروكة: يعني موافقة؟

أم عوض: ليه هومح لك بشيء؟

مبروكة: أنتِ جسي البُض عند بنيتك والباقي على الله وعليّ.

أم عوض: لا... ما أقدر أكلّمها في موضوع زي هذا إلا إذا الرّجال راغب.

مبروكة: الرّجال راغب بس مستحي، ويخاف من زعلكم ترحلوا وتشكوا في نواياه وهو سليم النّية ويبي الحلال.

أم عوض: أجل اتركي الموضوع لي وما يكون إلا خير، اسمعي لازم يعرف أنّ "نورة" ما تقدر تنجب.

مبروكة: أعرف "أم صخر" قالت لي وهو يعرف الموضوع، وما يبي غير "صخر" و"لطيفة" وأنا اتكلّمت مع "نورة" وهي تمدح في أخلاق سيدي ومعاملته مع "صخر"، يعامله كأنه رجال حتّى قالت شفتي الفرق "صخر" تعلّم خلال السنّة ونضج كثيرًا وأقول لك سرًّا... إن سيدي راح يدخله المدرسة ويجب له الشّيخ يحفظه القرآن في البيت ويعلمه الفروسيّة والسّباحة يبيه راجل بمعنى الكلمة.

لم يمر أكثر من أسبوع حتّى فاجأت "أم عوض" ابتتها بالخبر، نزل الخبر على نورة كالصّاعقة وإن كانت تنتظر هذا الإعلان صاحت: وصخر؟

أم عوض: ما به صخر مبسوط مع الرّجال.

نورة: مبسوط مع الرّجال كراعٍ يرعاه، لكن محل أبيه ما ظننت.

أم عوض: خَلِّي صخر عليّ.

نورة: بس لا تجرحي مشاعره إذا ما وافق، أنا منّي موافقة وراح آخذه وأترك البيت اللي بيبي يجي معي الله يحيه.

أم عوض: صلّ على النّبي، الولد بكرة يكبر ويتزوّج والله العالم! يا بنيتي الواحدة منّا ما يسترها غير زوج يرعى ويهنيّ... وأنت صغيرة راح تدبلي وتندمي... والرّجال مشترك.

نورة: رضا "صخر" في الأوّل.

أم عوض: الصّغار ما يدركوا ولا يعرفوا يقدّروا الأمور.

نورة: ولي أمري "صخر" وموافقته قبل كلّ شيء.

أم عوض: يكون خير.

تمّت مراسم الزّواج في هدوء؛ فالقاضي هو وكيل العروس؛ لأنّ الوكيل الشرعي قاصر، وأصبح "نائل" من الأسرة ومحرمًا لها، واقتصر الفرح على مجموعة القافلة رجالاً ونساءً وأطفالاً في بستان منزل الشّيخ "نائل"، غنى "آل حجي" بصوته العذب وانتقلت "نورة" إلى البيت الكبير، حيث زوجها وابنها.

مرّت السّنوات، نمت وازدهرت تجارة "نائل" وشريكه "أبو صالحة" وتزوّجت "هبة" بعد أن تأكّد خبر مقتل عيضة في معركة تربة وتزوّج بناتها، حتّى "لطيفة" تزوّجت من ابن المالكى أحد تجّار مكّة، كبر "صخر"، "نائل" يريد منه أن يكمل تعليمه الجامعي في القاهرة، وأحلام "صخر" أبعد من المسافة بين القاهرة والرباط، بل أبعد من لندن نفسها، يريد أن يدرس في الولايات المتّحدة.

نائل: لكن أمريكا بعيدة!

صخر: البعد هو البعد يا عم.

نائل: لكن مصر قريبة، ويمكن نزورك أنا وأمك وجدّتك وخالتك في أيّ وقت أقدر أشتري لك بيتاً وأعيّن لك عاملة منزل وطبخاً.

صخر: أبي أعتد على نفسي، جزاك الله خيراً، ربّيتني وعلمّمتني وأكرمتني وما راح أنسى فضل الله وفضلك عليّ وعلى أهلي، والآن أنا كبرت وما أبي أحداً يقرّر مصير مستقبلي غيري لو سمحت... أنت علمّمتني أتكلّم معك بصراحة.

نائل: لا تقل هذا الكلام، أنا واحد منكم... أنتم أهل الفضل عليّ بعد الله.

صخر: هذا من طيب عودك وأصلك الطيّب الكريم يا كريم... بس أستأذنك لو تحبّني صحيح توصلني أمريكا.
نائل: وأمك؟

صخر: أمّي تبي لي الخير، وكلّهم في خير الله وخيرك... الله يطوّل عمرك وتحت رعايتك.

نائل: ويش راح تدرس؟

صخر: ما أعرف يمكن هندسة أي شيء ما حدّدت، أبي أدرس لغة في الأوّل لمدة سنة سنتين، وخلال هذي الفترة أتعرف على العلوم وأقرّر.

نائل: بس على شرط... أنا ما قلت لك شيئاً وذي فكرتك، وعلى شرط تقنع أمك وأنا ما عندي مانع أكمل لك الإجراءات.

صخر: أنت خير من يقنعها.

نائل: لا إلّا هذي ويش رأيك تناقش موضوع السّفر في جلسة العيلة، وأنا أسمع وبعدين نتجادل شوي ونقرّر.

الوداع عند ميناء جدّة البحري والباخرة البريطانيّة المتّجهة إلى (بورموث) كانت خليطاً بين الرُّكّاب والبضائع، "نائل" يوصي رجلاً يتحدّث العربيّة

والانجليزِيَّةُ أن يهتَمَّ بابنه "صخر" وينهي إجراءات سفره من الميناء البريطاني حتَّى يتأكَّد أنَّه من ضمن الرُّكَّاب على الطَّائرة المتَّجهة إلى ميناء نيويورك الجوّي، ويوصي "صخر" أنَّه عندما يصل هناك يجب عليه أن يفتح حسابًا بنكيًّا، ويبعث لهم برقيَّة بعنوانه ورقم حسابه حتَّى يتمكَّن من تحويل مصاريفه مباشرة على حسابه، أمَّا الجنيَّهات الذهبيَّة الخمسة فلا تلمسها إلَّا إذا تأخَّر التَّحويل لأيّ ظرف، ومثلما وصَّاكَ عمَّكَ "أبو صالحه" اقتصد في المصروف ولا تبخل على نفسك في المأكَل والملبس والعلم، ضمَّه "نائل" وعندما حاول "صخر" أن يقبِّل يديه سحبها بسرعة وطلب منه أن يتفرَّغ للدراسة ويعود إلى بلاده سالمًا غاثمًا... أوصيك بتقوى الله في نفسك وأن تعاهدني على أن تحافظ على صلاتك، وأن لا تشرب المسكر، ولا تقرب الميسر، ولا تأكل لحم الخنزير، هذه هي اللاآت الثلاثة التي يجب أن تبعد عنها.

(قلوب الرّجال خزائن مغلقة) وكلّمّا قدّمت الحزنة تراكمت عليها
الأصداء والأتربة ، وبالتالي تحتاج إلى خبير متمرّس لفتحها وإخراج مكنونها.

السُّفْيَانِي

obeikandi.com

اكتسب "صخر" بعض الكلمات البسيطة من اللغة الانجليزية خلال سفره ما بين جدّة وبورموث من مرافقه في الرحلة، وركب معه القطار المتّجه إلى لندن، عاصمة بريطانيا العظمى، بعثَ بريقة قال فيها:

العم نائل

تحية طيبة

أنا في لندن، سوف أغادر إلى واشنطن في الأسبوع القادم على الخطوط الأمريكية تي دبليو إيه، سكنت في بيت "نور الإسلام"، الرجل الهندي المسلم الذي أوصيته عليّ عند السّفر من جدّة، تحيَّاتي للجدّة والوالدة وجميع العائلة وكلّ مَنْ يسأل عنّا.

ابنكم

صخر بن لافي آل شري

١٩ / ١٠ / ١٩٣٦ م

ومن واشنطن بعث بالبرقية التّالية:

العم نائل

تحية طيبة

وصلت إلى واشنطن، وسوف أغادر إلى كاليفورنيا بالقطار وألتحق بجامعة جنوب كاليفورنيا في معهد اللغة الانجليزية لغير النّاطقين بها، ويوجد هناك سكن للطلّبة حسب نصيحة "نور الإسلام"، فقد أعطاني خطاباً لأحد الأساتذة، الذي يعمل مدرّساً في الجامعة... عندما أَسْتَقِر سوف أبعث لكم رسالة مطوّلة عن الرحلة مع عنواني كي أطمئن عليكم. تحيَّاتي للجميع.

ابنكم

صخر بن لافي

واشنطن في ١١ / ١١ / ١٩٣٦ م

الرَّحْلة من واشنطن إلى لوس أنجلوس استغرقت بضعة أيَّام، كان حريصاً على تدوين ملاحظاته عن المدن والمحطَّات التي يمرُّ بها، والأشخاص الذين يلتقي بهم، فهذا البدين الذي يحاول أن يحشر نفسه في كرسي القطار صاحب الرَّأس المكوَّور الضَّخم، عندما يضحك وتحمر وجنتاه تصبحان في لون الطَّماطم عندما تبدأ في الاحمرار، وذلك الهزيل النَّحيل الذي يرافقه كأنَّما يريد أن يقول للعالم أنَّ سبب نحوله هو هذا المفتري الذي يأكل طعامه ليحرمه منه، فهما مثال لكثرة العطاء وسوء التَّوزيع! أو المجاعة وأسبابها يسيران مع بعضهما البعض في توافق غريب!

لم يكن معه غير حقيبة صغيرة وضعَّ فيها بعض الملابس، بدأت لغته الانجليزية تتحسنَّ نوعاً ما لإصراره على الكلام بها، ويلتقط بعض الجمل التي يكرَّرها لحفظها دون كتابتها، بل يردِّدها، الفرق بينه وبين البيغاء أنَّه يعرف معناها، ويعرف متى يستخدمها! المغامرة جميلة وإن كانت مخوفة بالمفاجآت غير المتوقَّعة أحياناً إلا أنَّه بفضل الله وبفضل تربيته التي اعتنى بها عمَّه "نائل" وتعليمه الرِّماية والسَّباحة وركوب الخيل والصَّبر على الشَّدائد التي تعلَّم كيف يتعايش معها بقوله أنَّه عربي قادم للدراسة، حفظ هذه الجملة وأخذ من كثرة ترديده لها أن يكرَّرها حتَّى في منامه في بعض الأوقات التي تداهمه على كرسي القطار.

لم يضايقه شيء أكثر من لون بشرته السَّمرَاء بين غابة من البشرة الشَّقراء، فتعرَّض لبعض من بقايا العنصرية في منطقة الشَّمال الأمريكي، ولكنَّه وجد في الوقت نفسه من يهتمُّون بالإنسان كإنسان، بصرف النَّظر عن اللون أو العرق أو الدِّين، لاحظ أنَّ الملَّونين من أمثاله يعملون في الأعمال الدُّنيا وأجرهم بسيط وهم بسيطون حتَّى في تعاملهم مع الآخرين، ولكنَّهم يحترمون الرَّجل

الأبيض أكثر من احترامهم لبعضهم البعض، مقابل أن يعطفوا على بعضهم أكثر من عطفهم على السّحنة الشّقاء (نوع من المقايضة حتّى في المشاعر).
ومن لوس أنجلوس بعث بالبرقية التّالية:

العم نائل

تحيّة طيّبة

وصلتُ إلى مقرّ درّاستي في جامعة جنوب كاليفورنيا بحمد الله، ساعدني مُهاجرٌ عربيٌّ من الشّام يُدعى "جميل" يعمل في شركة للمواد الغذائية،
عنواي... ورقم حسابي هو... بنك... فرع... وعنوان البنك... تحيّاتي
للجميع... أنا بخير... أنتظر أخباركم.

ابنكم

صخر

كاليفورنيا ٣٠ / ١١ / ١٩٣٦ م

ألحقها ببرقية أخرى أنّ الدّراسة قد بدأت في ١٠ / ١ / ١٩٣٧ م.

كاليفورنيا خليط من البشر، وجدّ بعض الصّعوبة في دراسة اللغة في البداية، مشاعر الغربة والحنين إلى الوطن بدأت تغزوه، خاصّة عندما يخلو بنفسه قبل النّوم، سكن مع زميل أمريكي يدرس القانون، فوجئ في أوّل ليلة يقضيها معه أنّ الشّاب الأمريكي لا يتحرّج أن ينام عاريًا كما خلقه الله، ولكنّه تعود على ذلك، فإذا كنت في دارهم فدّارهم، مرّت الثلاثة أشهر الأولى من الدّراسة، وأكثر من خمسة أشهر منذ مغادرته البلاد، بدأ النّقد يقلّ في رصيده، القلق بدأ يساوره فهو منذ مغادرته الوطن لا يعرف شيئًا عن أخبارهم، هل وصلت برقياتُه؟ هل هم بخير؟ ماذا يفعل لو أنّ البرقيات لم تصل؟ وبالتالي لن يصل التّحويل! لا مفرّ من العمل والاعتماد على النّفس،

نعم... سوف أعمل وأدرس، كان يراجع البنك شبه يوميًا، والنتيجة واحدة... الرصيد يقلّ والتحويل لم يصل، تحدّث مع مشرفة السّكن أنّه مستعدّ للعمل ووضّع اسمه ضمن قائمة الطّلبة الرّاعين في العمل، قابل الرّجل العربي المهاجر الهارب من استعمار الشّام الذي تعرّف عليه وساعده في الالتحاق بالمعهد، وطلب منه أن يبحث له عن عمل، نظر إليه باستغراب وقال:

- لماذا؟

- ما وصلني التّحويل، ورصيدي في البنك يتناقص.
- ما تخاف... التّحويل راح يوصلك وأنا رقبتي سدّادة، ولو يا عيب الشّوم.
- الله يجازيك خيرًا... بس...

- ولا بس... سيب هل الحكي ولاه... وانتبه لدراستك... أنت ولد عزّ وكريم، والكريم ما ينضام، تع اتعشّى عندي اليوم مع العيلة وانسى الكلام الفاضي، وإذا احتجت مصاري أخوك موجود.

في الأسبوع التّالي لم يبقَ في رصيده غير القليل جدًّا من الدّولارات، ذهب إلى البنك وطمأنه عامل الشّباك أنّ التّحويل قد وصل، وهو مبلغ محترم جدًّا يكفيه حتّى نهاية العام الدّراسي مع مصاريف الدّراسة، فرح كما لم يفرح من قبل، كاد يقبّل الرّجل، عاد يتراقص طربًا، يريد أن يقبّل ويحضن كلّ من رآهم في الشّارع المؤدّي إلى السّكن، دعاء جدّي فهي تدعولي بأن يسترني الله دائمًا في صلواتها، أحمدك يا رب، وهذا يعنى أنّ البرقيات قد وصلت، وسوف تصل رسالة قريبًا يطمئن فيها على أهله ووطنه، وبالفعل بعد أسبوعين وجدّ في صندوق بريده الرّسالة المرتقبة، قبّل الرّسالة قبل أن يفتحها، نفرت دمعة من عينيه من شدّة الفرح، لاحظها كلّ من كان متواجدًا عند صناديق بريد

السَّكَن، ضَمَّ الرِّسَالَةَ وهَرَوَلَ إلى غِرْفَتِهِ، قَرَأَهَا بِسُرْعَةٍ وَأَعَادَ قِرَاءَتَهَا وَفَتَحَ خَزَنَتَهُ الصَّغِيرَةَ وَوَضَعَ فِيهَا الرِّسَالَةَ مَعَ بَعْضِ الْأَوْرَاقِ الْمَهْمَّةِ وَالْأَوْرَاقِ النَّقْدِيَّةِ، أَمَّا جَوَازُ سَفَرِهِ وَالْجَنِيَهَاتِ الْخَمْسَةَ فَقَدْ وَضَعَهَا فِي خَزَنَةِ الْبَنْكِ.

عَامَانُ مَرًّا، تَوَطَّدَتْ عِلَاقَتُهُ مَعَ "جَمِيلٍ" وَلَدِ الشَّامِ وَمَعَ (صَدِيقَتِهِ لِينِيَتِ) الْأَمْرِيكِيَّةِ الَّتِي تَدْرُسُ فِي كَلِيَّةِ الْأَدَابِ، تَصْغَرُهُ بِنَحْوِ خَمْسِ سِنَوَاتٍ وَهِيَ خَلِيطٌ؛ فَوَالِدَاهَا مِنْ أَصُولِ أَيْرْلَنْدِيَّةٍ أَشْقَرُ أَخْضَرَ الْعَيْنَيْنِ وَأُمُّهَا مِنْ سَكَّانِ الْهِنُودِ الْأَمْرِيكِيِّينَ الْأَصْلِيِّينَ، مَتَوَسِّطَةُ الْجَمَالِ، جَذَّابَةٌ، طَوِيلَةٌ، رَشِيقَةٌ.

يَمِيلُ لَوْنُ بَشَرَتِهَا إِلَى بَشْرَةِ أُمِّهَا، أَمَّا تَقَاطِيعُ الْوَجْهِ فَلَوَالِدَاهَا مَا عَدَا الْعَيْنَيْنِ وَالْحَاجِبَيْنِ؛ فَهِيَ نَسْخَةٌ طَبَقَ الْأَصْلِ مُسْتَنْسَخَةٌ مِنْ وَالِدَتِهَا، أَحَبَّهَا وَأَحَبَّتَهُ، أَطْلَقَ عَلَيْهَا اسْمَ "لِيلِي"، وَعِنْدَمَا سَأَلْتَهُ عَنْ الْاسْمِ حَكَى لَهَا قِصَّةَ "قَيْسِ بْنِ الْمُلُوحِ" وَلَيْلَاهُ، أَحَبَّتِ الْاسْمَ وَقَامَتْ بِتَغْيِيرِ اسْمِهَا الْحَقِيقِيِّ إِلَى الْاسْمِ الْجَدِيدِ، وَبَلَغَتْ جَمِيعَ أَصْدِقَائِهَا أَنَّ يَنْسُوا الْاسْمَ الْقَدِيمَ وَيَسْتَخْدَمُوا الْاسْمَ الْقَادِمَ مِنْ عِبْقِ تَارِيخِ الشَّرْقِ، كَانَتْ تَرَوِي الْقِصَّةَ كَمَا سَمِعَتْهَا مِنْ "صَخْرٍ"، أَنَّهُى دِرَاسَةَ اللُّغَةِ وَبَدَأَ يِرَاسِلُ الْجَامِعَاتِ وَيَرْغَبُ فِي دِرَاسَةِ الْقَانُونِ، وَاسْتَقَرَّ فِي جَامِعَتِهِ وَتَحَوَّلَتْ أَوْرَاقُهُ مِنَ الْمَعْهَدِ إِلَى الْجَامِعَةِ، وَبَعْدَ أَنْ دَفَعَ الرُّسُومَ بَعَثَ بِرِسَالَةٍ مَطْوَلَةٍ لَعَمَّهُ يَبْلُغُهُ عَنْ أَخْبَارِهِ، كَمَا بَعَثَ بِصُورَةٍ حَدِيثَةٍ لَهُ مَعَ لَيْلَاهُ، وَبَعَثَ بِجَوَازِ سَفَرِهِ لِتَجْدِيدِهِ إِلَى السَّفَارَةِ السُّعُودِيَّةِ فِي وَاشَنْطُنْ بَعْدَ أَنْ تَحَدَّثَ مَعَ الْقَنْصَلِ شَخْصِيًّا فِي الْهَاتِفِ، وَأَخَذَ عِنْوَانَ السَّفَارَةِ الَّتِي شَجَّعَهُ وَبَارَكَ لَهُ عَلَى هَذِهِ الْخُطْوَةِ.

فِي النِّصْفِ الثَّانِي مِنَ الْعَامِ لَمْ يَصِلْهُ التَّحْوِيلُ، صَرَفَ جَنِيَهَانِ مِنَ الْجَنِيَهَاتِ الْخَمْسَةِ، سَدَّدَ الرُّسُومَ وَدَعَمَ بِالْبَاقِي رَصِيدَهُ، وَعَادَ الْقَلْقَ مَرَّةً أُخْرَى وَلَكِنْ بِصُورَةٍ أَخْفَ هَذِهِ الْمَرَّةِ، فِي أَحَدِ الْإَيَّامِ طَلَبَ أَحَدُ الْأَسَاتِذَةِ مِنْ طَلَبَتِهِ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَوْقِفَ الْحَرْبَ فِي أَوْرُوبَا، وَمَا هِيَ إِلَّا أَيَّامٌ وَالنَّاسُ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْحَرْبِ

وعن دخول الألمان النمسا، وهو لا يتذكر من هذه الكلمة إلا صورة أبيه وجده وخاله "عوض" وهي مضرجة بالدماء، بدأت الكوابيس تلاحقه في منامه و"ليلي" لا تعرف شيئاً أو سبباً للانقلاب الذي حدث لحبيبها، الانعكاس في التصرفات مرده لشعور ما في النفس الإنسانية، حاولت جاهدة أن تسليه ولكن الحرب وأخبار اشتعالها تقلقه من ناحيتين، الخوف من الحرب أن تصل نيرانها إلى الوطن من ناحية، ومن الأخرى عدم وصول التحويلات النقدية، سار في الشوارع على قدميه، قرأ إعلاناً، التحق بالطيران، حلق في الفضاء... ورقم الهاتف، اتصل، تقدّم، التحق، وبعد فترة أصبح طياراً.

أمريكا تراقب الحرب ولا تشترك فيها، الحرب أصبحت أُمّية بين دول المحور والتحالف، الهجوم الياباني على بيرل هاربر، الإعلانات تطلب من يعرف الطيران للالتحاق بسلاح الطيران الأمريكي، الرئيس الأمريكي روزفلت يشجّع الشباب على الالتحاق بالجيش، ويحث أولئك الذين يحسنون قيادة الطائرات أو صيانتها لإنقاذ سمعة أمريكا والتأثر من المعتدين.

لم يبق لديه سوى جنّيه ذهب واحد، تقدّم مع مجموعة من الشباب الأمريكيين، تمّ قبوله، الراتب مغر، كتب وصيته في ورقة وضعها داخل خزنه وسلمها إلى "ليلي" وأوصاهاً بأن تُسلم الصندوق للقنصل السعودي في واشنطن وتطلب منه أن يسلمه لعمّه "نائل بن ظافر" على هذا العنوان، وودّعها واشترك في الحرب الأُمّية الثانية، رسائل "ليلي" التي لا تنقطع عنه لا تحمل الأخبار السارة فحسب، بل كانت الوقود الذي يدفعه إلى المزيد من القتال بعد أن أبلى بلاءً حسناً، خاصّة في فرنسا عندما انحدرت قوّة "هتلر"، وكتب يصف لها دور الطيران وخاصّة السرب الذي كان أحد

أفراده في تحرير فرنسا من الطُغيان النّازي، عاد إلى الولايات المتّحدة بعد أن أخذت نيران الحرب بانتصار الحلفاء واندحار المعتدين.

يوم تكريم الأبطال يوم لا تنساه الذاكرة، فقد وقف في بدلته العسكريّة، وبجواره حبيبة قلبه "ليلي" وهم يضعون النّياشين على صدره، وكوفئ برتبة عسكريّة والحصول على الجنسيّة الأمريكيّة، تزوّج من ليلاه فقد توطّدت علاقته بعائلتها، خاصّة بعد أن عاد كبطل حرب تفخر به أيّ عائلة، وأنجب ولدًا أسماه "عمر" وبنّتا أسماها "هيا"، واشترى مزرعة بالإضافة إلى عمله كطيار في السّلاح الجوّي الأمريكي، وتقاعد برتبة ملازم، ونفّرغ للعمل في مزرعته والعناية بأسرته.

سأل "ماهر" صديقه "لافي" متى وكيف تُوفّي جدّه "صخر"، وهل أوصى بدفن جثمانه في مكّة أو في قريته بجوار والديه، فقال "لافي":
تُوفّي على سريريه بهبوط حاد في الدّورة الدّمويّة وتصلّب في الشّرايين، كما كتب في التّقرير الطّبي، وعمل له تأبينًا من قُدّامي المحاربين وغطّى جسده بالعلم الأمريكي، وأطلقت إحدى وعشرين طلقة تقديرًا له لبطولاته ودُفِنَ في العاشر من سبتمبر ٢٠٠١م في مقبرة خاصّة للمحاربين.

أمّا "سعد" فقد ألقي في زنزانه سجن انفرادي لا تليق إلّا بأمثاله من عتاة المجرمين، وتُرك وحيدًا مع فرشاة ومصحف لأكثر من ستين يومًا، مع آلة تصوير للمراقبة، لم يقابل أحدًا ولم يلمح ظلّ أحد، يصله الطّعام والشّراب عن طريق صينيّة تُدفع للدّاخل، يخرج منها طعامه، وعندما ينتهي يضع الأطباق لتُسحب من الخارج.

يعلم أنّهم يراقبون سلوكه من خلال هذه الكاميرا المسلّطة عليه لمعرفة بعض من جوانب حياته.

هل هو من المتشددين؟ هل يحفظ القرآن؟ هل يقرأ القرآن؟ يصلي؟ كيفية
صلاته! طريقة جلوسه؟

قيامه! نومه! قيامه!

كان يتدرَّب على ذلك يومياً قبل أن يُلقَى القبض عليه، برغم أنَّه يحفظ
القرآن عن ظهر قلب إلاَّ أنَّه أخذ يقلِّب صفحاته مع التَّدكُّر، قام بتقسيم
الوقت بين الصَّلَاة وقراءة القرآن والطَّعام والنُّوم والرياضة البدنيَّة والرياضة
العقليَّة في التَّلعب بالأرقام الحسابيَّة، والدُّعاء والتَّسبيح، برنامج يومي لا
يمل ولا يكل ولا يتغيَّر ترتيبه إطلاقاً، وبهدوء دون ضجَّة أو تذرُّم ولا يلقي
لآلة الرِّقابة أيَّ اهتمام غير ابتسامة صفراء وحديث شفاه صامت لا يعرف هو
معناه فكيف بالمحلَّل.

خلال هذه الفترة والتي أسماها فترة المراقبة تمَّ التَّحرِّي عن المتَّهم من
ناحية الأسرة وجذورها، مراحل التَّعليم، والمناطق التي عاش فيها.
والسَّوابق التي مرَّت عليه، مخالفات مروزيَّة، حوادث، مخالفات أو جنح
جنائيَّة لشخصيَّتين في جسد واحد.

محتويات الملف الأصفر:

الاسم: سعد عبد الله بن مساعد الرِّذن (حسب بطاقة أحوال مدنيَّة مبنيَّة
على مستندات رسميَّة، والعديد من جوازات السَّفر والوثائق الأخرى في
ملف القضية).

مكان الميلاد: قرية (ك).

المنطقة: الشَّمال الغربي.

تأريخ الميلاد: ١١ / ١١ / ١٣٨٩ هـ.

اسم الأم: راضية محمَّد علي إبراهيم.

مجرم خطير يتنقل بين العديد من الدول، منها أفغانستان، تقارير باللغة العربية ولغات مختلفة مترجمة، صورة للمتهم وهو مع بعض المقاتلين في أفغانستان، صورة مكبرة ومطبوعة من الصورة الأساس لتوضيح ملامح الوجه، رسوم دقيقة بريشة رسّام محترف لزوايا الوجه، توفيت أسرته في حادث مروري لم ينبج منه غيره عندما كان رضيعاً، لا يعرف أحد عنه شيئاً، تُوفيّ شهود الأحوال عندما أخرج البطاقة.

محتويات الملف الأحمر:

معلومات شخصية:

الاسم: سعد سعيد سعد مسعود أو المسعود (حسب بطاقة الأحوال الرسمية، وجواز سفر، ورخصة قيادة وشهادات دراسية).

مكان الميلاد: قرية (ق).

المنطقة: الجنوب الغربي.

تاريخ الولادة: ١٢ / ١٢ / ١٣٩٠ هـ.

اسم الأم: مرضية حسين مرجع.

أنهى تعليمه الابتدائي في مدرسة (التعليم) في قرية بالشمال الشرقي والمتوسط في مدرسة (التربية المتوسطة)، أمّا التعليم الثانوي فقد حصل عليه من مدرسة (الوطن) في الجنوب الغربي، ويحمل بكالوريوس شريعة من كلية الشريعة في مكة المكرمة، متفوق، يحفظ القرآن، ذكي، هادئ، كفله خاله الذي قُتل مع "جهيمان" في الحرم المكي مع والدته وجدته "سكرة"، وانتقل مع خاله الآخر وكيل رقيب في حرس الحدود في الشمال الشرقي، اعتنت به جدته لوالدته بعد وفاة أمّه بمرض السلّ عندما كان في الخامسة من عمره، والده "سعيد سعد المسعود" الذي يعمل فَرَّاشاً في أحد الوزارات لا يعرف أن له

ابن بهذا الاسم من زوجته المطلقة، أثبت التقرير أنَّ الوالد بعد مواجهته مع خال المتهم وكيل رقيب أنَّ "سعد" وُلِدَ وسُجِّلَ في السَّجَلِ المدني دون علمه ولا يعرف عنه شيئاً.

عمل المتهم في الصَّيف في أحد الشَّرَكَات الكبيرة والمعروفة التي توظف الطَّلَبَة خلال فترة الصَّيف، يعمل حالياً في شركة للمقاولات في الرِّياض حسن السَّيرة والسَّلوِك، أعزب يسكن بمفرده، مواظب على الصَّلَاة، غير متشدّد، حليق الذَّقن، عادي الملبس، يعمل سائق أجرة في خارج الدَّوام، ولديه رخصة عمومي، غير مسرف، رصيده البنكي من رواتبه والدَّخل الإضافي يصل إلى أربعمائة وخمسة وستون ألف وسبعمائة وخمسة وستين ريالاً، لم يسبق له أن غادر البلاد، ولم يحصل على جواز سفر. الجنح، مشاجرة واحدة مع راكب، سجَّلت في شرطة النَّاصريَّة على الأجرة المتَّفَق عليها، اللغة الثَّانية الانجليزية بدرجة ضعيف.

التَّحقيق

أظهر التَّحقيق المبدئي مع المتهم التَّالي:

المحقِّق: اسمك؟

سعد: سعد سعيد سعد المسعود.

المحقِّق: عمرك؟

سعد: ست وثلاثون عاماً.

المحقِّق: والحالة الاجتماعيَّة؟

سعد: أعزب.

المحقِّق: عمل الوالد؟

سعد: لا أعرف!

المحقِّق: سكن الوالد؟

سعد: لا أعرف.

المحقّق: كيف؟

سعد: ما أعرف شيئاً عن والدي... حي؟ ميت؟

المحقّق: والوالدة؟

سعد: الله يرحمها تُوفيت وأنا صغير.

المحقّق: مين ربّاك؟

سعد: جدّي "سكرة" الله يرحمها.

المحقّق: جدّتك كانت تصرف عليك؟

سعد: كنّا عند خالي في الشّمال الشرقي.

المحقّق: ويش يعمل خالك؟

سعد: رجل أمن.

المحقّق: في أيّ قطاع؟

سعد: حرس الحدود.

المحقّق يخرج الصّورة المكبّرة من الملف ويناوّلها لـ "سعد"، "سعد"

يستلم الصّورة ببرود، وينظر إليها ويعيدها بالهدوء نفسه وتقاطيع الوجه

نفسها للمحقّق دون أن يتكلّم.

المحقّق: تذكر هذه الصّورة؟

سعد: أوّل مرّة أشوفها.

المحقّق يخرج الصّورة الأساس من الملف، ويقدمها لـ "سعد" الذي يمد

يده بالهدوء نفسه ويتصفّح في وجوه الأشخاص ويعيدها للمحقّق.

المحقّق: وهذي؟

سعد: صورة لمجموعة من الأشخاص!

المحقّق: تعرف أحداً منهم.

سعد: لا.

المحقّق: تعرف وين تمّ تصويرها؟

سعد: لا.

المحقّق: من الملابس!

سعد: ملابس هنود باكستانيين بنغال أفغان من ذيك المناطق.

المحقّق: ما فيها شيء ملفت؟

سعد: زي؟

المحقّق: الشّخص هذا (ويشير إلى صورته وهو بالثياب الأفغانيّة ويحمل رشاشاً).

سعد: ما به؟

المحقّق: ما يذكّرْك بأحد؟

سعد: يشبه الشّخص اللي في الصّورة الأولى.

المحقّق: والصّورتين لمين؟

سعد: ما أعرف!

المحقّق: تعتقد أنّ الصّورتين لشخص واحد؟

سعد: جائز.

المحقّق: تعرف أحداً بالموصفات هذي؟

سعد: تقصد تشبهني؟!

المحقّق: معقول يكون هذا قصدي، هذي صورتك.

سعد: وكيف ركبتموها بالطريقة هذي؟ عن طريق الحاسوب؟! (وهو

يبتسم ويرفع الصّورة وينظر إليها مرّة أخرى).

المحقّق: وأنت "سعد عبد الله الرّذن".

سعد: أنا سعد صح بس "سعد سعيد المسعود".

المحقّق: أنت "سعد عبد الله سعد سعيد" ما يهم، أنت واحد أنت اثنان،
عامل شبيه ما أنت عامل شبيه، المهم أنت "سعد"، وهذه صورتك وأنت
كنت في أفغانستان.

سعد: هذا استنتاج!

المحقّق: هذي الحقيقة.

سعد: هذي الحقيقة الي تبي تشوفها.

المحقّق: هذي الحقيقة الي راح تعترف فيها بالطيّب، بالبطل، من نفسك،
بالضرب، زي ما تبي أنت، هالحين بعد سنة بعد عشرة سنوات ما يهم.

سعد: قلت لك تبي تركّب حقيقة زي ما ركّبت الصورة.

المحقّق: الصُورة هذي حقيقيّة، وما هي مفبركة، بس قول مين الي معاك
في الصُورة؟

سعد: أنا ما عرفت كيف ركّبت صورتي مع ذولي وفي هذي الملابس،
تبيني أعرف مين الي في الصُورة؟!

المحقّق: مين معاك في التّنظيم؟

سعد: قصدك العمل؟

المحقّق: العمل!

سعد: أيّ قسم تقصد؟

المحقّق: قسم التّفجير.

سعد: شركتنا ما بها قسم للتّفجير، نحنا نبني لكن لو احتاج المشروع
لتفجير نتعاقد مع شركة ثانية.

المحقّق: اسمع يا أخ "سعد" أنت باين عليك إنسان طيّب، بس لازم
تجاوب على الأسئلة، تساعدنا عشان نقدر نساعدك.

سعد: اللي تأمر به يا طويل العمر، أنا مستعد أعمله... بس ما هي
تهمتي؟

المحقّق: مين فجّر المبنى؟

سعد (يتصنّع الخوف بكلّ اقتدار) تف... تفج... تفجير... تفجير
مبنى!
المحقّق: إيه.

سعد: متى؟ وين؟

المحقّق: يوم الأربعاء.

سعد: أي أربعاء؟ أي أربعاء يا الرّبع تراكم غلطانين!

المحقّق: يوم القبض عليك.

سعد: وأنا كيف أعرف وأنا في غرفة ما أشوف فيها شمس ربّنا.

المحقّق: يوم القبض عليك عملتموها، قل لي مين معاك عشان ما أضطر
أنزع المعلومات منك نزحاً.

سعد: أقسم بالله ما أنا فاهم شيئاً مما تقول.

المحقّق: اسم واحد واحنا نتكفّل بالباقي.

سعد: أنا بريء، صدّقني أنا ما أعرف ولا كلمة مما تقول، أنا إنسان بسيط
جداً.

المحقّق: و"عمر"!

سعد: أيّ "عمر"؟

المحقّق: "عمر سلمان" الشّبيه اللي قبضنا عليه معاك.

سعد: شبيه من؟

المحقّق: شبيه القمر يا خي... شبيهك يا حيوان.

سعد (يتظاهر بالخوف من الصّوت العالي والألفاظ النّابية): أنا لما قبضوا عليّ خطأ كنت وحدي، بعدين لا تزعل نفسك، أنا بريء صدّقني أنا إنسان بريء.

المحقّق: طيّب قول... تكلم... بلاش تزعلني إذا كان يهّمك زعلي... قول... تكلم... اسم واحد بس وسيب الباقي علينا، صدّقني ما أحد راح يعرف غيري.

سعد: أبيك أنت تصدّقني لو حضرتك عندي أسماء كان أعطيتك كلّ الأسماء، وعندك هذا اللي تقول عليه "عمر" أسألوه، بس أنا ماني فاهم شيئاً إطلاقاً.

المحقّق: إطلاقاً يا نذل أنت شكلك ما تحب تحي بالطيّب.
"سعد" الذي كان يحاول أن لا يصل المحقّق معه إلى مرحلة الغموض والشكوك، وذلك بالتركيز مع الأسئلة والسرعة في الإجابة؛ كي لا يعطي المحقّق الانطباع أنّه يراوغ وأنّ لديه معلومات يريد أن يخفيها؛ فيضطر المحقّق إلى اللجوء لوسائل أخرى يعلم ما هي، ويعرف كيف يتعامل معها ولكن تفاديا أفضل، لا شك في ذلك.

المحقّق: ودك تجرّب طريقتنا في نزع الكلام؟

سعد: حرام عليكم أنا بريء... بريء... ليش ما تبي تصدّقني؟

المحقّق: خلاص أنت حر... أسلمك لي يعرفوا يتعاملوا مع أمثالك.

سعد: أقسم بالله إني بريء... أنت مؤمن؟

المحقّق: أنا مؤمن قبل ما أشوف خلقتك... بس أبيك أنت تكون مؤمناً وما تحلف بالله كذب يا مجرم، وتقتلوا الأبرياء يا كلاب.

سعد: استغفر ربك، لا تتهمني بشيء أنا بريء منه.

المحقّق: تعرف "عاصم"؟

سعد: لا.

المحقّق: "عاصم عبّاس"، الي كان معك في أفغانستان.

سعد: أنا ما قط سافرت خارج حدود البلد.

المحقّق: يعني عندك جواز، ليه عياقة مثلاً؟

سعد: أنا ما عندي جواز، ما قط خرجت جواز.

المحقّق: وهذا إيه؟ (ويناوله الجواز).

"سعد" ينظر للجواز ببلاهة، يقلب صفحاته و يقرأ اسم صاحب الجواز بصوت عالٍ: "سعد عبد الله الرّذن" (ويعيده للمحقّق)، هذا جواز "سعد عبد الله الرّذن".

المحقّق بغضب: وأنت مين، مين أنت؟

سعد بهدوء: أنا "سعد سعيد المسعود".

المحقّق: وعمّار؟

سعد: عمّار مين؟

المحقّق: أنا الي أسأل وأنت تجاوب.

سعد: أنا من حقّي أستفسر عن السُّؤال، أنت قلت "عمّار"، أنا ما أعرف واحدا بهذا الاسم.

المحقّق: و"جعفر".

سعد: "جعفر مصطفى السّوداني" الي في الأرشيّف.

المحقّق: هو اسمه "جعفر مصطفى" ولا "جعفر حسن ملا"؟ سوداني ولا سعودي؟

سعد: أنا أعرف واحدا اسمه "جعفر مصطفى" يعمل معنا في الأرشيّف سوداني حسب مسير الرّواتب في الشّركة وعلاقاتي معه سطحيّة جدّا، أقابله

في صلاة الظهر في بعض الأوقات في مسجد الشركة سلام وردية بس ليه قبضوا عليه كمان؟

المحقق: أنا أسألك عن "جعفر حسن" صديق "عمّار" و"عاصم" و"زين" ومجموعة الشبكة الإرهابية؟

سعد: صدقني أنا لا أنتمي لشبكة، أنا سعودي أعمل في شركة للمقاولات، ولا علاقة لي بالسياسة ولا بالإرهاب.

المحقق: من أصدقاؤك؟

سعد: أصدقاء بمعنى أصدقاء ما عندي، عندي زملاء في العمل فقط.

المحقق: وين تقضي وقتك؟

سعد: بعد العمل أرتاح شوي، وبعد كذا أكّد على سيارة الأجرة، أتعب، أنام، أقوم للعمل، بين المسجد والعمل وسيارة الأجرة هذي حياتي.

المحقق: هوايتك؟

سعد: القراءة والكتابة في بعض الأوقات خرايبط.

المحقق: وين تنشر كتاباتك؟

سعد: لا... مو لهذي الدرجة... أنا أكتب لنفسي خرايبط.

المحقق وهو يقلب في ملف آخر: هذي كتاباتك؟

"سعد" يتناول الأوراق من يد المحقق ويقلبها: نعم... وهذا خطي.

المحقق: تكتب رواية؟

سعد: كلام مراهقين، حاولت أكتب رواية رومانسية سميتها بداية حب.

المحقق: وليش ما كملتها؟

"سعد" يضحك بتهكّم: تافهة يا رجّال، حاولت أقلّد "إحسان

عبد القدوس" في الوسادة الخالية، لقيت أنّ الثقافة تختلف؛ وأهملتها.

المحقق: متزوج؟

سعد: ولا لك لوا.

المحقق: ليه ما تزوجت؟

سعد: وهذي جريمة كمان! أنا تربيت يتيمًا عند أخوالي، فضلت حكمة أحدهم الي طلب أن يكتب على قبره: هذي جناية "أبي علي" ولم أجنِ على أحد.

المحقق: تبي تقول أنك ما حبّيت في حياتك؟

"سعد" يتحدث من أعماق قلبه مع آهة انطلقت متعمّدة: إلا بالله حبّيت وقتلت.

المحقق وعيناه تبرقان: قتلت؟!

سعد: إي بالله قتلت حبّي في مهده.

المحقق: حبّيت مين؟

"سعد" ينظر بألم في وجه المحقق: واحدة الله يستر عليها.

المحقق: وكانت تبادللك الحب.

سعد: يا ليت... كان حبًا من طرف واحد.

المحقق: تزوجت؟

سعد: إي.

المحقق: عشان كذا ما تزوجت!

سعد: يمكن هذا جزء من المشكلة.

المحقق: ما تحس برغبة في النساء؟

سعد: النساء الي في حياتي "سكرة" جدّي - الله يرحمها - والوالدة، الله

يغفر لهنّ ويرحمهنّ ويدخلهنّ جنّاته والبنت الي حبّها قلبي ونسيها.

المحقق: كيف تقدر تصبر عن ممارسة الجنس؟

سعد: بالصَّيَام كما أمرنا رسول الله ﷺ والتَّفكير في العمل، أظن عندي برود جنسي وعاطفي، الله أعلم بس عاد تصدَّق ما قط فكَّرت في هذا الموضوع.

المحقِّق: بالتَّأكيد أصدِّقك في هذي النُّقطة تعرف ليه؟

سعد ببلاهة: ليه.

المحقِّق: لأنَّك مشغول بالإرهاب والتَّخطيط لقتل الأبرياء.

سعد: مع احترامي هذا الكلام غير صحيح.

المحقِّق: الشَّبكة بكاملها سقطت، حوالي ثلاثمائة شخص في السُّجون الآن، ولا بدَّ أنَّ بعضهم راح يتعرَّف عليك، اللي ما فهمته أنت على أيِّ مذهب.

سعد: سنِّي.

المحقِّق: على أيِّ مذهب من المذاهب السُّنِّيَّة؟

سعد: الأئمَّة الأربعة، أنا خريج شريعة، أجد أنَّ بعض المسائل عند الإمام "أبو حنيفة" رضي الله عنَّا وعنه قوَّةٌ واتَّفَقَ معه أكثر من إمام في هذه المسألة فأتبعه، وإن كنت أميل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنَّا وعنه في الأغلب الأعم.

المحقِّق: ولكنَّ الشَّبكة معظمها إن لم تكن كلَّها على المذهب الشَّيعي.

سعد: ويش علاقتي أنا بالشَّبكة أو مذهبها.

المحقِّق: شكلك راح تتعبنا وتتعب نفسك.

سعد: صدَّقني أنا إنسان أنتمي لهذي الأرض، ولا أفكِّر في أكثر من رحلتي البسيطة في هذي الدُّنيا، فلا عندي أصدقاء بمعنى الأصدقاء، إنسان أعمل وأكد فقط.

المحقِّق: بدون هدف؟!

سعد: مخافة الله والتقوى والسَّتر في الدنيا والآخرة.

بعدما تبيَّنَ للمحقِّق وجود غموض، وعدم تسرُّع في الإجابة على الأسئلة المطروحة بدأت تساوره الشُّكوك نحو المتَّهم ومن ثمَّ قام بالتَّعامل مع الحالة بطرق علميَّة وفنيَّة مغايرة، منها استخدام أجهزة معيَّنة للكشف عن الكذب. (ينادي على الضابط لإعادته للزَّنازة ويهمس في أذن أحدهم): جهاز الكذب... أعدُّوا جهاز كشف الكذب.

تعرَّض "سعد" لاختبار الكشف على الكذب، وقد كان مستعدًّا لذلك.
المحقِّق: اسمك؟

سعد: سعد.

المحقِّق: اسم أبيك؟

سعد: سعيد.

المحقِّق: تعرف "سعد عبد الله"؟

سعد: لا.

المحقِّق: تعرف الدَّيب؟

سعد: لا.

المحقِّق: تعرف "ابن الوقاص"؟

سعد: لا.

المحقِّق: سبق رحت أفغانستان؟

سعد: لا.

المحقِّق: سبق سافرت لأيِّ دولة أجنبيَّة؟

سعد: لا.

المحقِّق: سافرت لأيِّ دولة عربيَّة؟

سعد: لا.

المحقّق: عندك هويّة وطنيّة؟

سعد: نعم.

المحقّق: عندك رخصة قيادة؟

سعد: نعم.

المحقّق: رخصة قيادة خاصّة!

سعد: لا.

المحقّق: رخصة قيادة عمومي؟

سعد: نعم.

المحقّق: عندك جواز سفر؟

سعد: لا.

المحقّق: هل تكذب؟

سعد: لا.

المحقّق: ما هي جنسيّتك؟

سعد: سعودي.

انتهت مدّة السّجن الانفرادي الثّانية، ولم يطلب "سعد" مقابلة أحد، بل ظلّ مستمتعاً ببرنامجهِ اليوميّ؛ فطلب المحقّق من إدارة السّجن استفزازه ومضايقته، وذلك بإيقاظه عدّة مرّات من نومه عن طريق شريط لأصوات أشباح وأعاصير، مقاطعة تفكيره بأصوات بكاء أو صراخ لطفل أو امرأة تستغيث، شريط لمضاجعة بين طرفين مرّة بين رجل وامرأة والأخرى بين مثليين وبها بعض الآهات الجنسيّة، ومن ثمّ يتمّ تسجيل الملاحظات وردود الأفعال.

لم يحدث شيء، في البداية كانت تضايقه بعض الشيء، ولكن بعد فترة تعايش معها وتكيف مع الوضع الجديد بسرعة، واعتبر أن هذه المرحلة لانزال الأولى في مراحل التحقيق.

لم يذهل المحقق الذي زادت شكوكه نحو "سعد"، بل اعتبر أن صاحب هذا المراس ما هو إلا مجرم خطير؛ فطلب مقابلته مرة أخرى.

أسابيع تلوها شهور و"سعد" يتعرض للأسئلة والتعذيب النفسي، ولكن دون جدوى، حتى صدرت أوامر المحقق بعد محادثات مع الطبيب الشرعي المختص بوضعه في الثلاجة فأصدر أمره:

- خطوه في الثلاجة لمدة أسبوع.

الثلاجة هي الزنانة نفسها مع تخفيض درجة حرارتها إلى ما دون الصفر مئوية دون إعطاء السجين أي نوع من الأغذية أو الأغذية التي بها سرعات حرارية عالية، والاستيعاض عنها بمواد غذائية بها مواد سائلة ومضاف إليها مواد مدرة للبول.

عندما تفشل الأجهزة الفنية والإنسانية، خصوصاً أن المحقق لا يزال يخفى عليه الكثير من حقيقة المتهم... يبدأ الضغط النفسي على المتهم من خلال تسليط الهواء البارد داخل غرفته وبدون تغطية لمدة معينة، ومن ثم يتم استخدام القسوة والضرب على باطن القدم، وكذلك مؤخرة المتهم بعد رشها بالماء البارد حتى ترتفع درجة إحساس المتهم، وبعد ذلك يبدأ الضرب على المناطق الحساسة في الجسم مع استخدام نظام الكلام البذيء لاستفزاز المتهم، وكل ذلك يدور أمام آلات التصوير للمراقبة والتحليل بعد ذلك، لكي يتم تقييم الحالة من قبل لجنة التحقيق، كما يتم مزج بعض العقاقير الطبية النفسية وبإشراف متخصصين في هذا الحقل بعد قيامهم بالتحاليل

اللازمة للتأكد من مدى تحمُّل المتَّهم للعقار والكميَّة المناسبة المطلوبة مع الطَّعام المقدَّم للمتَّهم، والتي تؤدِّي إلى جعل المتَّهم أكثر سهولة في يد المحقِّق ويفرغ ما بداخل دماغه من معلومات.

أمَّا عمليَّة نزع الأظافر واللسع بالشُّحنات الكهربیَّة فإنَّها لا تتم إلَّا بعد التَّأكد من أن المتَّهم يتلاعب بفريق المحقِّقين، وتكون هناك أدلة كافية تدين المتَّهم ولا يريد أن يعترف، أمَّا في حالة "سعد" فلم يستخدم المحقِّقون معظم الطُّرق التي عادة ما تُستخدَم لعدم وجود الأدلَّة الكافية.

في هذه الأثناء قام رجال التَّحرِّي بجمع كامل البيانات عن عائلة "سعد سعيد"، وكُتِبَ تقرير كامل عن شخصيَّة كلِّ فرد من أفراد العائلة، وخاصَّة خاله الذي اشترك في الاعتداء على الحرم، وإفادة والده أنَّه لم يكن يعلم عن ولادته شيئاً.

أمَّا "سعد" فقد استمرَّ على برنامجهِ اليوميِّ بالرَّغم من أنَّ السَّجَّان لم يترك له سوى لباسه الدَّاخلي السُّفلي فقط، فقد كان يزيد من أوقات ممارسة الرِّياضة والصَّلاة الخفيفة الكثيرة الرِّكعات القليلة الوقت، وهكذا كان يتعامل مع دورته الدِّمويَّة ليبقيها على أقلِّ توازن ممكن.

قرأ المحقِّق الملفِّين جيِّداً؛ لذا فقد طلب الضَّابط المسئول إحضار والد "سعد" وإخوانه وتسجيل ردِّ فعل المتَّهم، وبناءً على أوامر المحقِّق بعد المقابلة أن يوضع "سعد" في الزَّنازة ويترك لفترة ما لم يطلب مقابلي للإدلاء ببعض المعلومات قبل الموعد المحدَّد، وهكذا كان.

زمان يعيش بزيف الكلام
وزيف النقاء وزيف المدائح
حطام الوجوه في كل شيء
ويين القلوب تدور المذايح
تعلمت في الزيف أن لا أبالي
تعلمت في الخوف أن لا أسامح
(فاروق جويده)

عاد "سعد" إلى زنزانته بعد أن التقى بوالده وأخويه غير الشقيقين، وكأنَّ شيئاً لم يكن؛ فقد عادَ إلى حالته الأولى، بل أكثر إصراراً على الهدوء والسَّكينة والقيام لصلاة الفجر وقراءة القرآن الفطور، والتَّمارين الرِّياضيَّة يتبعها بصلاة الضُّحى أربعة ركعات بين كلِّ ركعتين دعاء مطوَّل وتسبيح، ثمَّ تمارين حتَّى صلاة الظُّهر، وبعد الدُّعاء المطوَّل غير المسموع لدى المراقبين يتناول طعام الغداء ويرتاح لمُدَّة ساعة في تأمُّل، بعد ذلك يقرأ القرآن ويسبِّح ويدعي وهو على وضع القرفصاء تارة وعلى وضع السُّجود تارة أخرى حتَّى صلاة العصر، فيصليَّ العصر ويبارس الرِّياضة، خاصَّة المشي داخل الزَّنازة حتَّى صلاة المغرب، وبين المغرب والعشاء يقوم ببعض تمارين اليوجا والدُّعاء حتَّى صلاة العشاء، يتناول طعام العشاء ومن ثمَّ يُصليَّ الشَّفَع والوتر ويخلد لنوم عميق، يقول في نفسه يا لروعة هذا الدِّين حتَّى لو كنت في قبر كهذا تستطيع أن تتمتَّع بالحياة، غريب... يعشق التَّنظيم ويتكيَّف مع الفوضى بسرعة وكأنَّه لا يجب أن يعتاد، أو خريج مدرسة جان جاك روسو (خير عادة أن لا يكون للإنسان عادة).

أمَّا "ماهر" فقد قرأ قصة "صخر" جد "لافي" صديقه الأمريكي من جذور حجازيَّة وترجمها، وجدها فرصة، للتزوّد من هذا العربي الأمريكي في معرفة بعض الأمور التي قد يستفيد منها التَّنظيم في المستقبل باعتبار أنَّ هذا الشَّاب من الجيل الثَّالث الذي يحصل على الجنسيَّة الأمريكيَّة ولم يغادرها، وحيث إنَّ والدته من أصول إيرانيَّة هربت مع أسرتها من نظام الشَّاة إبَّان

حكم الشاة؛ فهو يتقن الفارسيّة والانجليزيّة ويعرف بعض الكلمات القليلة من اللغة العربيّة التي لم يلق لها اهتماماً، خاصّة أنّ والده عمر لم يكن متحمّساً لدراسة اللغة العربيّة أو تعلّمها. فهو يريد أن يعرف ماذا حدث في الحادي عشر من سبتمبر؟ ولكن لا بدّ من معرفة هل هو متابع للسياسة؟ هل يعنيه ما يجري في العراق على سبيل المثال؟ يعلم أنّه وحيد والديه فوالده ووالدته لم ينجبا سواه أو هكذا أردا.

في أحد اللقاءات والتي أخذت تزداد بزيارة أحدهما للآخر فتح جهاز التّلفزيون على الأخبار، وكان الخبر عن تفجيرات العراق، انتهز الفرصة وسأل صديقه:

- ما رأيك في حرب العراق.

لافي: الشّارع الأمريكي منقسم على نفسه في هذا الموضوع.

ماهر: وأنت؟

لافي: أنا أمثل الشعب الأمريكيّ في بعض الأحيان، أعتقد أنّ إسقاط طاغية من ضرورات الحياة، أختلف في الطّريقة أو الأسلوب.

ماهر: كيف؟

لافي: أسمع كما يسمع غيري أنّ "صدام" طاغية، كان يحكم شعبه بالحديد والنّار.

ماهر: لكنّ الأمريكيين يقتلون أكثر في ظلّ الغوغائيّة والانفلات الأمنيّ الموجود الآن.

لافي: هذا صحيح؛ لذا منذ البداية قلت أنّي أختلف في طريقة إسقاط الطّاغية!

ماهر: وهل كان هناك طريقة أخرى؟

لافي: ألا تعتقد أنّ الشعب الذي لا يحرّر قيده بنفسه لا يستحقّ الحرّيّة.

ماهر: ولكنَّ "صَدَّام" يملك السَّلاح والجيش، والشَّعب أعزل.
لافي: شجرة الحرِّيَّة لا يرونها إلَّا دماء طالبيها، لا توجد قوَّة في العالم
تجبرك على العمل في نظام دكتاتوري، غاندي على سبيل المثال حرَّر الهند دون
أن يطلق رصاصة.

ماهر: المقارنة هنا ظالمة للطرفين!

لافي (خريج الاقتصاد والسِّياسة): الحكومة هي الحكومة والطُّغيان هو
الطُّغيان!

ماهر: ولكنَّ الطَّاغية المحليَّة غير الطَّاغية المستورد أو المستعمر!
لافي: وما الفرق؟

ماهر: المستعمر ينهب ثروات البلاد ليخرجها خارج الحدود.
لافي: والمحليُّ!

ماهر: ها... ولكن (مغيِّراً الموضوع) هل تعتقد أنَّ الولايات المتَّحدة
ستفعل بإيران مثلما فعلت بالعراق.

لافي: مشكلة الولايات المتَّحدة مع الإسلام... ويجب أن نعترف نحن
كأمريكيين بأنَّ الإسلام كفكر وعقيدة سيتسمرّ؛ لذا يجب التَّعامل مع رجال
الدِّين سواء كان في إيران أم غيرها من دول العالم الإسلامي، وهذا التَّعامل
المبني على احترام الثَّقافات سيكون له تأثيره الفعَّال أكثر بكثير من العامل
العسكري المكلف.

ماهر: وأين تكمن المشكلة الحقيقيَّة بين إيران وأمريكا باعتبار أنَّك
أمريكي إيراني من جذور عربيَّة؟

لافي: الحقيقة السُّؤال وجيه، ولكن دعنا نعيد صياغة السُّؤال بطريقة
ثانية... هل كلَّفت أحد الدَّولتين نفسها بوضع قائمة للمشاكل كما نفعل
نحن التُّجَّار عندما تواجهنا مشاكل نقوم بوضع قائمة بها ونناقشها مع قائمة

الحلول المقترحة... صحيح أنَّ كلَّ واحد متَّ يضع الحلَّ الذي يناسبه، ولكن في آخر المطاف وطالما أنَّ مصالحنا مشتركة سنجد حلًّا لكلِّ مشكلة.

ماهر: قلتَ لي في السَّابق أنَّك في الحزب الدِّيمقراطيِّ وأنَّك خريج علوم سياسيَّة واقتصاد، وأنَّك تحضر بعض أو معظم اجتماعات الحزب في منطقتك، هل وضعتم قائمة بذلك؟

لافي: في الحقيقة ناقشنا نقاطاً كتبها "محمود سريو لغلان" في مقال نُشِرَ في مجلَّة واشنطن الرِّبع سنويَّة في عدد خريف ٢٠٠٣م، وقد احتفظت الوالدة بنسخة من هذا العدد؛ لأنَّ جذورها إيرانيَّة والمقال عبارة عن تحليل جميل عن وضع إيران وكيف يمكن فهم إيران من قبل الغير وليس أمريكا فقط مع بعض التَّقارير التي حصل عليها الحزب من قِبَل الاستخبارات الأمريكيَّة.

ماهر: وما هي النُّقاط المهمَّة التي ناقشتموها؟

لافي: الحقيقة الكثير من النُّقاط منها الاختلاف على تعريف الإرهاب!

ماهر: هذه النُّقطة مهمَّة جدًّا!

لافي: نعم... فإيران تعتبر حزب الله وحزب حماس مجموعات جهاديَّة تحريريَّة من المستعمر، بينما نحن نعتبرهم إرهابيين.

ماهر: ومجاهدي خلق!

لافي (يضحك بخبث): نحن نعتبرهم مجموعة معارضة داخل إيران، نحن لا نعتبر أعضاء الحزب الجمهوري إرهابيين برغم أنَّنا نختلف معهم ولا حزب المستقلِّين بالرَّغم من صغر حجمه، وجهاد خلق حزب إيراني بينما الحكومة الإيرانيَّة تعتبرهم إرهابيين.

ماهر: والحل؟

لافي: لا يوجد حل إلَّا بالحوار والتَّعريف الدَّقيق للمفاهيم.

ماهر: والنُّقطة الثَّانية؟

لافي: حقوق الإنسان.

ماهر: أنتم تبحثون عن المستحيل وأين حقوق الإنسان في العالم كله؟

لافي: نحن هنا نقيم الدول بمعيار قد يختلف مع الآخر.

ماهر: ولماذا لا توحدون المقاييس أولاً... فالعالم كله يتجه للمقياس المتري، وأنتم لاتزالون تقيسون المسافة بالميل، حتى الوزن والطول أنتم تختلفون في معاييركم عن بقية العالم.

لافي: وبريطانيا مختلفة عن العالم في قيادة السيارات، لو انتظرنا حتى نضع المقاييس مع سرعة تغير الظروف الواقعية لأهدرنا الكثير من الوقت، فهذه المقاييس والمعايير تحتاج لدراسات وأبحاث من المفكرين وعلماء الاجتماع والمهندسين والسياسيين وعلماء النفس، فالمقاييس تتحكم فيها الظروف.

ماهر: والنقاط الأخرى؟

لافي: البرنامج النووي الإيراني أنت من اليمن كما قلت لي، قمت بتهديب بعض أموالك أو كلها، وتعيش الآن في شيلي، بالتأكيد هناك نسبة خوف في داخلك من النووي الإيراني.

ماهر: والنووي الإسرائيلي!

لافي: إسرائيل دولة صغيرة بين غابة من الأعداء يجب أن تحمي نفسها.

ماهر: ما علينا... إيران تدّعي أن المفاعلات النووية حق من حقوقها كدولة لها سيادتها لامتلاك الطاقة النووية السلمية.

لافي: تدّعي؟!

ماهر (محتدًا): وأنتم تدّعون أيضًا.

لافي: نحن لا ندّعي... نحن نعمل... نحن لا أطماع لنا في المنطقة، ولكن إيران لديها الدافع للهيمنة على المنطقة؛ فالفرس كما تعلم وأعلم لم يحكموا العالم الإسلامي، وخاصة الأماكن المقدسة منذ أن دخلت إيران أو بلاد فارس

الإسلام، بينما معظم العرقيّات الأخرى وآخرها الأتراك حكموا العالم الإسلامي... إيران الإسلامية تسعى جاهدة لحكم خليفة عاصمته السّياسيّة طهران والدينيّة مكّة ولكي تنشر مذهبها الشّيعي.

ماهر: هذه البضاعة سبق وأن سوّق لها الأمريكيّون قبل دخولهم العراق، وماذا عن البترول؟

لافي: يجب أن تعرف يا صديقي أنّ إيران غير العراق، أمّا مسألة البترول فنحن من حقّنا أن نحمي مصادر الطّاقة الدّوليّة من عبث العابثين كقوّة عظمي.

ماهر: وغيرها من النّقاط؟

لافي (بهذوء وهو يشعل السّيجار الهافاني الذي وضعه في فمه): نقطة المشاعر، وهذه أيضًا نقطة مهمّة فنخبة من الملاي في إيران تطغى عليها مشاعر معادية للولايات المتّحدة، وتعتبرنا الشّيطان الأكبر فمنذ أن سقطت حكومة "مصدّق" وهم يحملون وزر ذلك للاستخبارات الأمريكيّة بتواطئها مع الشّاة.

ماهر: وفي المقابل لا تثق واشنطن بهم!

لافي: وهل تثق أنت فيمن يكرّ لك العداء.

ماهر: بالتّأكيد لا... ولكن إيران تقول إنّها تملك نفوذًا حياديًا في المنطقة لا تملكه أمريكا!

لافي: وما موقفها الحيادي من إسرائيل، وهي تريد أن تلغيها من الخريطة؟

ماهر: إسرائيل مغتصبة أرض الغير!

لافي: وجهة نظر... فالحكومة الإسرائيليّة مولودة في هذه الأرض، يا صديقي هذا القول بأنّ نفوذها حيادي، نحن نراه تدخّلًا في شئون جيرانها والمنطقة بصفة عامّة، وهذا يعرقل سياساتنا في مشروع السّلام في المنطقة.

ماهر: هذا يعني من وجهة نظر أمريكية أنَّ إيران لا تتفهَّم التحالف الأمريكي الإسرائيلي.

لافي: إذا لم تتفهَّم مصالحِي فهذه مشكلتك وليست مشكلتي، فالملاي في إيران جعلوا من القضية الفلسطينية مجالاً وشعاراً لدغدغة مشاعر المسلمين، وكأننا لا نعترف بالشَّعب أو بالقضية الفلسطينية، نحن نعترف بـ "محمود عباس" ومنظمة فتح وقضية فلسطين.

ماهر: ولكنكم تختلفون مع الآخر على رغبة شعب اختار حكومته بطريقة ديمقراطية.

لافي: إذا تركت حماس تعتتها واعترفت بإسرائيل وجلست لمائدة المفاوضات فنحن نرحِّب بذلك، أمَّا إذا اختارت التَّفجير العشوائي وقتلت المدنيين من يهود وعرب فهي حكومة إرهابية.

ماهر: عدنا للنقطة الأولى... تعريف الإرهاب.

لافي: جميع النقاط مترابطة مع بعضها البعض ومتداخلة لا يمكن فصلها إلَّا بالحوار العقلاني البعيد عن التَّشدد.

ماهر: ولكنَّ بعض من منظري نظرية المؤامرة في إيران يتخوَّفون من الوجود العسكري الأممي المغطَّى تحت غطاء الأمم المتَّحدة، الذي تقوده أمريكا في كلِّ من أفغانستان والعراق وهذه الدَّول محيطة بإيران، برغم أنَّ الإيرانيين رغبوا في التَّخلُّص من طالبان الباكستانية و "صدَّام" العراق إلَّا أنَّ الكمَّاشة الأمريكية هي المخطَّط الحقيقي لشنِّ حرب على إيران.

لافي: نظرية المؤامرة... نظرية المؤامرة... نحن نخطِّط لصالح إمبراطوريتنا ونعمل تحت الشَّمس... المؤامرات كما نعرفها أنا وأنت تكون في الخفاء.

ماهر: ولكنَّ التقارير السَّريَّة؟

لافي: التقارير السريّة للعمليات التّفيذيّة على الأرض وليست للأهداف... أهدافنا واضحة كالشمس.

ماهر: طالما أنّك تتحدّث بهذه الشّافية ومن مركز قوّة...

لافي (مقاطعاً): وهذا خطأ في التّعبير، فنحن نقوم بعملية حوار تمثيلي مع الآخر، والممثل يقوم بدوره على أكمل وجه؛ فنحن لا نستخدم القوّة إلا اضطراراً في حالات عدم وجود حوار أو نقاش بناءً جاد يرغب صاحبه في التّعاون لحلّ المشكلات، نحن ندرس معطيات الآخر ونتحدّث في حدود هذه المعطيات.

ماهر (بخبث): مع مراعاة مصالحكم!

لافي: مصلحتنا أولاً!

ماهر: ودائماً ما تكون لكم مصالح؟!!

لافي: يعتمد ذلك على الطّروف والمكان... وأهميّة المصلحة، ترتيب جدول الأهم من المهم وعناصر أخرى متعلّقة مباشرة كانت أو غير مباشرة.

ماهر: الحديث معك ممتع وأنت ملم ومتابع، فهل قمتَ بدراسة الواقع الإيراني الآن بعد هذا الزّمن من الثّورة؟

لافي: بالتأكيد، ففي المقالة نفسها التي ذكرتها، وهي ثريّة بالمعلومات قمنا بحذر بدراسة ما جاء فيها.

ماهر: وما الواقع الإيراني من منظور كاتب المقالة؟

لافي: أسألتك أسئلة صحفي متمرّس يبحث عن مقالة.

ماهر: تعلم أنّي أكتب في صحيفة يومية في شيلي، ولكن هذا ليس تحقيقاً صحفياً بل دردشة مجلس نستفيد منها، إذا أردتَ إكمال الحديث أو تغيير الموضوع إلى موضوع آخر...

لافي: الحقيقة موضوع الشرق الأوسط هو موضوع الساعة وهو من المواضيع الرئيسة في أمريكا، خاصة أن قواتنا هناك تُقدَّر بأكثر من ربع مليون أمريكي... فالكاتب قال إنَّ الرَّغبة في الثَّورة في إيران لا وجود لها... ولكنَّه نسي أو تناسى عن عمدة الجنوب الغربي؛ حيث البلوش والسُّنَّة، والشَّمال الغربي حيث الأكراد ومنطقة الأهواز أو عرب ستان وفيها آبار البترول، وهي مناطق يمكن أن تحدث فيها بعض الاضطرابات.

ماهر: ولكن إيران مستقرَّة سياسياً الآن.

لافي: هذا صحيح ولكن مشكلتها في عدم وضع تعريف واضح للمفاهيم الجديدة مثل العولة والديمقراطية وحقوق الإنسان وحقوق الأقليات والعدالة الاجتماعيَّة، أين الإيرانيُّون السُّنَّة والأكراد من القرار السَّياسي؟

ماهر: هل قامت فئات من هؤلاء بالاتصال بأمريكا والطلُّب بالتدخُّل مثلما حدث في العراق؟

لافي: ما أعتقد أنَّ الإسلام السَّياسي الموجود في إيران يرضى بالتدخُّل العسكري الأجنبي في الشُّئون الدَّاخِلِيَّة أو وضع حكومة صوريَّة، بل سوف يجاربونها، حتَّى الإيرانيُّون الأمريكيُّون لا يقبلون بالتدخُّل الأمريكي في الشُّئون الإيرانيَّة؛ فإيران ليس العراق، والتَّجربة العراقيَّة المزعجة والفاشلة تزيد من حدة رفض الشَّارع الإيراني لها والابتعاد وعدم التَّفكير، بل مجابهتها ومحاربتها إذا لزم الأمر.

ماهر: وهل تبحث أمريكا طريقة الانقلاب الدَّاخِلي مثلاً.

لافي: معظم الإيرانيين لا يرغبون في الإطاحة بالحكومة أو النِّظام الدِّكتوقراطي الموجود في إيران في الوقت الرَّاهن، ليس لعدم وجود بديل قوي فحسب ولكن لأسباب ثقافيَّة وفكريَّة وعقائديَّة منصهرة إذا جاز لنا التَّعبير مع بعضها البعض في بوتقة واحدة.

ماهر: الدكتوقراطي! لم أسمع هذه المصطلح من قبل.
لافي: هذا تعبير أطلقتته الوالدة على النّظام الجديد؛ فهو خليط بين
الدكتاتوري والديمقراطي فمدرسة المحافظين والإصلاحيين الموجودة الآن
في إيران وُلدت وتربّت وتعلّمت وترعرعت في عهد الشّاة ونضجت في
الثّورة؛ لذا فهي مرحلة مختلطة بين نظامين.

ماهر: ولكن إيران دولة ديمقراطيّة لها أحزابها وفيها نظام الاقتراع.
لافي: هذا ما تفلسفه الوالدة أنّ الطريق إلى الديمقراطيّة لابدّ أن يمرّ
بمرحلة الدكتوقراطيّة أوّلاً، وبعد ذلك ينتقل إلى ديمقراطيّة أوسع
فالديمقراطيّة فكر ثقافي يحتاج لأجيال لفهمها واستيعابها، وليست علاجاً
سريع المفعول.

ماهر: وهل يمكن ذلك بوجود المالاي في السّلطة؟
لافي: مع الوقت نعم، وما المانع فقادة النّظامين المحافظ والإصلاحي لا
يؤمنون أو هكذا يبدو حتّى الآن، ولكن بقراءة الأفعال والقرارات التي
يحلّلها الغير نجد أنّ الجذور الوطنيّة والعقائديّة عميقة، وهذا المفهوم مع
الإرث التّاريخي سيدوم فترة ليست بالقصيرة حتّى يمر بمرحلة انتقاليّة، ومن
ثمّ ينتقل إلى الانفتاح، خذ الصّين مثلاً هي الآن في بداية مرحلة الدكتوقراطيّة
أو الجزء الأخير من الدكتاتوريّة!

ماهر: هل تلجأ أمريكا وحلفاؤها إلى عزل إيران وفرض حظر اقتصادي
أو عسكري على إيران؟

لافي: هذا احتمال فالاقتصاد الإيراني يعاني من مشاكل بنيويّة أساسيّة مثله
مثل بقية دول المنطقة، وللحصول على ذلك يجب أن تكون علاقاتها الخارجيّة
مميّزة فالعلاقات المتباينة وغير المتنبّأ بها علاقات غير سليمة وتزرع الشّك
والخوف في نفس الطّرف الآخر، فالإنتاج الاقتصادي وسياسة التّوازن مع

الشَّرْعِيَّةُ تأخذ بالتدريج... وسياسة الخطوة خطوة في رحلة التغيير والإصلاح، تعرف ما المشكلة الحقيقية في إيران؟

ماهر: لا!

لافي: الأمن والعدالة الاجتماعية.

ماهر: كيف؟

لافي: يمثل الأمن هاجس معظم الدول بنسب متفاوتة، وطالما الحديث عن إيران؛ لذا نجد أنَّ الهاجس الأمني يطغى على العدالة الاجتماعية.

ماهر: ولكن طالما أنَّ هناك عدالة اجتماعية يكون هناك أمن.

لافي: العدالة تحتاج إلى قوَّة تحميها، وهذه القوَّة قد تُستغل من قِبَل دكتاتوري لقمع المعارضة وممارسة دكتاتوريته مثلما حدث ويحدث في بعض دول العالم...

قاطعتهما شريكة "لافي" مس "ترنت" التي حضرت لتنبههما بأنَّ عليهما الاستعداد إذا أرادا العشاء في مطعم (قاتل الربيان Shrimp Killer)، وهذا اسمه؛ لأنَّ الضَّغط على هذا المطعم شديد خاصَّة في نهاية الأسبوع.

عرف "ماهر" أنَّ "لافي" متمكِّن نوعًا ما، ولديه اطلاع واسع، ولكن هذه مشكلة غير التي يبحث عنها، فمن الممكن أن يكون لوالدته (الإيرانية الأصل) دور في متابعته لما يجري في المنطقة وخاصَّة إيران.

عندما عاد إلى (سانت ياقو) وهو في الفندق بعث بالرسالة التالية عن طريق البريد الإلكتروني لـ "حامد".

تحياتي

قابلت عصفورًا من العصافير الحجازية المهاجرة من الجبل الثالث الأمريكي يعرف كثيرًا وينقل الأخبار، تاجر، بيننا علاقة تجارية، حولتها لعلاقة صداقة، مطمئن أنَّي من اليمن.

وجاءه الرَّدَّ التَّالِي:

تَحْيَاتِي

احذر لا تروح تصيده يصيدك، ويكون من الاستخبارات الأمريكية.

التَّوْقِيع

05

في طريقه إلى (سان أنطونيو) وجدها تنتظر القطار، لم تكن هذه هي المرّة الأولى التي يراها، بل صادف أن رآها عدّة مرّات في الوقت نفسه تنتظر، شعرها الغجري الأسود، عيناها الحزيتان، وشموخها أمام تحدّيات الزّمن في الأوقات الصّعبة من مسيرة الحياة، ملابسها، رابطة العنق، كأنّها ملابس رجل، حذاؤها الجلدي أشبه بحذاء رجل من حذاء امرأة، في نعومتها تدلّ على أنّها امرأة عاملة، تقدّم بهدوء نحوها وسأل بلغة أسبانيّة رديئة.

- هل هذا القطار يصل إلى (سان أنطونيو)؟

- لا... يبدو أنّك غريب؟

- نعم... وكيف عرفت ذلك؟ (قال جملة الأخيرة وهو يرغب أن يطيل

الحديث معها).

ضحكت وقالت: لغتك الأسبانيّة رديئة، هل تتحدّث الانجليزيّة؟

ردّ بلهفة: نعم وأنت؟

- أتكلّم الانجليزيّة لأنّي أعمل في شركة للسّياحة.

- وأين مقرّ الشركة؟

نظرت إليه بعينين حانيتين حزيتين وقالت: في العاصمة.

- وأين تسكنين؟

- في العاصمة.

- وإلى أين أنتِ ذاهبة؟
- لزيارة والدي في (فالباري زو) وأنتِ ماذا تعمل هنا؟
- لقد حصلتُ على الجنسية السَّيْلِيَّة ولديَّ شركة زراعيَّة في (فالباري زو) وأعكف على دراسة الأسبانيَّة.
- وأصلك؟
- عربي من اليمن.
- ضحكت ضحكة مكتومة وقالت: أين... اليمن؟
- في جنوب غرب السُّعُودِيَّة، هل سمعتِ عن السُّعُودِيَّة؟
- سمعتُ عن "أسامة بن لادن" أنَّه من السُّعُودِيَّة، ولكن لا أعرف عنها سوى أنَّها مصدر مهم للبتروْل فقط، هل سبق لك أن زرتِ السُّعُودِيَّة؟
- كاد السُّؤال أن يفقده صوابه، فهو سعودي أباً عن جد، ووُلِدَ في عاصمة السُّعُودِيَّة، ولكنه تَماسَكَ وقال: مرَّة واحدة لأداء فريضة الحج.
- هل أنت مسلم؟
- نعم.
- تعرف "أسامة بن لادن"؟
- ضحك حتَّى بدت نواجذه: لا.
- هل قابلته؟
- لا... ولماذا تهتمَّين بهذا الرَّجل؟
- بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر معظم الناس لا يتحدَّثون إلَّا عن الإسلام و"ابن لادن"... سعدتُ بالحديث معك، لا بدَّ أن ألحق بالقطار.
- وكيف لي أن أحدثك عن الإسلام وابن...

أخرجت بطاقة صغيرة تحمل اسمها وهاتفها وعنوان الشركة التي تعمل فيها وناولته إيّاها وهي تهرول نحو باب القطار وهو يلاحقها، أشارت له بالوداع، فأشار لها باليد التي تحمل البطاقة واعدّا إيّاها بأنّه سوف يتّصل بها.

مرسيدس الفونت دي زالس

مرشدة سياحية

الشركة الوطنية للسياحة.

هاتف 63547281

في اليوم التالي اتّصل بها، عرف أنّها تعمل طوال أيّام الأسبوع في العاصمة وتسكن مع صديقة لها، غير متزوجة، رغم أنّها تبدو في الثلاثين من عمرها، وعَدّها عندما يكون في العاصمة سوف يقوم بالاتّصال بها لتناول وجبة عشاء والحديث عن الإسلام والمسلمين.

عشرة أيّام تلت المحادثة، كانا في مطعم تابع لفندق من ذوات الخمس نجوم يتناولون طعام العشاء.

ماهر: كيف العمل؟

مرسيدس: متعب... أحاول أن أجِد عملاً في (فالباري زو) بالقرب من والدتي؛ فهي بحاجة أن أكون معها، خاصّة بعد وفاة والدي.

ماهر: وهل تقدّمتِ للشركات هناك؟

مرسيدس: نعم... لكن تعلم أنّ المدينة بوجود الميناء والشركات، فالمنافسة على الوظائف على أشدها، خاصّة المؤهّلين من القرى في الإقليم، وبالتالي فإنّ الرّواتب منخفضة نوعاً ما، حدّثني عن الإسلام فأنا لا أريد أن أضيع هذه الفرصة بالحديث عن مشاكلي الشخصية.

ماهر: هل تؤمنين بوجود إله؟

مرسيدس: نعم فأنا كاثوليكية!

ماهر: معنى هذا تؤمنين بـ "عيسى ابن مريم".

مرسيدس: "المسيح"... نعم.

ماهر: وتؤمنين بـ "موسى".

مرسيدس: والكتاب القديم أيضًا.

ماهر: تقصدين التَّوراة؟!

مرسيدس: نعم.

ماهر: وتؤمنين بـ "يعقوب بن إسحاق"؟

مرسيدس: نعم... وما دخل هؤلاء بالإسلام؟

ماهر: إذا أردت أن تعرفي فأجيبني فقط، وبعد ذلك ستجدين المعرفة.

مرسيدس: سَلِّ.

ماهر: تؤمنين أنَّ "إسحاق بن إبراهيم" هو أخ غير شقيق

لـ "إسماعيل"؟

مرسيدس: ابن الجارية.

ماهر: ابن "هاجر"، "إبراهيم" هو أبو الأنبياء، ونحن كمسلمين نؤمن

مثلكم برَّبِّ "إبراهيم" و"إسحاق" و"يعقوب" و"موسى" و"عيسى"

ونؤمن بأنَّهم أنبياء الله ورسله.

مرسيدس: ولماذا يطلقون عليكم (مسلمون)؟

ماهر: لأننا نؤمن بحنيفة "إبراهيم"، عندما أسلمَ وجهه لله، ولكن

السُّؤال لماذا يطلقون عليكم (مسيحيُّون)؟ ولماذا تطلقون عليهم (يهود)؟

مرسيدس: لنفَرِّقَ بيننا وبينهم، فمن آمنَ بعيسى منهم فهو منَّا (مسيحي)

ومن أنكرَ وبقيَ على يهوديته فهو (يهودي)، فاليهود لا يؤمنون بعيسى.

ماهر: ونحن كذلك... مَنْ آمنَ منكم بـ "محمَّد" عليه الصَّلَاة والسَّلَام

فهو منَّا، ومن توفَّقَ إيمانه عند النُّقطة التي آمن بها فهو إمَّا (مسيحي) أو

(يهودي)، أمّا نحن نؤمن بـ "عيسى" و "موسى" كما ذكرت لك سابقاً، فالمسلم يؤمن بها أنزل إلى "محمد" وما أنزل من قبل "محمد" فنحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرّق بين أحدٍ من رسله.

مرسيدس: هذا يعني أنكم تركتم المسيحيّة.

ماهر: كلامك هذا يعني أنكم تركتم "موسى" ورسالته.

مرسيدس: لا... هناك فرق، نحن لم نترك "موسى" بل نؤمن به وبكتابه.

ماهر: ونحن لم نترك "موسى" وكتابه و"عيسى" وكتابه، بل نؤمن بهم كلّهم حتّى "إبراهيم"، فلم تفرّقون بين ما نؤمن به وما تؤمنون؟ دعيني يا سيّدي أبسّط لك الأمر... أنت سيّدة عاملة تتلقّين الأوامر من رئيسك، هل هذا صحيح؟

مرسيدس: نعم.

ماهر: بالتأكيد عندما استلمت عملك في اليوم الأوّل كانت هناك قواعد ونظم لتسيير العمل وكنت تحفظيها لتتبعينها!

مرسيدس: نعم.

ماهر: ولكن بعد عدّة أشهر صدرت قواعد جديدة لتصحيح المسار.

مرسيدس: هذا يحدث وفي كلّ الشّركات.

ماهر: أيّهما تتّبعين... التّعليمات القديمة أم الجديدة؟

مرسيدس: الجديدة وإن كانت هناك بعض القواعد القديمة وهي الأساس التي لم تمس.

ماهر: سؤال... ماذا يحدث للموظّف الذي لا يتبع التّعاليم واللوائح الجديدة؟

مرسيدس: يُفصّل من العمل بعد أن يُنذر مرّة ومرّتين وثلاث.

ماهر: بالضبط، وهذا ما فعلتم عندما جاء "عيسى" عليه السّلام، وما فعلنا نحن عندما جاء "محمّد" عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التّسليم.

مرسيدس: أنتَ ماهرٌ في الإقناع.

ماهر: الحقيقة الإسلام دين منطق وعقل وفطرة.

مرسيدس: ماذا يقول كتابكم عن "مريم" العذراء.

ماهر: هي الطّاهرة البتول والدة الرّسول.

مرسيدس: وعن عيسى؟

ماهر: ابن البتول الذي تكلم في المهدي؛ ليدافع عن شرف أمّه عندما طعنها أحبار اليهود في شرفها وأتهموها بالغمز واللمز.

مرسيدس: وما الفرق إذًا؟

ماهر: في هذه النّقطة لا فرق بيننا وبينكم سوى أنّنا في خلق "عيسى" عليه السّلام من الرّوح القدس، ويشبه خلقه خلق آدم، وليس هو الله ولا ابن الله، بل بشر له معجزاته من الله سبحانه وتعالى.

مرسيدس: وفي النّقاط الأخرى؟

ماهر: مثل؟

مرسيدس: حدّثني عن المرأة في الإسلام.

ماهر: سوف أعطيك كتابًا عن المرأة في الإسلام باللغة الأسبانيّة، وكذلك نسخة من القرآن الكريم فاقري ما شئت، وإذا أردتِ إجابة لأيّ سؤال فإنّني جاهز وتحت أمرك ويُسعدني ويشرفني كثيرًا أن أرد على جميع استفساراتك.

مرسيدس: هل تود مشاهدة فيلم بالأسبانيّة؟

ماهر: لغتي لا تساعدني.

مرسيدس: صحيح... هل أنت الصّحفي الذي يكتب في صحيفة شيلي

اليوميّة؟

ماهر: نعم.

رقصت عيناها من الفرح كطفل يتلقّى هديّة وصاحت: واوووو أنت رجل مشهور!

لأوّل مرة يغادر الحزن فجأة عينيها ويحل محله ضيف آخر عبارة عن خليط بين الدهشة والفرح، ولو كان كحلّم يمر ويمضي كما تمضي الحياة! حُلْمٌ مَرَّ كَمَا مَرَّ سِوَاهُ وَكَذَا الْأَحْلَامُ تَمْضِي وَالْحَيَاةُ

إبراهيم ناجي

ماهر: يعني (قالها بتواضع).

مرسيدس: الآن عرفت لماذا يتهامس عليك هذان الرّوجان.

ماهر: أي زوجين!

مرسيدس: خلفك... لا تنظر حتّى لا تخرج نفسك معها.

الرّجل والمرأة اللذان كانا يجلسان خلفه قبل أن يغادرا سلّمًا عليهما، قال الرّجل باللغة الانجليزية:

الرّجل: السيّد "سالم بن سلمان".

ماهر (بأدب متصنّعًا الخجل سارقًا بعض النظرات نحو رفيقته): نعم يا

سيّدي.

الرّجل: أقدم لك زوجتي "كونداليزا" إنّها مغرمة بكتاباتك وتعتقد أنّك القلم الوحيد الذي يكتب دون خوف وبأمانة خاصّة مواضيعك عن الطبقة العاملة.

ماهر (الذي يمدّ يده للسيدة "كونداليزا" ويضع يدها في يده ويضغط على يدها متابعًا ردّة فعلها في عينيها ووجنتيها): أشكرك على هذه المجاملة.

الرَّجل: صدَّقني أنا وزوجتي نقرأ لك كثيرًا، ويسعدنا أن نلتقي بك في هذه الأمسية، أنا "جاك مونتانا لاش لفيه" صاحب متجر (لاش لفيه) للمجوهرات.

ماهر: أهلاً وسهلاً، هذه صديقتي "مرسيدس دي زالس"، هل ترغبان في فنجان من القهوة في اللوبي.

الرَّجل: شكرًا... في المرَّة القادمة يُسعدنا أن نجلس سوياً، ولكن لا بدَّ أن نعود الآن فالوقت متأخَّر.

تبادلا بطاقات التَّعارف فيما بينهما، جلس "ماهر"، ونظر في وجه "مرسيدس" التي لم تصدِّق ما يحدث: يا إلهي مسيو "لاش لفيه" والصَّحفي المشهور "سالم سلمان" أنا محظوظة هذه الليلة بالتَّأكيد أنَّ السَّيِّدة "مريم" راضية عني هذه الليلة.

الغريب أنَّ "ماهر" وهو الذي يسعد بالتَّمَتُّع مع المرأة، خاصَّة إذا كانت جذَّابة، ولكن لا يعرف لماذا لم ينظر إلى "مرسيدس" هذه النِّظرة... صحيح أنَّه يفكِّر فيها منذ أن وقعت عيناه عليها أوَّل مرَّة ولكن لا يعرف نوعيَّة هذا الشُّعور فهو سعيد بلقائها ويتمتَّع بالحديث معها، ولكن لا يفكِّر فيها مثل الأخريات اللاتي يذهبن معه إلى السَّرير بعد وجبة عشاء ويودَّعنه في صباح اليوم التَّالي، هذه المرسيدس مختلفة فهو لا يريدُها أن تصاحبه إلى السَّرير في الوقت الذي لا يريد منها أن تفارقه ولو لحظة، فهو يريدُها ولا يرغبها، شعور غريب، وأيِّ سرٍّ في هاتين العينيَّتين الجميلتين الحزيتين؟! هل هو على حبيب غدر أم على والدها الذي تُوفِّي قريباً أم تراه على والدتها وصحَّتها المعتلَّة؟ لم تكن تلك الجميلة التي تلفت الأَعناق، ولكن لا يعرف ما يجذبه في هذا الوجه الغامض؟ ولتكن مغامرة جديدة من مغامرات الحياة.

بعد عدّة لقاءات واتّصالات بالهاتف أو عن طريق الشّبكة العنكبوتية، الحديث أو الأحاديث معظمها عن الأديان ومقارنة بين ما جاء على لسان أنبياء الأديان السماوية الثلاثة أو أفعالهم، ينتقل للسياسة والحياة الاجتماعية بصفة عامّة والخاصّة من جانبها في أحيان أخرى، أعجب بحبّها للعمل وتفانيها وجدّيّتها في الحوار، فهي حاصلة على إجازة جامعيّة في العلاقات العامّة، تعشق التّاريخ، والتّراث، تهوى المسرحيّات، والموسيقى الهادئة الرّاقية خاصّة السّيمفونيّات العالميّة، ناعمة الحديث بغير ملل، تبغض الأصوات العالية والموسيقى الصّاخبة والعنف، هادئة كالنّسيم، دافئة كأشهر الصّيف، ودیعة كرشا غزال ولكن هذا الحزن وهذا الغموض يزعجان تفكيره، لا ينكر أنّه معجب بهذه الشّخصية، فهو بالرّغم من كثرة علاقاته الاجتماعيّة وخاصّة مع المرأة يعتقد أنّه يفهم كلّ أنواع النّساء، ولكن عجز حتّى عن تحديد موقفه من هذه الأنثى.

في مساء أربعاء، كانا يتناولان طعامهما في أحد الحدائق في واحد من أشهر فنادق (سانت ياقو) وهو الفندق نفسه الذي ينزل فيه "ماهر" وإذا بخبر في التّلفزيون هزّه كالزّلزال عندما قال المذيع بأنّ إرهابيين قاموا بتفجير مبنى حكومي في الرّياض عاصمة السّعوديّة في خبر عاجل نقلته وكالات الأنباء العالميّة، لاحظت توتّره من أثر صدمة الخبر، حاول أن يتناسك، شرب قليلاً من التّكيلا ليداري انفعاله، ولكنّ رعشة يده التي لم يستطع السّيطرة عليها كادت أن تسكب الكأس على ملابسه وهي تترجم له الخبر أنّ من بين الضّحايا طفلة بريئة في عمر الرّهُور، ألقي بالكأس في جوفه، صاح: لا... وكاد أن يشرق، شفق شهقة برزت على آثارها عيناه وتغيّر لونها إلى الاحمرار، ناولته كأساً من الماء، خفض رأسه وقد أصابه غثيان وأحسّ بالآلام من الدّاخل، شرب بعض الماء واستأذن للدّهاب للحمام، قامت خلفه

وانتظرتة خارج الحمام، وعيون فضوليّة ممن كانوا هناك يراقبون الموقف، عاداً بعد أن غسل وجهه وهي تحضن خصره، ويده ملقاة على كتفها بعد أن أبعد رابطة العنق عن رقبته وفتح (أزرار) قميصه العلويّة الثلاثة، جلساً، بدأ الهدوء يعود إليه تدريجيّاً، سأل (محاولاً تغطية الموقف):

ماهر: لم العنف؟

قالت "مرسيدس" بصوت هادئ وكأنّه النسيم: العنف هو علامة لصدمة من مشكلة ما، المشكلة في الصدمة نفسها... فالغضب لا يأتي دون مبرّر ما!

ماهر: ولكن...

قاطعته قائلة: عندما يفقد الإنسان الثّقة في نفسه وهي الأنا أو في مجتمعه أو في العالم وهذه هي محاور الثّقة الثلاثة لسبب ما وبتأثير من الخطابات الثقافيّة الفكريّة، سواء كانت دينيّة أو غير ذلك من مجموعة الأفكار، والأيدوبولوجيّات هي التي تشكّل أنماط العنف، فالخطاب الثقافي هو نسيج لهذه الأنماط أو خيوط العنف.

شدّه الحوار وأعادته إلى نقطة قريبة من التّوازن، قال: ولكن العنف لا يُولد إلّا عنفاً مضاداً.

مرسيدس: بالتّأكيد، وهذا ما يجب أن نفهمه، والسؤال هنا ليس كيف قام الإرهابيون بالعملية؟ هذا السؤال يطرحه رجال الأمن ليساعدهم في أبحاثهم الجنائيّة ويساعدهم ويفيدهم في أعمالهم فقط، والإعلام (المسيّس) للتّضليل أو تغطية السؤال الحقيقي وهو لماذا قام أو قاموا بالعملية؟ لكن السؤال الأخير قد يسحب شخصيّات اجتماعيّة رفيعة المستوى في هذا البلد أو ذاك للمساءلة، وقد يكون عنف الإرهابيين هو رسالة يجب أن نعرف لمن أرسلت؟ وماذا تريد أن تقول؟ وهذا دور علماء الاجتماع والنفس والمفكرين

والمتقنين، وقد يكون ما قامت به هذه الفئة هو العنف المضاد لاضطهادٍ لم يجدوا له مبرراً، خذ الثَّارَ - على سبيل المثال - وهو عالمي الانتشار.

ماهر: ولكن ترابط المجموعة البشرية في مجتمعات تحكمها قوانين وشريعة يوجب على أفرادها أن يتبادلوا الاحترام والثقة والمسئولية الجسدية! مرسيدس: هذا صحيح ولكن النظرية العلمية الحديثة بعد الثورة الصناعية تنظر للعالم بأنه انقسام مزدوج بين الروح والمادة، فصدمة السيطرة المركزية الصناعية في الموروث، والعنصرية، والجنس (Sex)، والتعصب الإنساني، خضعوا لسلطان تلك السيطرة.

ماهر: ولكن بالحوار العقلاني نستطيع أن نصل لحل. مرسيدس: هل نتحدث عن حادثة معينة مثل هذه التي حدثت في السعودية أم بصفة عامة؟

ماهر: دعينا نتحدث بصفة عامة أفضل. مرسيدس: أشكال النظام الاجتماعي الإنساني عبارة عن نتيجة للتفاعل التاريخي الخلاق مع معايير القبول وعدمه ومع التسامح والتعصب، فكل مجتمع له ثقافته، وبالتالي قوانينه التي تحمي أفرادها وتحفظ مصالحهم، ولكن هذه المصالح المتصارعة مع بعضها البعض أنتجت ردود فعل متطرفة منها مقاومة المحافظين على التغيير فيستخدموا سلاح الأشياء والحين كي يزكوا الإحساس بعدم الأمان من المحدث أو الحديث، وبالتالي الحاجة للحماية من القادم. يقابلهم أولئك الذين قاموا لتخفيف الظلم والألم، فإن المكاسب التي يحققونها تمتزج بعداوة الذين يخشون منافع الموقع، في الغرب على سبيل المثال كان الحل القوة والعنف... الثورة الفرنسية والحرب الأهلية الأمريكية على سبيل المثال.

ماهر: وكأن العنف فطرة إنسانية!

مرسيدس: هناك العنف الفطري، والآخر مكتسب فـ"سيغمون فرويد" يقول (الصّراعات الدّاخلية لدى الفرد أساسها أو مرجعها لدور غير واع للعقل يؤثر في التّفكير الواعي)، وطالما الإنسان يمتلك المقدرة على التّفكير الصّرف، فإنّ لديه المقدرة على العنف الصّرف.

ماهر: هل يعني هذا أنّك تؤيّد العنف؟

مرسيدس: أنا أكره ... أكره العنف بجميع ألوانه وأشكاله؛ لذا فقد قرأت كثيرًا عنه لمعرفة أسبابه ودوافعه وأنماطه وتعريفه، يجب أن نقدّم تعريفًا واضحًا لمعنى العنف... ما العنف.

ماهر: أخشى أنّ الحديث سيطول في هذا الموضوع، ولم يبقَ غيرك وأنا في المطعم، والتّادل ينظر إلينا علنًا نحاسبه ونصرف ليلحق بآخر قطار، وأنّ لديك عمل غدًا، لماذا لا نوجّل هذا الحديث للمرّة القادمة.

مرسيدس: أوه صدقت... السّاعة قاربت على الحادية عشرة والنّصف، أنا أسفة فقد سرق الحديث الوقت منّا، أراك في المرّة القادمة، هل أنت بخير أم تريدني أن أوصلك لغرفتك في الفندق.

ماهر (وهو يوقّع على فاتورة الطّعام لتنضمّ إلى حساب غرفته): أنا بخير شكرًا، سوف أوصلك إلى الباب الرّئيس، بعد أن غادرت صعدت إلى غرفته بتناقل، أخذ يخلع ملابسه وأفكاره مشوّشة بين ما حدث في الرّياض وبين ما حدث له وبين هذه المرأة التي اقتحمت حياته... من تكون؟ وماذا تريد؟ وإلى أين ستنتهي هذه العلاقة؟

لا يعرف لماذا تذكّر كلمات إبراهيم ناجي في هذا الوقت وهو يقول:

عندما تقفُ دارٌ من رفاق وتحسّ السمّ في كاس وساق
عندما يكشف بُوس وجهه سافر اللعنة مفقود الخلاق
عندما تمسّي بظلّ عالِقًا وبخيطة الوهم مشدود الوثاق

يَا فُؤَادِي انظر وَفَكِّرْ وَأَفِقْ أَيَّ قَيْدٍ لَكَ بِالْأَحْبَابِ بَاقٍ
وَكَّرَرِ الْبَيْتَ الْآخِرَ مَعَ بَعْضِ التَّعْدِيلِ فِي كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ:

يَا فُؤَادِي انظر وَفَكِّرْ وَأَفِقْ أَيَّ قَيْدٍ لَكَ فِي الْأَوْطَانِ بَاقٍ
لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْعَثَ بِرِسَالَةٍ لـ "حامد" يسأله، فكلُّ الرِّسَائِلِ الْإِلِكْتَرُونِيَّةِ
مِرَاقِبَةٌ الْآنَ، مَا عَلَيْهِ غَيْرُ الصَّبْرِ وَالْإِنْتِظَارِ حَتَّى تَصِلَهُ مَعْلُومَاتٌ عَنِ الْفَاعِلِ
إِمَّا عَنْ طَرِيقِ التَّنْظِيمِ أَوْ الْأَخْبَارِ.

الرِّيَاضُ يَوْمٌ وَمَكَانٌ الْحَادِثُ سَيَّارَاتُ الْإِسْعَافِ تَنْقُلُ الْمَصَابِينَ وَتَوَزِّعُهُمْ
بَيْنَ مُسْتَشْفَى الْقَوَّاتِ الْمُسَلَّحَةِ وَمُسْتَشْفَى الْأَمْنِ الْعَامِ وَالشَّمْسِيِّ، خُبْرَاءُ
الْأَسْلِحَةِ وَالْمُنْفَجَّرَاتِ يَعْمَلُونَ بَجَدٍّ لِأَخْذِ عَيِّنَاتٍ مِنَ الْمُنْفَجَّرَاتِ، رِجَالُ
الْبَحْثِ الْجَنَائِي يَبْحَثُونَ فِي السَّيَّارَةِ الْمَفْخُخَةِ، نَوْعِ السَّيَّارَةِ، مُوَدِّعِهَا، رَقْمِ
الْمَاكِينَةِ وَرَقْمِ الْهَيْكَلِ وَلَوْحَةِ السَّيَّارَةِ، رِجَالُ الْمُبَاحِثِ، يَتَوَزَّعُونَ بَيْنَ الْمَوَاطِنِ
الَّذِينَ تَجَمَّعُوا يَسْأَلُونَ وَكَأَنَّ لَيْسَ لَدَيْهِمْ عِلْمٌ، عُلَّ كَلِمَةٌ يَتَفَوَّهُ بِهَا أَحَدُهُمْ
تَوْصِلُ إِلَى الْفَاعِلِ، يَصَوِّرُونَ وَجْهَ الَّذِينَ يَقْتَرِبُونَ لِيُرَوْا أَثَارُ الْحَادِثِ،
فَالْفَاعِلُ لَا بَدَّ أَنْ يَأْتِيَ لِيُطْمَئِنُّ أَوْ يَرْسِلَ أَحَدَ أَعْوَانِهِ لَتَفْقُدَ الْخَبَرَ، رِجَالُ
الْإِعْلَامِ يَصَوِّرُونَ، الْمَحْطَّةَ التَّلِفِزِيَّةَ الْجَدِيدَةَ الَّتِي قَامَتْ بِتَعْيِينِ نِسَاءٍ
لِتَقْدِيمِ وَتَغْطِيَةِ الْأَخْبَارِ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي الْمَمْلَكَةِ كَانَتْ مُتَوَاجِدَةً تُسَاعِدُ رِجَالَ
الْمُبَاحِثِ فِي تَصْوِيرِ الْفَضُولِيِّينَ عُلَّ وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ الْخِيطُ الَّذِي يَتَعَلَّقُونَ بِهِ
فِي أَمْلَهُمْ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْجَنَازَةِ، الطَّبِيبُ الشَّرْعِيُّ يَأْخُذُ عَيِّنَاتٍ مِمَّا تَبَقَّى مِنْ
جَسَدِ "عَاصِمٍ" وَيَبْحَثُ بِصُعُوبَةٍ عَنْ مَنْطِقَةٍ لَمْ تَصِلْهَا الشُّطَايَا أَوْ تَحْرَقَهَا
النَّيْرَانُ وَهِيَ مَنْطِقَةُ التُّخَاعِ لِمَعْرِفَةِ هَوِيَّةِ الْجَانِي عَنْ طَرِيقِ الْحَامِضِ النَّوِيِّ،
مِرَازِكُ الشَّرْطَةِ تَبْحَثُ فِي مَلَفَاتِهَا عَنْ بَلَاغِ غِيَابِ لِرَجُلٍ أَوْ شَابٍ بَعْدَ أَنْ تَلَقَّوْا
أَوْامِرَ بِتَزْوِيدِ رِئَاسَةِ الْأَمْنِ الْعَامِ بِذَلِكَ، جَمْعُ الْمَعْلُومَاتِ وَلَوْ كَانَتْ صَغِيرَةً
تَافَهُةً يَأْخُذُ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ وَالْكَثِيرَ مِنَ الْجُهْدِ، الْمُسْتَوْلُونَ أَصَابَتْهُمْ صَدْمَةٌ

الحادث بنوع من السّخط على الجناة والمتطّرفين من رجال الدّين، أمّا المواطنون في جميع أرجاء المملكة، وخاصّة في الرّياض العاصمة لا يتحدّثون إلّا عن الحادث، وكثرت الإشاعات، ولكن الجميع يسألون سؤالاً واحداً ليس من؟ وكأنّهم يعرفون! ولكن لماذا؟

بعد عدّة أيّام وصلت إخباريّة من المنطقة الشرقيّة أنّ رجلاً في الخامسة والثلاثين من عمره ويُدعى "عاصم عبّاس عبد رب الرّسول" قد اختفى لأكثر من ستّة أشهر ولا يعلم أحد عنه شيئاً، سُجِنَ في حادث جنائي باعتدائه على ابن أحد الأسر، قضى مدّة العقوبة في السّجن وأُفرج عنه بعد انتهاء المدّة، يتعاطى المخدّر، حاصل على الثّانويّة العامّة من مدرسة القطيف الثّانويّة، يقرض الشّعْر، أعدّ مسرحيّة غنائيّة سياسيّة تحريضيّة، وأعطاه لصديقه الملحن "عمّار عبد الرّضا حسين"، ووالدته وأخته لا يعرفان شيئاً عنه، وكذلك عمّه وابن عمّه وزوج أخته الوحيدة.

في منتصف الليل كانت قوّة من المباحث العامّة برفقة بعض المجنّدين ومعهم الطّبيب الشرعي يُداهمون منزل "عمّار عبد الرّضا حسين" وأخرى منزل "خليل" و"فاطمة"، أخذت عيّنات من والدته وأخته وابن عمّه لمقارنتها بالحامض النووي لـ "عاصم" وتمّ تفتيش المنزل، أخذوا الكتب والأوراق الخاصّة به وكذلك الحاسب الآلي، وبدأ الاستجواب مع والده "عاصم":

المحقّق: الاسم؟

زينب: زينب.

المحقّق: بالكامل لو سمحت.

زينب: زينب الباقر محمّد علي عبّاس.

المحقّق: العمر؟

زينب: خمسة وخمسون سنة!

المحقق: الجنسية؟

زينب: سعودية.

المحقق: رقم بطاقة الأحوال.

زينب: بطاقة أحوال زوجي الله يرحمه... يا "فاطمة" جيبى بطاقة أحوال المرحوم، تلاقىها في درج التَّسريحة.

"فاطمة" تحضر البطاقة للمحقق الذي يناوها بدوره لكتاب التَّحقيق ليفرغ البيانات المطلوبة.

المحقق: عدد الأبناء؟

زينب: "عاصم" و"فاطمة".

المحقق: تذكير تاريخ ولادة "عاصم"؟

زينب: "عاصم" وُلد في أمريكا عام ٩١ هجري، ٧١ ميلادي.

المحقق: ليه رحّت أمريكا؟

زينب (تغالب بكاءها) وتحدّث من بين دموعها: "أبو عاصم" الله ير... وأخذت تجهش في البكاء وانهارت وأصيّت بنوبة من الهستيريا، فأخذت تلطم على وجهها وتصرخ بالبكاء، والمحقق يحاول أن يهدئ من روعها، طالباً من "فاطمة" أن تحضر بعض الماء لوالدتها، قال بعد أن هدأت قليلاً بكلّ أدب:

المحقق: سيّدة "زينب" أنا آسف سوف أترككم الآن حتّى تهدئي، نحن نساعدكم في البحث عن "عاصم" فقط، لا تخافي إن شاء الله نلقاه سالمًا ونردّه لك.

زينب: وين "عاصم"... وين حبيب أمّه... يا كبدي عليك يا وليدي...

يا حبيبي... يا رب... يا "علي" حبيبي يا "علي"... يا "فاطمة"

الزَّهراء " ... يا بنت رسول الله، يا "حسين"، أسألكم بجاه "محمد" رسول الله تردُّوا لي "عاصم"، وعادت للبكاء والنَّحيب.

في الأوراق لم يجدوا شيئاً، أمَّا الكتب فهي عبارة عن أدعية عادية وكتب إسلامية لا غبار عليها لمشايخ معروفين، أمَّا الحاسب الآلي فقد بدلت المعدات الصلبة للتخزين فهي جديدة لم تستخدم ولم يكتب فيها غير: أهلاً بتواجدكم وحيّاكم الله.

بعد ثلاثة أيام عاد فريق التحقيق إلى المنزل، ولكن في هذه المرة بعد صلاة العصر، وبعد أن تمَّ الاتفاق مع "خليل" على الموعد، كان "أبو خليل" حاضراً، ولكنَّ المحقِّق طلبَ منهم البقاء في الغرفة الثانية ما عدا "زينب" ووالدتها مع مجنَّدين وكاتب التحقيق، بالرَّغم من التَّسجيل الصَّوتي قال المحقِّق: إن شاء الله تكوني بخير اليوم... أنا أكرِّر أسفي عن المرة السابقة... ها نبدأ العمل؟

زينب: تفضَّل.

المحقِّق بعد أن ضغطَ على زرِّ التَّسجيل: آخر مرة كنتِ تتحدَّثين عن سبب وجودكم في أمريكا.

زينب: الله يرحمه كان مبتعثاً.

المحقِّق: على حساب شركة؟

زينب: لا... على حساب الحكومة الله يعزِّها.

المحقِّق: تدريب ولا دراسة جامعية.

زينب: كان يحضِّر الماجستير في الرياضيات البحتة - الله يرحمه - كان مدرِّس رياضيات.

المحقِّق: كيف مات المرحوم؟

"زينب" وهي تغالب دموعها: حادث.

المحقّق: نوع الحادث؟

زينب: مروري.

المحقّق: طيّب... اشربي شوي من العصير واحكي لنا عن "عاصم".

زينب: "عاصم" حبيبي... طيّب، بس أولاد الحرام...

المحقّق: أصدقاؤه؟

زينب: لا... أصدقاؤه طيّبون مثله... بس في شلّة ما نعرفهم، الله حسبي

عليهم علّموه المخدّر بعد ما خرج من السّجن.

المحقّق: ليه دخل السّجن؟

زينب: مظلوم... مظلوم... يا حبة عين أمّه، الله ينتقم من اللي ظلمه، راح

يفرع بين اثنين تهاوشوا، واحد منهم ولد أخوي وهو قام يفرع بينهم جات الشرطه وذبت بهم بالسّجن.

المحقّق: الشرطه ما تسجن يا خالة، الشرطه توقف، اللي يحكم بالسّجن

القاضي، أكيد صدر عليه حكم.

زينب (وهي تتنهد بحزن): إيه... بالله أصدروا حكمًا ظالمًا على مظلوم في

المحكمة.

المحقّق: مَنْ هم أصدقاؤه؟

زينب: أقربهم "عمّار".

المحقّق: "عمّار" مين؟

زينب: ولد "مزنه"، اللي خالتها سرقت زوج خالتي... حسبي الله عليها

وعليه، خالتي أزين منها وهي ناشفة كما الجرادّة، ما أدري ليش طلق خالتي وأخذ خالتها، المبرود - الله لا يحفظه - تركها بعيالها المسكينه.

المحقّق (يكتّم ضحكته): أنا أسأل عن أبيه منه أبوه؟

زينب: "فاطمة"... منهو زوج "مزنه"؟

فاطمة: "عبد الرضا حسين" تراهم ساكنين في حي النخلة.

المحقق: ومين غيره؟

زينب: "زين" و"جعفر" و"حبيب" بس، والشهادة لله كلهم طيبين ومؤدبين ويخافون الله، وما يتركون صلاتهم، صحيح "عمار" يحب الموسيقى والعود وصوته حلو بس، والشهادة لله أول ما يسمع الأذان يترك اللعب والغناء ويروحوا المسجد.

المحقق: قد إيه غاب عنكم؟

زينب: أكثر من ستة أشهر، هو داعية بعد أن هداه الله وحفظ القرآن أصبح داعية يغيب بالشهور يدعو الناس للإسلام.
المحقق: فين؟

زينب: والله يا وليدي ما أعرف، بس هو مع مجموعة من الدعاة يقول تبع الحكومة يسافروا لنشر الإسلام.
المحقق: كيف كانت معاملته لك.

زينب: رضي... الله يرضى عليه ويسلمه من كل شر ويبعد عنه عيال الحرام... ساترنا... الله يستره... ما هو منقص علينا شي، حتى كتب البيت باسم أخته ليلة زواجها وقدمه رفد لها، لكن انتوا ليش تدوروا عليه ليش الأسئلة؟

المحقق: نبي نظمئن عليه ونطمئنك عليه، هذا واجبنا.

زينب: بس انتوا الحكومة، وهو يشتغل معكم، أكيد تعرفوا وين راح!

المحقق: خير إن شاء الله.

حققوا مع العم ومع "خليل" ومع "فاطمة"، قبض على "عمار" بعد أن داهمت منزله الفرقة الخاصة وتم تفتيش المنزل، أخذوا الأوراق والكتب بعضها مترجم عن الحميني، والحاسب الآلي الخاص به، وجدوا قائمة بأسماء

خلايا المتمين للتنظيم وأعضاء كل خلية في كل من الدمام والظهران والخبر والهفوف والقطيف ورأس تنورة والقرى المحيطة حتى الخفجي .
تمّ تجميعهم في مكان ما في المنطقة الشرقية ٢٧٥ شاباً منهم، أُطلق سراح ١٥٠ منهم لعدم وجود أدلة كافية، وعدم علمهم بأنّ أسماءهم في التنظيم والبعض من الذين غرر بهم، وكُتبت أسماءهم ولم يقوموا بأيّ نشاط، وفي جناح الظلام تمّ ترحيل ١٢٥ منهم في طائرة تابعة للقوّات الجوية، ومن ضمنهم "زين" و"جعفر" و"حبيب"، أمّا "عمار" فقد تمّ ترحيله قبل عشرة أيّام، وبعد القبض عليه مباشرة إلى سجن الحائر في الرياض.

"حامد" الذي كان يتابع الأخبار كعادته وبجواره والدته (أُذِنَعَ بيان من وزارة الداخلية بأنّ مجموعة من الفئة الضالّة قامت بتفجير مبنى حكومي؛ مما أسفر عن وقوع ضحايا بين قتلى وجرحى، ومن بين القتلى طفلة صغيرة، احمرّ وجهه وسخط ولعن أمام والدته، وترك المنزل مسرعاً، توجّه بسيّارته نحو منزل "وضّاح"، نزل "وضّاح" وركب معه السيّارة وأخذوا يطوفان شوارع مكة، سأل "حامد":

- سمعت الخبر؟

وضّاح: إيه بلي سمعته.

حامد: احنا ولا غيرنا؟

وضّاح: تسألني وأنت الرئيس؟!

حامد: بس بعد اجتماع (جلاس قو) انقطعت أخبارهم، أنا طلبت منهم ما أحد يتصل لا بي ولا بأيّ فرد من التنظيم، ودّي تشوف طريقة ألاقي فيها "مناحي" تكون آمنة له ولي، "مناحي" بعلاقاته عنده بعض العلم.

وضّاح: أبشر طال عمرك، نرسل له واحدًا بالإشارة، ويأخذ منه الرّد متى تبيّه وفين؟

حامد: في الحرم عند العامود ١٩.

وضّاح: بس مباحث الحرم منتشرين في هذي الحرة والكاميرات شغّالة.

حامد: اكتب له يأخذ المصحف الكبير الي أمسكه وأتركه، كأني أصلي، ويقرأ سورة (يس) لا يكلمني، راح يلاقي التعليقات هناك.

وضّاح: في السّورة!

حامد بعصبية: إيه في السّورة لما يوصل عند آية راح يفهم معناها، "مناحي" ذكي ويفهمني.

وضّاح: خلاص... نقول له اقرأ سورة (يس) وبلاش يجي.

حامد: ناظرًا ببلاهة ناحية "وضّاح": أنت تستهبل.

وضّاح: أبداً طال عمرك بس...

حامد مقاطعاً: لا... بس بلغه زي ما قلت لك.

وضّاح: أبشر... متى؟

حامد: يوم السّبت قبل صلاة الظُّهر، قبل الأذان برّبع ساعة.

وضّاح: أبشر طال عمرك.

حامد: الحاسب الآلي والأوراق لا تخلّيها في البيت.

وضّاح: لا... طال عمرك استأجرنا بيتاً فيه دور تحت الأرض، وكلّ شيء هناك، لا تخف.

حامد: باسمك؟

وضّاح: العقد باسم واحد تُوفيّ له سنين.

حامد: تعجبني... ومين ساكن هناك؟

وضّاح: مجموعة شباب.

حامد: واثق منهم؟

وضّاح: منّا وفينا ومن النّوع لو تذبّحه ما يتكلّم.

حامد: على بركة الله... خلّك طبعي ولا تغيّر شيئاً.

وضّاح: الله لا يغيّرنا إلّا للأفضل.

حامد: والقروش؟

وضّاح: في الخزائن في الدّور اللي تحت الأرض.

حامد: ولو دخل واحد غريب ما راح يعرف أنّ هناك دور تحت الأرض؟

وضّاح: ولا جنّي علاء الدّين يعرف... تبي تتأكّد تعال ودلّني على

مكانه.

حامد: كيف؟

وضّاح: في ركن المجلس في فتحة كما فتحة خزّان الماء متر في متر، الشّباب

ركّبوا عليها سراميك زي سراميك المجلس وتفتح وتقفّل بالريموت كنترول

عن طريق بستم، يوقف النّازل عليها ويضغط الرّيموت تنزله وإذا نزل عنها

تصعد وتقفّل ولا كأنّه هناك مخبأً.

حامد: وإذا بيبي يطلع؟

وضّاح: أبداً... يضغط زرّاً من تحت... ينزل الباب.

حامد: تكنولوجيا... ها... وبعدين؟

وضّاح: أبداً... طال عمرك... يلاقي باب من الفولاذ زي ببيان خزائن

البنك عليه رقم سرّي ما يفتح غير بالرّقم السّرّي، وإذا عجزت تفتحه ينفجر

ويحرق كلّ شيء؛ لأنّ المواد سريعة الاشتعال مرتبطة بانفجار الباب، تنكسر

القواريير بعدما تطيح من هزة الانفجار وتنتشر في الغرفة، وأوّل ما تصل

الحرارة للخزائن الحديدية تنفجر، حتّى الحاسب الآلي يتفجّر، ولا أحد يقدر

يستفيد منه شيئاً، وحلّني بدوروا الجماعة اللي بالي بالك على شيء.

حامد: يعني يوصلوا الطريق مسدود.

وضّاح: بالطبع هذي أرواح وسمعة بشر ما هي لعب عيال، لا... وأبشرك قسم المحاسبة في البيت الي بعد بيت المخزن بيت، وفيه نفق على عمق عشرة أمتار يوصل بين البيتين عن طريق الخزنة، من هناك تدخل النّقدية والذهب بالطريقة نفسها، لكن خروج الفلوس عن طريق الشّباب في بيت الخزنة.

حامد: كيف خرجتوا السبع ميه والخمسين ألف لـ "مناحي".

وضّاح: في كفر استبنه وضعناه في سيّارة "مناحي"، سافر بها إلى الرّياض، وفي محل بنشر تابع لنا هناك جاء "عاصم" وأخذ الكفر والفلوس. بعد صلاة العشاء في الحرم قام بالطّواف حول البيت العتيق، ووزّع بعض العطور من عطر الورد التّركي للعسكر القرييين من الحجر، قبل الحجر، وتبسّم للشيخ الذي يقف عند مقام إبراهيم، واقترب منه، أخرج نصف توله من عطر الورد الطّائفي الذي يضعه في الجيب الأيسر، وقدمها له وهو يتسم بعد أن قرأ عليه السّلام، فردّ الشيخ التّحيّة بأحسن منها، وبابتسامة عذبة وتناول العطر ووضعه في جيبه.

عاد إلى منزله، توضّأ وصلى الشّفع والوتر وتناول حبة (فاليوم) كي يستطيع أن ينام، قبل أذان الظّهر بنصف ساعة كان يقرأ في المصحف الكبير مرخياً رأسه، ساحباً شماغه إلى الأمام لكي لا يُظهر وجهه في كاميرات التّصوير، وفي الموعد وصل "مناحي"، أكمل "حامد" قراءته حتّى انتهى "مناحي" من صلاة تحية المسجد، قبل المصحف ووضعه بهدوء ووقف لصلاة النّافلة، امتدّت يد "مناحي" تحمل المصحف، وأخذ يقرأ سورة (يس).

انتهى "حامد" من صلاته على صوت الأذان، ترك مكانه وتوجّه نحو الكعبة دون أن يلتفت، ومن بعيد تأكّد أنّه "مناحي"، وجد "مناحي" الرّسالة، تركها في مكانها وانتقل إلى سورة الصّافات، بدأ الحرم يزدهم، استغلّ وقت الأذان ووضع إصبعه على المكان الذي وقف عنده وعلى الورقة، وضّمّ المصحف إلى صدره، وأخذ يتبع الأذان في خشوع، وسحب الورقة بسرعة ووضعها في جيبه وقام بعد الأذان يصليّ ركعتي ما قبل صلاة الظهر. بعد صلاة الظهر خرج "حامد" من باب الملك، بينما خرج "مناحي" من باب السّلام سائرًا على قدميه حتّى موقف الحجون، حيث أوقف سيّارته اليابانيّة القديمة فهو في هيئة "مناحي" السعودي العادي البسيط، عندما وصل إلى الفندق أخذ الرّسالة إلى الحّمّام وقرأ (اللقاء في كازينو النّجمة في الطّائف السّاعة الحادية عشرة مساءً) مزّق الرّسالة وألقى بها وسحب (السّيفون)، في السّاعة الثّالثة ترك الفندق ذا النّجمات الثّلاثة واتّجه إلى الطّائف.

السّاعة الحادية عشرة مساءً كان "مناحي" يدخّن الشّيشة الجراك ويرشف بعضًا من الشّاي، في الحادية عشرة والنّصف وصل "حامد" ملثّمًا، سلّم، وجلس بجوار "مناحي" بالرّغم من وجود كرسي آخر، طلب شيشة وبراد شاي أخضر بدون سُكّر، من يراها في خلوتها بين الأشجار تطوف به الطُّنون وقد تصل به الشُّكوك أنّها نواسي المزاج على رأي الكاتب الكبير "طه حسين"، خاصّة من طريقة حديثها الهامس همس العُشّاق في ليلة صافية تلالأت أضواء نجومها في السّماء، والبدر خجل أن يكتمل فيعكّر صفوة اللقاء، ولكنّ مجرى الحديث كان كالآتي:

حامد: إيش الأخبار؟

مناحي: الأخبار الرّسميّة مشوّشة، أخذوا عيّنة للحامض النّووي، بس
أظنّ أنّ الي قام بالعمليّة "عاصم".

حامد: هو واحد ولا أكثر؟

مناحي: الي فجّر نفسه في سيّارة الفان واحد!

حامد: "عاصم" بنفسه ولا واحد من مجموعة "عاصم"؟

مناحي: أغلب الظنّ أنّه "عاصم"؛ لأنّ الولد الي كلّفته بمراقبته قال
آخر مرّة شافه ركب السيّارة الفان الي انفجرت وبعدها اختفى.

في هذه الأثناء قطع حديثهما القهوجي، فصمت "مناحي" وقال
"حامد" بصوت رقيق ومسموع وهو لا يزال على لثامه مخفياً شخصه بعض
آيات إبراهيم ناجي...

أَيُّهَا اللَّائِذُ بِالصَّمْتِ كَفَى وَادِرُ وَجْهِكَ لِي وَأَنْظُرْ طَوِيلًا

لَا تَمَلْ وَأَسْحَرْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا شَاءَتِ الْآيَاتُ يَوْمًا أَنْ تَمِيلًا

علّق القهوجي وهو من اليمن: كيف يدير وجهه وينظر وأنت مخبّي
وجهك.

ضحك "حامد" بغنج، أمّا "مناحي" فقال: يا لقف الرّجال حط
الشّاي وفارق... بلاش تتلصص على الرّبائن، خلّوا كلّ واحد في حاله.
خجل القهوجي وانصرف متممًا بكلمات لم يفقهوا منها شيئاً، بعد ذلك
سأل:

حامد: يمكن راح يوصل سيّارة الفان لواحد؟

مناحي: الولد قال لي تبعته إلى أن دخل المبنى الحكومي الي تفجّر، وما
ظنّيت أعطاها أحدًا هناك؛ لأنّ الولد شافه في مرآة السيّارة عند البوابة،
وقفوه حوالي دقيقة دقيقتين وبعدها تأكّد من دخوله المبنى حرّك سيّارته في
الشارع المتّجه شرقاً، وبعد أقلّ من دقيقة سمع صوت الانفجار.

حامد: لا حول ولا قوَّةَ إِلَّا بالله، إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْه راجعون... إيه... رحمة الله عليه... مات شهيدًا... ما رضي يضحِّي بأحد، عارف نفسه ميّت... ميّت.

مناحي: كيف؟

حامد: كان معه السرطان... الله يكفينا الشر... وحالته كانت ميئوسًا منها، كان يودّ عني من غير ما يودّ عني في (جلاس قو)... وصّاني على أمّه وأخته، كنت أظنّ راح ينتظر يموت بالسرطان أتريه كان ناويها... الله يرحمه. "مناحي" الذي فوجئ بقصّة سرطان "عاصم": حسبنا الله ونعم الوكيل... ومَن لم يمت بالسَّيف مات بغيره، وأنت أغمض منه، الباقيين كانوا عارفين قصّة السرطان هذي؟

حامد: ما أظنّ إنّ أمّه المسكينة تعرف حتّى! كان بير أسرار... خزنة مغلقة... والله خسرناه... الله يرحمه.

وضّاح: بس عندي خبر مش ولا بد.

حامد: إيش الخبر!... عسى خير؟

مناحي: الذّيب.

حامد: ويش فيه كمان؟

مناحي: قبضوا عليه.

حامد: صلّ على النّبي.

مناحي: عليه أفضل الصّلاة والسّلام.

حامد: تقول الصّدق؟

مناحي: إي والله أقول الصّدق... مسكوه قبل التّفجير.

حامد: كيف مسكوه؟

مناحي: في نقطة التّفتيش!

حامد: أنا أسألك كيف؟ أقصد ليه ما هو فين.

مناحي: تعرف اسمه الحقيقي؟

حامد: "سعد".

مناحي: "سعد" إيش؟

حامد: اللي أعرفه من جوازه في أفغانستان أنه "سعد بن عبد الله" الزّدن وتأكدت من بطاقة الأحوال ومن سجّل الأحوال.

مناحي: هو بعينه... أثاره كان مراقبًا.

حامد (بحزن شديد): أخبارك سيّئة... هذا خبر أسوأ من الأوّل.

مناحي: ظنك يبلغ عنّا!

حامد: ما أعتقد... لا تخف... والله لو ذبحوه... الذّيب ذيب، بس الأخبار هذي ما هي زينة على كلّ حال الوقت سرقنا، والكازينو بيي يقفل، أيبك تتبع أخباره وأخبار "عاصم"، نتقابل كلّ أسبوعين في الأعمدة الفرديّة، وبدل يوم السّبت خليها الجمعة، الجمعة زحمة شوي وأكثر أمانًا، وإذا فيه شيء مهم جدّا اتّصل بالرقم اللي عندك ثلاث رنات واقفل الخط، سأتّصل بك... لا ترد حتّى ينقطع الخط... تعرف أني اتّصل مرّة ثانية إذا قفلت بعد رنة واحدة معناه الأحد وإذا رنتين الاثنين وهكذا، اتّصل أنا بك اللين يقفل الخط تعرف أن معناه أوكيه، ونتقابل عند العامود، لا تستخدم الجوّالات ولا حتّى الثّريّا ولا الإنترنت... نتقابل أفضل... أيبك توصلني فندق الشّيراتون في الهدى، أنا جيت بتاكسي من مكّة.

مناحي: أبشر وأنا في طريقي أوصلك وأروح على جدّة وأغادر في طائرة السّاعة سبعة الصّبح للرّياض، إيش صاحبنا صاحب الشّيفرة "ماهر" تحيك أخباره؟

حامد: "ماهر" مبسوط راح أبلغه عن أخبارك، المهم لا أوصيك على نفسك الحذر وأنت عارف قواعد اللعبة يا يسجنونا ويحاكمونا...
مناحي: يا نسجنهم ونحاكمهم.
حامد: بالضبط، والرَّابح هو الكسبان.

"ماهر" الذي يجتهد في عمله ويتنقّل ما بين العاصمة (سانت ياقو) ومدينة الثّقافة والتراث وميناء شيلي الرّئيس (فالباري زو) وخلوته في منزله الصّغير التي لا يعرف عنها أحد في سان أنطونيو، وتكرّر مقابلاته مع "مرسيدس" والحديث عن الإسلام من جهة والعنف من جهة أخرى، اكتشف من حديثها عن الإسلام، وخاصّة بعدما قرأت كتاب المرأة في الإسلام أنّها قارئة جيّدة جدًّا وتبحث عن المعرفة المفيدة، ومن حديثها بإعجابها عن هذا الدّين؛ فقدّم لها بعض الكتب التي كُتبت عن الإسلام والمسلمين، وعندما طلبت نسخة من القرآن لقراءته حصل لها على نسخة وقدمها لها هديّة في يوم ميلادها، أمّا حديثها عن العنف فقد أحسّ أنّها فعلاً متعمّقة في دراسة هذا الموضوع لكرهها العنف بجميع أشكاله حتّى الحدّة في النقّاش تعتبرها نوعاً من أنواع الإرهاب الفكري، قال لها في أحد الأمسيات:
ماهر: الغضب العنيف...

وقبل أن يكمل قاطعته بهدوء: هذا خلط مغلوط، فالصدمة التي هي المشكلة التي تثير الغضب في النّفس الإنسانيّة إذا تحوّلت إلى عنف تكون مرحلة منفصلة كعلامة، فالعنف لا أزال أصرّ على أنّه علامة لغضب ما في النّفس البشريّة.

ماهر: أنا أرى أنَّ الإيمان بفطريّة العنف عند البشر يؤدّي إلى انهيار الفرق
الفاصل بين عاطفة الغضب وسلوك العنف؛ ممّا أدّى إلى المساواة بين الغضب
والعنف، بحيث أصبح الغضب عنفاً أو الغضب العنيف.

مرسيدس: أنا أوّمن بفطريّة العنف وأنّ مصدره الغضب، ولا أختلف
معك في هذه النقطة، ولكن لا يوجد غضب عنيف في قاموس فهمي؛ لذا
نجد القوانين لا تحكم على الشخص لمجرّد أنّه غضب، ولكن تحكم عليه لأنّه
استخدم العنف كعلامة للتعبير عن هذا الغضب، والقوانين نفسها قد تمثّل
نوعاً من العنف، ولكنّه عنف شرعيّ أي أنّه اكتسب شريعته من قبل المشرّع
أو صاحب الحقّ في التشريع سواء أعتد المشرّع على تشريع دينيّ سماويّ أم
وضعيّ، ولكن بعض القوانين لها تأثيرها النفسي على بعض الفئات من البشر
إذا كانت دينيّة، قد يختلفون في فهمها أو تفسيرها، وإذا كانت وضعيّة قد
تتهم بأنّها لمصالح مجموعة ولا تحدم مصالح مجموعة أخرى، وهنا تبدأ مرحلة
العذاب المكتوم الذي يعاني منه الكثير من الضحايا ضمن مسوّغات العنف
القانوني، خذ مثلاً على ذلك عندما تتخذ دول كبيرة كالولايات المتّحدة قراراً
بالاعتراف بإسرائيل، كم مليون عربي ومسلم تعذّبوا عذاباً مكتوماً من هذا
القرار!

ماهر: صدّقني... ملايين.

مرسيدس: أمّا إذا كان المشرّع وهو في معظم الأحوال يضع قواعد عامّة
ويترك الباقي (لحكمة القاضي) المنتصق بالقضيّة، وهذا التعميم قد يخلق
بعض التجاوزات من بعض القضاة على حسب فهمه للمادّة؛ فنجد حكّمين
مختلفين لقاضيين في مكانين مختلفين في المجتمع لقضيّة واحدة، وهذا مما يعقّد
فهم رجل الشارع البسيط، وبالتالي تظهر بعض الإشاعات ومنها المغرض أنّ
هناك محاباة لشخص دون آخر، ويبدأ الشكّ في جهاز القضاء إذا كانت

السُّلْطَة القضائيّة منفصلة، وعلى الحكومة إذا كان القضاء أحد أجهزتها،
وَتُتَهَم بالفساد وتوجيه القضاء.

ماهر: ولكن هذه مجرد نظريات!

مرسيدس: بالعكس أنا أتكلّم عن واقع، وهناك العديد من الأمثلة في
مجتمعنا الشّيلي أو مجتمعاتكم العربيّة أو حتّى المجتمع الأمريكي الذي يتمتّع
بأكبر قدر من القوانين، أمّا قولك فهو نظريات فما هي النظريّة؟

ماهر: حسبما تعلّمت أنّ النظريّة عبارة عن فترة وتنظيم لفهم متعدد
التّحليل من الممكن أن نستخلص منها نتائج نطبّقها.

مرسيدس: تقريباً... لذا فالمهتمون يقومون بتحليل الخطابات الثقافيّة أو
المواد التّعليميّة التي تدرّس، ويضعونها تحت المجهر بوصفها البنية التّحتيّة
للخطاب السّياسي أو الثّقافي دينيّاً كان أم فكريّاً.

ماهر: هذا يعني أنّ المؤسّسات الحربيّة هي نموذج لمنظّمة تحتوي على
نماذج من الخطب والممارسات والمعتقدات.

مرسيدس: صحيح ولكن ما هدفها؟

ماهر: الدّفاع عن أمن الأوطان.

مرسيدس: بالعنف... بالتدمير والقتل... فهي تحتوي على قدر هائل من
الموارد والقرارات الثّقافيّة وتريليونات من الدّولارات التي تدعم البنية
التّحتيّة عبر الزّمن.

ماهر: تتحدّثين عن الصّدمة، فكيف تأتي الصّدمة؟

مرسيدس: تأتي من تصادم الأفكار، فالكنيسة كانت ترفض أفكار
(غاليليو) التي تقول بكروية الأرض وأنها تدور حول نفسها لتصنع الليل
والنّهار؛ فكانت هذه الأفكار الحديثة صدمة لرجال الدّين؛ مما أدّى إلى غضب
الكنيسة.

ماهر: وهذا ما يحدث في الاتفاقات التوافقية.

مرسيدس: ماذا يحدث في الاتفاقات التوافقية؟

ماهر: أولاً أنها تكون بين طرفين أو أكثر بسبب نزاع ما، فلو نظرنا على سبيل المثال إلى الاتفاقات التوافقية بين منظمة فتح وإسرائيل، طالما ذكرت القضية الفلسطينية فإن المنظمة تمثل شريحة من الشعب الفلسطيني، ولكن هناك منظمات أخرى لم تشارك في هذه الاتفاقات؛ فهي قد همّشت عن قصد أو غير قصد عدم مشاركتهم، برغم أنهم متأثرون بقرارات الاتفاقات فهل يُعتبرون مشاركين صامتين؟

مرسيدس: إنَّ أول دروس التفكك هو تهमيش الصّامتين، طالما استخدمت هذا المصطلح من خلال التعددية والاختلاف، فالذين يسامون بحسن نية أو بضعف مع أشخاص لديهم كل أنواع الأدوات والمواقف التي يسامون عليها أثناء عملية المساومة، فإنَّ ما لم يتم إحضاره إلى طاولة المفاوضات هو جملة الأفكار والأعراف التي تكون مجال أو ملعب المساومة.

ماهر: وما هي أبعاد العنف؟

مرسيدس: أبعاد العنف خمسة:

أولاً الشّهادة وهي شهادة مباشرة من خلال أهل الضّحايا أو مرتكبي العنف.

ثانياً: التحليل من قبل المختصين.

ثالثاً: النظرية نظرية العنف الفردي والثّقافي المستقاة من التحليل.

رابعاً: الرّمز دراسة المغزى الرّمزي لأساطير العنف.

خامساً: النّمودج من خلال نماذج العنف الفطري أو المكتسب.

ماهر (الذي يبدي إعجابه بهذه المعلومات، وكان يحرص على تسجيل لقاءاته في مسجّل صغير جدًّا وحسّاس جدًّا) قال الآن تستطيعين أن تحددي معنى العنف من خلال هذه المعلومات القيّمة.

مرسيدس: أفضل تعريف في رأيي "هولروبرت ماكافي براون" يقول فيه إنّ العنف هو تعدّد على الآخر أو تهْميشه بالتّجاهل أو إنكاره مادّيًّا أو فكريًّا أو غير ذلك.

ماهر: مختصر جدًّا ولكن التّهميش قد يأتي بقصد أو عن غير قصد.
مرسيدس: إذا كان يعرف بوجوده ويهمّشه فهو قاصد، أمّا إذا لم يعرف فهو لم يهمّشه، والخطأ هنا على الآخر أنّه لم يعرف أحدًا بوجوده.
ماهر: ألا توجد طريقة أخرى للمعارضة يتم اتباعها.

مرسيدس: هذا يعتمد على الحزب الحاكم ومدى اتّساع أفقه ومعرفته بالفرق بين المعارض والخائن، فليس المعارضون خائنين، فالمعارض يعترض فقط على بعض القرارات التي لا تخدم الوطن والمجموعة، أمّا الخائن فهو إنسان باع نفسه لأعداء المجموعة.

ماهر: ولكن في موطني المعارض هو خارج عن القانون خائن.
مرسيدس: في معظم العالم المتخلّف أو العالم الثالث يُصدّرون هذه الأحكام دون وجه حقّ، فالمعارض هو مصلح مثله مثل الحزب الحاكم إذا رأى خطأ ما يفضحه ويعلن عنه، ليس كرهاً أو خيانة للبلد، إنّما للإصلاح فقط، وإذا كان يريد منها مصلحة شخصية فهو انتهازي، ويُعتبَر في رأي المجتمع خائنًا للأمانة.

ألقي القبض على "عمّار عبد الرّضا حسين" ونُقِلَ فورًا إلى معتقل الحائر في الرّياض تحت حراسة مشدّدة، وتُركَ في زنزانته حتّى ظهرت نتائج تحليل

الحامض النَّووي تَوَكَّد أَنَّ الْعِيَّةَ السَّابِقَةَ لِلشَّخْصِ الَّذِي قَامَ بِالتَّفْجِيرِ هُوَ "عاصم"، عندما تَأَكَّدَتِ السُّلْطَاتُ أَنَّهُ هُوَ الْفَاعِلُ بِدَأْتِ التَّحْقِيقِ مَعَ "عَمَّار".

المَحَقِّقُ: الْإِسْمُ؟

عَمَّارُ: عَمَّارُ عَبْدِ الرَّضَا حَسِينِ.

المَحَقِّقُ: الْعُمُرُ؟

عَمَّارُ: خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ عَامًا.

المَحَقِّقُ: الْجَنْسِيَّةُ؟

عَمَّارُ: حَسَبَ بَطَاقَةِ الْأَحْوَالِ سَعُودِي.

المَحَقِّقُ: رَقْمُ بَطَاقَةِ الْأَحْوَالِ؟

عَمَّارُ: 09869875497.

المَحَقِّقُ: الْمَصْدَرُ؟

عَمَّارُ: الْهَفُوفُ.

المَحَقِّقُ: الْعَمَلُ؟

عَمَّارُ: مُدَرِّسٌ.

المَحَقِّقُ: وَيَشُ تَدْرِسُ؟

عَمَّارُ: تَرْبِيَّةَ فَنِيَّةٍ.

المَحَقِّقُ: فِي أَيِّ مَدْرَسَةٍ؟

عَمَّارُ: ثَانَوِيَّةُ الْقَطِيفِ.

المَحَقِّقُ: كَيْفَ اتَّعَرَّفْتَ عَلَى عَاصِمٍ؟

عَمَّارُ: عَاصِمُ صَدِيقُ طُفُولَةٍ مِنْ أَوَّلَى ابْتِدَائِي، وَاحِنَا زَمَلَاءُ دَرَاةٍ وَأَصْدِقَاءُ.

المَحَقِّقُ: كَلَّمْنَا عَنْ نَفْسِكَ!

عمّار: أبداً... أحب الموسيقى من صغري، أخذت التوجيهية ودخلت كلية الفنون وتخرّجت واشتغلت مدرّساً في مدرسة القطيف الثانوية، متزوج وعندي ولدان "عاصم" و"جعفر".

المحقّق: سمّيت ولدك على اسم صاحبك؟!

عمّار: إيه.

المحقّق: قد كدا تعرّه!

عمّار: طبعاً.

المحقّق: تعرف وين "عاصم" الآن؟

عمّار: "عاصم" داعية يسافر كثيراً، بس أوّل ما يرجع راح يسأل عني.

المحقّق: داعية وصديقه العزيز يحب الموسيقى...!

عمّار: "عاصم" نفسه يحب الموسيقى والشعر والفن والأدب، ويش

المانع... عاصم من الدعاة وما هو متطرّف ويحرّم كلّ شيء.

المحقّق: يعني يسكر؟

عمّار: ما فهمت قصدك؟

المحقّق: قصدي لما تغنّوا تسكروا تشربوا المنكر!

عمّار: لا... مولهذي الدرّجة لا أنا ولا عاصم نتعاطى المسكر.

المحقّق: "أم عاصم" تقول إنه دخل السّجن، تعرف السّبب؟

عمّار: مهاوشة بين ولد خاله وبين واحد من أبناء الأغنياء، قام المقروود

يفرع بينهما جات الشرطة وشالتهم كلّهم.

المحقّق: أنت كنت حاضر المضاربة؟

عمّار: إيه كنت هناك وقلت للشرطي إن "عاصم" ما له ذنب، ما سمعوا

كلام أحد، شالوهم في السيّارة وبعدين صدر حكم بسجنه ثلاثة أشهر.

المحقّق: كنت تزوره في السّجن؟

عمّار: كلّ يوم تقريبًا.

المحقّق: كيف كانت حالته؟

عمّار: في الأوّل كان منهاريًا... ما يتكلّم كثيرًا... بس تحس الانكسار في عينه.

المحقّق: وبعدين؟

عمّار: يتكلّم بس بدا يدخّن التبن ودايم يطلب منّي سجائر.

المحقّق: ما كان يدخّن؟

عمّار: قبل السّجن لا والله... كان يكره التّدخين.

المحقّق: وبعدين؟

عمّار: أبدًا... هذا حاله.

المحقّق: ما قال لك شيئًا؟

عمّار: قال خرابيط كثيرة.

المحقّق: ويش من هذي الخرابيط الي حسّيت إنّها أزعجتك؟

عمّار: قبل ما يخرج بشهر تقريبًا قال (أقسم بالله العظيم راح أنتقم منهم واحدًا واحدًا) كان كلامه وشكله يخوّف، شعرت أنّ "عاصم" ما هو "عاصم" الي أعرفه... بس قلت يمكن أحد ضايقه ولا شيء البارحة ولا اليوم في الصباح يعني كلام واحد زعلان.

المحقّق: وأنت ويش قلت له حزتها؟

عمّار: أبدًا... حاولت أهدي من غضبه... قلت له تفرج وربّك على الظالم... كلّها كم يوم وتخرج واحمد ربّك خلّوك تختبر الثّانويّة وها الحين نجحت وتقدر تدخل الجامعة وتنسى.

المحقّق: ويش ردّ عليك؟

عمّار: قال الي في قلبه نار ما ينسى وصمة العار.

المحقّق: كمّل...

عمّار: خرج من السّجن وبعد عنيّ شوي، حاولت أقرب منه كان يبعدي ويتهرّب منّي... لف على مجموعة داشرة تتعاطى المخدر واللواط وأعمال شينة.

المحقّق: زي... حدّد.

عمّار: سرقات... اعتداءات على أطفال... أعمال قذرة يا رجال.

المحقّق: وبعدين؟

عمّار: أبداً... بعدما اعتدى على أمّه وأخته بالضّرب وهرب، غاب حوالي عام تقريباً أو أكثر... انقطعت أخباره، بعدها رجع شكل ثاني.

المحقّق: كيف؟

عمّار: يروح المسجد، يصرف على البيت، بطلّ التّدخين، رجع "عاصم" زمان وأحسن، ورجعت صداقتنا ومحبّتنا، نجتمع نغنيّ لـ "أم كلثوم" و"عبد الوهّاب" و"عبد الحليم" و"طلال" و"محمّد عبده".

المحقّق: ما كان يسافر؟

عمّار: إلّا ما كان يقعد أكثر من أسبوع عشرة أيّام ويسافر بالشّهور.

المحقّق: وأمّه وأخته مين يصرف عليهما؟

عمّار: هو كان يرسل المصروف لـ "خليل" ولد عمّه الي يسلمه لأُمّه.

المحقّق: تعرف خليل؟

عمّار: إيه زميل مدرسة أصغر منّا أنا و"عاصم".

المحقّق: كلّمنا عن التّنظيم؟

عمّار (بهذوء): قبل سنة ونصف تقريباً جا من سفراته وكلمني عن خطبة أخته على ولد عمّه "خليل" وبعدين فتح موضوع التّنظيم.

المحقّق: كيف فتح الموضوع؟

عمّار: أبداً... قال ويش رأيك نسوي تنظيم سرّي نقلب نظام الحكم، في الأول ظنّيت إنّ رجوع للمخدر جاريته في الحديث، اقترحت عليه "جعفر" و"زين" و"حبيب" قلت نسلّي عليه، مزح. المحقّق: وبعدين؟

عمّار: بدأ يوزّع المهام وأعطاني باعتباري أقرب واحد له أمين سرّ التّظيم تتجمّع عندي الأسماء والنّقدية، استأجر بيتاً قديماً نتجمّع فيه احنا الخمسة، الأسماء بدأت قليلة وكثرت حظّيتها في الحاسب حسب تعليماته والنّقدية كلّما تكثر يأخذ منها ويشترى سلاحاً.

المحقّق: ومن وين تشتروا السّلاح؟

عمّار: والله ما أعرف بس كنت أستلم معه السّلاح ونخبّه في البير المهجور.

المحقّق: تعرف مكانه؟

عمّار: بالتأكيد.

المحقّق: إيش نوع السّلاح؟

عمّار: أنواع رشّاشات على آر بي جي، قنابل، ديناميت، مسدّسات... أنواع كثيرة.

المحقّق: ما نوع المتفجّرات اللي استخدمتموها في تفجير المبنى؟

عمّار: لا... أقسم بالله أنا ما أعرف عنها شيئاً.

المحقّق: ما تعرف عن التّفجير؟!

عمّار: أعرف إنّ راح نقوم بعملية تفجير حسب كلام "عاصم" وأسأله إذا كان عندكم قال راح نفجّر قنبلة اختبار نتأكّد من إمكاناتنا قبل العملية الكبيرة، بس فين؟ متى؟ كيف؟ مين؟ ما قال.

المحقّق (يطلب عصيراً ويسأل "عمّار" عن نوع العصير الذي يرغبه).

عمّار: عصير سيدر تفّاح.

المحقّق: ومين كان معكم لما قرّرتوا تفجير قنبلة الاختبار؟

عمّار: أبداً... "عاصم" الرئيس وأنا أمين السّر و"جعفر" و"حبيب" و"زين".

المحقّق: ما سألت باعتبارك أمين السّر مين، كيف، متى وكلّ أدوات الاستفهام الي قلتها؟

عمّار: إلّا بالله سألت.

المحقّق: ويش قال؟

عمّار: قال التفّاصيل بعدين، احنا رءوس التّنظيم نقر الاستراتيجيّات العريضة فقط، والتّفاصيل لي راح يقوموا بالتّنفيذ بلاش نخلط الأعمال، كلّ واحد في عمله، واحنا حتّى الآن نقوم بأعمالنا زي ما خططنا لها، بلاش التّدخلات عشان لا تصير فوضى، ونورّط الثّانين معنا.

المحقّق: يعني انتوا الي أسستوا التّنظيم؟

عمّار: إيه قلت لك في الأوّل كنت أفكره يمزح... بس في الأخير لقيت العمليّة جد.

المحقّق: ليش ما بلّغت عن التّنظيم من ساعتها؟

عمّار: أي ساعة؟

المحقّق: لما لقيت أنّ العمليّة انقلبت من مزح زي ما تقول إلى جد.

عمّار: الحقيقة حسبتها بعدما شفت العدد والأسلحة والقروش، قلت في نفسي لو بلّغت أصبحت خائناً للمجموعة وأنا كوّنت خلايا ومتورّط، ويمكن يكتشفوا ويسجنوني ويحاكموني وانتوا الشّيء نفسه لقيت العمليّة سجن في سجن وتحقيق هنا ولا هنا، قلت خلّك مع أصحابك يمكن ينجحوا، فقرّرت ما أبّلغ... القرار خطأ صحيح ما نعرف غير بعدين.

المحقّق: تبرير؟

عمّار: أنا ما أبرّر أنا أقول الحقيقة، وماني خايف ولا ندمان.

المحقّق: مانك ندمان على قتل أبرياء؟

عمّار: الإنسان لما يشعر بالغبن والحقد يتحوّل لشخص ثاني، الأمور الإنسانية هذي ما تعنيه بشيء، لما يلاقي اضطهاد اجتماعي ما يفكر في العواطف والمشاعر الإنسانية، يفكر كيف يحقق مصالحه فقط. المحقّق: مكيافيلي (الغاية تبرّر الوسيلة).

عمّار: ليش ما تقول "ابن خلدون" مؤسس علم الاجتماع قبل "مكيافيلي"، "مكيافيلي" سرق أفكار "ابن خلدون" وزوّد عليها شوي وفرنجها عشان تلايم قومه، لكن أساس العلم عندنا، احنا أهل العلم والحضارة.

المحقّق: والعلم هو تبرير وتفجير وتكفير.

عمّار: المسألة أكبر من كذا بكثير.

المحقّق: رجعنا لموضوعنا تعرف منو المنتحر اللي فجر السيّارة؟

عمّار: لا والله ما أعرف ولو أعرف كان قلت لك بكلّ فخر... أنا إنسان صادق وما أخاف.

المحقّق: صاحبك "عاصم" نفسه.

نزل الخبر على "عمّار" كالصّاعقة، لا يمكن أن يكون "عاصم" هو من ضحّى بنفسه وهو زعيم التنظيم، لا بدّ أنّ المحقّق يكذب ولكن لماذا يكذب؟ صرخ في وجه المحقّق.

عمّار: أنت كذاب.

المحقّق وهو يلاحظ انفعال "عمّار" قال بهدوء وهو يمسك ملف علاقي أخضر: التّقارير اللي في يدي تقول "عاصم" هو المجرم.

عمّار: أنت المجرم يا ابن الكل... يا أولاد الزن... أنتم المجرمون، أنت بالذات أنت خسيس وكذاب، أنا قلت لك الحقيقة كلّ الحقيقة، بس أنت نذل، كان من الأولى ما أقول لك على شيء، أنا اللي خطّط للعملية... أنا اللي جهّزت السيّارة بالمتفجّرات... أنا اللي سوّيت الحزام النّاسف، اذبحوني، أنا، مو "عاصم" يا كلا... أقدر منكم ما شفت غير "شارون" يا أولاد "شارون".

المحقّق (يتسم بهدوء): اشرب العصير واهدأ وبلاش الألفاظ القذرة... أنا أكلّمك بأدب وأحترم صراحتك وصدقك، بس الانفعال ما راح يغيّر في الأحداث، و"عاصم" هو اللي انتحر واحنا ما نقتل أحداً غير بشرعة الله وزعلك بالطريقة هذي ما راح يرجّعه ولا يرجّع الضّحايا. عمّار وهو غاضب: أقسم بالله العظيم لو خرجت من هنا حيّاً راح أنتقم منكم يا أولاد الحرام.

المقدّم الي كان بجوار المحقّق كاد أن يقوم وهو منفلعل لضرب "عمّار" صرخ:

- احترم نفسك ولا تراني دايس في بطنك.

ولكن نظرة من المحقّق والذي يرتدي رتبة عميد أعادته لمكانه، وطلب منه أن يتناسك، قال المقدّم بصوت (منخفض ومنفلعل): ما سمعته يا بيه يقول علينا إيه؟

العميد بصوت أكثر انخفاصاً: سيب الكلام الفاضي هو منفلعل شوي الآن بس متعاون وتجاوب معنا، المهم المعلومات... نبي منه أكبر قدر من المعلومات أبغى أنهي معه اليوم بس أبغاه يهدّي شوي، ونظر نحو العقيد الجالس عن يمينه وقال: بعدين رجّعوه السّجن وأكرموه... خلّه يحس أنّنا أفضل وأكرم منه... أبغاك تعامله معاملة خاصّة جدّاً.

المحقّق (موجّهاً كلامه لـ "عمّار) بهدوء فيه حزم: لن تخرج حيّاً سوى زي ما يقول لك عقلك بس الآن أبغاك تهدي وتشرب العصير عشان نقدر نتكلّم زي مخلوقات الله.

عمّار أحس أن كلامه قد يعرضه للتعذيب، خاصّة من هذا المقدّم الشاب المندفع، لو يذبحوه أهون عليه من التعذيب.

المحقّق: إيش رأيك أنت تعبان شوي... نوقف الكلام الآن ونكمّله بعدين (والفتت دون أن يسمع إجابة من "عمّار" للعقيد والمقدّم، وهكذا أغلق التّحقيق في السّاعة الرّابعة عصرًا الدّقيقة السّابعة والثلاثين من يوم الأربعاء.

"مناحي" الذي بعث برسالة مشفّرة لـ "حامد" عن طريق أحد المتّمين الأوفياء للتّنظيم ويسلمها للشباب في بيت (دحلة الولايا) أحد أحياء مكّة يبلغه فيها صحّة خبر "عاصم"، وأنّ "سعد" المقبوض عليه ظهر أنّ له اسم آخر هو "سعد سعيد المسعود"، وبالتّحرّي عن المذكور وجد أنّه ليس له أي علاقة بالتّنظيم، ولكن تشابه غريب في الشّكل والاسم الأوّل، إذا سمعت عن "سعد" نابلّغني كي أطمئن.

"ماهر" الذي كثرت رحلاته ما بين البرازيل والأرجنتين وأمريكا بجنسيّته وشخصيّته الجديدتين ولقاءاته المستمرّة مع "لافي" وصديقه ووالدته الإيرانيّة الأصل، في إحدى الأمسيات حيث دعاه "لافي" لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم في منزلهم الصّيفي بالقرب من شلالات نياجرا. كانوا في الحديقة يتمتّعون برائحة الشّواء وموسيقى هادئة، سمعها تحدّث ابنها باللغة الفارسيّة أنّ صديقك اليميني هذا وسيم ولكنّه غامض نوعاً ما

وهو الذي يعرف اللغة الأردية وبعض كلمات من الفارسيّة، قال "ماهر"
لـ "أم لافي":

- ما هي أخبار إيران يا سيّدي؟

أم لافي: الأخبار موجودة في الصُّحف والمحطّات الهوائيّة.

ماهر: قصدت الأخبار غير المعلّنة.

أم لافي: غير المعلّن لا يعرفه غير الله والشّخص الذي حجب الخير عن
الإعلان.

ماهر: تتوقّعي هذولي (وأشار نحو "لافي") الأميركيان راح يضربوا
إيران وسوريا ومصر والسّعوديّة زي ما تقول الإشاعة.

أم لافي: الأميركيان ورتانين في العراق ورطوهم اليهود والانجليز،
وحلّني لما يخلصوا من العراق، فيه مجال للحديث عن ضرب سوريا أوّل ولا
إيران.

ماهر: ليش بعض الإيرانيين يكرهون العرب؟ سؤال شاغلني.

أم لافي: تبي موضوع صحفي تكتب فيه... أنا أعرف إنك صحفي، ناس
كثير تقول إن الخلاف مذهبي والبعض يقول عرقي، بس إيران الشّارع يعتز
بهويّته الإسلاميّة.

ماهر: بعد سقوط الشّاة ما فكّرتوا في العودة؟

أم لافي: لا... أنا أُمّي أمريكيّة وأنا من مواليد أمريكا... أبوي يحنّ لإيران
مجرّد حنين وينسى، أنت ليش تركت بلدك اليمن وجيت الغرب.

ماهر: فرص عمل وتجارة... أزور اليمن... أنا عندي جنسيتين شيليّة
ويمنيّة.

أم لافي: لما دخل الإسلام إيران تزوّج سيّدنا "الحسين بن علي بن أبي
طالب" سبط رسول الله ﷺ بنت "يزدجرد" امبراطور الفرس الصّغرى

اسمها "بيبي شهربانو"، واختلطَ الفرس والعرب من ذاك التاريخ، فكيف يكرهون العرب؟ و"سيبويه" والمعجمي "روزبه" هما من ساهما في وضع النحو العربي! لعبوا دوراً مهماً في صياغة اللغة العربيّة.

ماهر: لكن "رضا شاه بهلوي" أنشأ أكاديميّة لتطهير المفردات الفارسيّة من عناصرها العربيّة، وحلّت ٥٠٠٠ كلمة تركيّة مكان الكلمات العربيّة مستعارة من نصوص مجهولة أو أوجدها بعض الأكاديميين.

أم لافي: هذا صحيح فقد اختلطت اللغة الفارسيّة باللغة العربيّة منذ دخول الإسلام، ولكن عندما حكم "مصطفى كمال أتاتورك" تركيا ولديه مشاعر معادية للعرب واللغة العربيّة وهي لغة القرآن صدر هذه المشاعر نحو إيران والهدف واضح وهو عداء غربي للإسلام، فـ"كمال أتاتورك" نظر نحو الغرب، بهرته الحضارة الغربيّة فظنَّ أنَّ اللباس واللغة هما سبب التخلّف ولم يعرف أنَّ الأسباب الحقيقيّة للتخلّف هو هرم الدولة العثمانيّة وشيخوختها، وتفرّغ السلاطين منهم في آخر عهد الدولة للتأفّه من الأمور والبذخ والملذّات.

ماهر: هناك بعض الصّور المغلوطة عن العربي لدى الإيرانيين فكلمة (تازي) تعني الغازي، وكأنّ العرب غزاة وكلمة (زاهاك) التي تعني أداة في يد الشّيطان الذي وُلد على هيئة رجل عربي.

أم لافي: معنى الكلمة الحقيقي الحاكم القاسي، وتُطلّق على كلّ حاكم قاسٍ لأنّه يكون أداة في يد الشّيطان الي ولد في القدس، فدعاه أُرستقراطيون (فارسي) كي يصبح ملكاً وينهي الصّراع بين السّلالات الملكيّة الفارسيّة المتنازعة فطنى وتجبرّ، فقام الحدّاد (كاووه) بثورة وسجن الطّاغية عند قمّة جبل (دما وند) في طهران، الصّورة عن العرب في إيران وفي الأدب الإيراني تجد أنّها تصف العربي بالحكمة والتّقوى والكرم والشّجاعة، أمّا النّادر من

الكتاب الصغار المهمشين فتعبرهم المناوى للعرب لا يعبر عن رأي الغالبية من الإيرانيين.

ماهر: ولكن ظهرت في الآونة الأخيرة أصوات سياسية تتهم العرب أنهم غير متدينين بما فيه الكفاية.

أم لافي: هذي بروبقتنا سياسية لتصدير الثورة، نحن نتكلم عن قوميات فالإيرانيون واثقون من هويتهم القومية، وطالما أن لديهم هذا الشعور فإنهم لا يظهرون أي مشاعر مناوئة للعرب... المشكلة في الثقة، وإذا وجدوا أي نوع من التهديد لهويتهم يبحثون عن الآخر، ونادراً ما يجدوه في العرب، وهذا النادر لا حكم عليه، معظم الكره للأتراك لأنهم حكموا فارس قرابة ألف عام.

ماهر: ولكن الترويح لكراهية العرب أكثر سهولة من الترويح لكراهية الأتراك.

أم لافي: قد يكون هذا الكلام فيه بعض من الحقيقة، والسبب وجود ربع سكان إيران يتحدثون التركية بسبب الاستعمار التركي وتغيير بعض المفردات العربية إلى تركية زمن "رضا شاه بهلوي" و"أتاتورك"، وبالرغم من ذلك فالغالب للكراهية الأتراك الذين تربط ذكرياتهم بالحرب والقسوة المذابح والسلب في الآداب الفارسية والفلكلور الفارسي الذي ربطوه باسمهم.

ماهر: إذا العدا ليس مذهبياً؟!

أم لافي: أنا لا أعتقد وإن كان اليهود والغرب يحاولون إثارة هذه النزعة للتفرقة بين المسلمين، يساعدهم في ذلك بعض المتطرفين من الجانبين، وهؤلاء هم المدخل.

"لافي" الذي يشارك في الحديث مستمعًا: بعد أحداث سبتمبر أصبحت كلمة الغرب تعني أمريكا، والكره بدأ ينصب علينا نحن الأمريكان، برغم أننا شعب يسعى للسلام.

أم لافي: أحداث سبتمبر... أحداث سبتمبر كينيدي مات عام ٦٣م وهم إلى الآن ما هم متأكدين من قتله، حلّني بعد أربعين ولّا خمسين سنة قادمة أحفادنا ما راح يعرفوا مين المسؤول عن أحداث سبتمبر، وراح يوصّوا أحفادهم بمتابعة المسلسل.

ماهر: بس تتوقعوا إن "ابن لادن" وجماعته هم الي قاموا بالعملية؟
لافي: بالتأكيد "ابن لادن" بنفسه اعترف.

ماهر: قدام أي محكمة؟
لافي: في الشريط التسجيلي.
ماهر: وين "ابن لادن"؟

لافي: ما أحد يعرف في نفق في أفغانستان ولّا باكستان ولّا عندكم في اليمن عند الحوثيين وجماعته.

ماهر (معلقًا): ولا في أمريكا...

لافي ضاحكًا: ذكرّتي بجديّ كان يقول مثل حجازي ويترجمه لنا، يقول المثل إذا تبي تسكر اسكر في بيت القاضي، أنتم العرب تؤمنون بنظرية المؤامرة والأفلام الأمريكية.

ماهر: على ذكر الأفلام... شفت فيلم القبلة الطويلة قبل النوم؟
لافي ضاحكًا: وعندي نسخة أصلية منه.

ماهر: وفيلم الشبك أو الحصار The Siege؟
لافي: وهذا الفيلم عندي.

ماهر: اجمع أحداث الفيلمين وقارنهما بما حدث في الحادي عشر من سبتمبر ويحدث الآن.

لافي: موضوع فيلم القبلية الطويلة يتحدث عن خلاف بين الكونغرس وجهاز الاستخبارات الأمريكية على موضوع ميزانية الاستخبارات وقصة لقراءة المستقبل... ماذا يمكن أن يحدث لو تعطل الجهاز بسبب الميزانية؟

ماهر: وبالتالي قاموا بتطبيق الفيلم على الواقع، لقد قال لعملية الاستخبارات سوف تقتل عددًا كبيرًا من الأشخاص وسوف تنهم المسلمين! لافي: أنت تبحث عن الفاعل الحقيقي؟ ماهر: بالتأكيد.

لافي: "ابن لادن" وجماعته باعترافه، ليه ما تقول إنه شاف الفيلم وطبقه بعد قليل من التحرير والتعديل، فالشخص مهندس العملية وجد أن ضرب البرجين، بدل مبنى حكومي، ليش تتهمونا كأمریکان، صحيح يمكن الفاعلين استغلوا الظروف وهي خلاف الكونغرس مع الاستخبارات وانقسام الشارع الأمريكي بين الحزبين الكبار الجمهوري والديمقراطي أثناء الانتخابات.

ماهر: نحن لا نتهم... "بريجينسكي" وهو مستشار الأمن القومي الأسبق قال في كتابه قبل أربع سنوات من الاعتداء (إنه إذا لم تهاجم أمريكا كما هوجمت في (بل هاربر) فإن الشعب الأمريكي لن يؤيد أي عمل عسكري في وسط آسيا والشرق الأوسط) هذا كلام مستشار أمن قومي وليس كلام رجل من اليمن وامرأة من إيران.

لافي: وماذا يعني هذا؟

أم لافي: هذا يعني أنَّ الاستخبارات كانت تعرف أنَّ هناك عمل إرهابي سيحدث وإن لم تشارك مباشرة في الضربة فهي شريك غير مباشر أو صامت وهذا لا يعفيها من المسؤولية.

ماهر وهو ينظر ناحية لافي: ذكّرني الوالدة بخرايط كتبتها أقول فيها:

غريب السؤال

كيف الحال؟

عند اللقاء أخرجتني بالسؤال

هو سؤال

والجواب ألف احتمال

يمكن أختصره بكلمة

طيب...؟

وأقفل على حبي المجال

ويمكن أكتب فيه قصيدة

أو رواية أو مقال

يمكن أسكت ما أجاب

وأترك النظرة تجاوب

وهي تحارب

تقرا في عيوني انكسار

ولا انحسار

دمعة في سكة قطار

عيت تمر

يمكن يضلّلها الفكر

في رحلتي صوب القبر

وتقرا غلط
كلمة تفهمها غلط
انتصار... انتصار
هذا احتمال
والجواب حاوي
وفي الخرج ألف احتمال واحتمال
يا حبيبة... يا بعيدة يا قريبة
ليش الحرج؟ شفتي كسيح
على القدم يرقى الدّرج!
والحكمة يوم أسقطوها
قالوا وعكه زلّة قدم
زلّة لسان زلّة قلم
بعدين
طلعت إشاعة تقول... اعدموها
ولا الرّضيع توه انفطم
يلقي خطابه على الأمم
وفي ناس خلفه يردّدوا
در الكلم در الكلم
وهم أهل اللغة
ليتهم غيروا داهم بالضّاد
وكفّروا عن ذنبهم
كان اختصرنا من احتمالات السُّؤال احتمال

لكن للأسف استمرُّوا في غيِّهم
الحال... هذا هو السؤال
سألتني... أحرجتني
والجواب ألف احتمال
الأفاعي يوم تتسلَّق شجر
ظنَّك تبي حبة ثمر؟
ولا تحمي نفسها من المطر!
وين المطر؟
كلَّها أَعذار عذر يتبع عذر
قصدها عش عصفور أضناه السَّفر
همَّه عياله
وشقوته حتَّى الغروب من الفجر
والدَّاب كلَّ عياله ما شبع ويتنظر
حببتي... شفتي الدَّباب
تفترس رشا الغزال
والقطيع في عيونهم ميه سؤال
أعجبك الكلاب
تنتظر أسياها يرموا لها بعظم الضَّحيَّة
وهي تحرَّك ذيلها تلقي النّحيَّة
شريعة الغاب
ولا قصدي الشَّرع غاب؟
أحرجتني زلزلتني... بالسُّؤال

وهو سؤال
والجواب ألف احتمال
شفتي الوقاحة راكبة ظهر البعير
لابسة ثوب من حرير
سافرة متبخرة وسط الزحام
قد وقوام
وصوت يصيح:
غطّي نفسك غطّي نفسك بالريّال
الوقاحة قربت (وشو ذا)؟
سروال يغطّي عورتك بالريّال
الوقاحة
لو سترت عورتي
ضاعت عليّ صورتي
ويش ذا الخبال!
ولا الحماقة
الحماقة راكبة ظهر الحمار
مكحلة عيونها ومبرقة
بس إمعة
لو مشت على الأربعة
والبلاهة تنتظر
عسى خبر
عن الزّواج... عن القتال

عن الطَّلَاق... عن العيال
وأبو العيال
والجبن فتن بين السَّفاهة والنَّدالة
جالس بحاله يناظر من بعيد
ما يفل من الحديد إلَّا الحديد
و النَّدالة في عراق مع السَّفه
النَّدالة تقول السَّفه بطر
والسَّفه ينعتها بأَم الخطر
السَّوق سوق البهايم للخروق
والنَّميمة بين البهايم دائرة
وأختها الإشاعة
من وراها سايرة
يسمعوا وينقلوا الكلام
والبهايم يا حرام
يسمعوا ويردّوا
ينقصوا ويزوّدوا
ما كان من سؤال
والجواب كم احتمال
ويوم
يوم أقبل الفارس فساد
على الجواد
وأم العيال حرقة

والبنات رشوة وسرقة
انحنت روس العباد
والأنا هللت ورحبت
والثَّقافة من الحيا تدحلبت
فارقي مالك مجال
والورق
لفيه وادهنيه وزرقه
ولا تلبسي سروال
حتَّى لا توسّخيه
الأمانة بأمانة انسحبت قهر
والصّوت مع دقّة وتر
وطبلة وطبال
وحرقة أم العيال
تمايلت ترقص على نغم الدّمار
وخلفها شلّة صغار
ويردّدوا يحيا الفساد
يحيا الفساد
سيد العباد
ذولي عيال أختها
لص ونهاب
وخداع ومنافق
والمرتشي وهاب

ولا تنسي بنات حرقه

رشوة وسرقه

آه... آه

ما هقيت تبي الجواب

والقذارة خلف باب

ليش تسألني؟

وتنكي الجراح

وتدوري في كتب الصّحاح

تبي تغسلي!

ويش تغسلي؟

والثوب يا بعد عمري مهتري

كله رقع كله بقع

الغريب ما هو الجواب

الغريب هو السّؤال

والجواب محتال... وكم من احتمال؟

ألف احتمال واحتمال

وأكمل: الاستخبارات الأمريكيّة كانت عارفة بس قالت في حرقه خلّها
تولّع.

لافي: بالعكس لو قرّيت تقارير لجنة الحادي عشر من سبتمبر عن نوع
التّحذيرات وعددها ووصفها بالكارثة في حال وقوعها، وتشير التّقارير إلى
أنّ الضّربة ستَهزّ العالم وليس أمريكا فقط، وأنّها راح تكون موجعة ومتعدّدة
وليست واحدة كمان.

جينفر (صديقة لافي): ما جعتوا! الأكل جاهز... كلوا وكمّلوا حديثكم عن الطّرق المسدودة والغاز العالم الجديد.

ماهر: برضه في واحد طّش بمزاجه وقال في (حرقه) بيغها تولّع لأنّ له مصلحة في كذا من هو؟ الرئيس ولا نائب الرئيس لأنّ تقارير مثل هذي ما يطلع عليها غير رئيس الولايات السيّد "بوش" الابن أو نائبه "تشيّني".
لافي: نأكل وبعدين نكمل.

التّحقيق مع "أمّ عاصم" وأخته وعمّه وابن عمّه "خليل" كان يتراوح بين الهدوء في فترات والحدة في بعض الأحيان لمعرفة العلاقة بين "سعد" و"عاصم" وأسماء الآخرين من التّنظيم، المداهمات الفجائية، التّفتيش، والرّقابة، النتيجة واحدة... لا جديد، الجديد هو أنّ حياتهم تحوّلت إلى جحيم لا يُطاق... أُغمي على "أمّ عاصم" عندما علمت أنّ ولدها هو من فجّر نفسه والمبنى، وجد الأطباء أنّها تعاني من السّكر والضّغط، فسّر البعض أنّه مؤثّت بسبب الأخبار والانفعال، البعض بعد عن هذه العائلة قدر المستطاع، والبعض الآخر وجدها فرصة للتّشفيّ وإلقاء التّهم... غيرة؟ أم حقدا!

أمّا "عمّار" فقد قضى يومي الخميس والجمعة وهو يقرأ القرآن على روح الشّهيد "عاصم" صديق العمر ورفيق الصّبا، داهمته بعض الكوابيس في ليلة الخميس بعد أن ترك التّحقيق، رأى أنّه يقود سيّارة من النّوع الذي يُطلق عليه العامّة (الجمسي)، وبجواره شخص لم يحدّد ملامحه، وخلفه آخر لم يتبيّن ملامحه أيضًا في المرأة التي أمامه أو الجانبيّة، وإن كان يشعر بأنّ هناك علاقة بين ثلاثتهم... ما هي؟ لا يعرف... طلب منه الرّجل الجالس خلفه تمامًا الوقوف عند أحد الأسوار بالقرب من رصيف أحد الشّوارع الرّئيسة، سمع

صوت (تك)، لا يعرف من أين؟ ولكن أحسّ بالرّصاصة تخترق جمجمته من الخلف، صرخ، الدّم يسيل على زجاج السيّارة الأمامي... لا يشعر بأيّ ألم ولكنّ الدّم يتدفّق منه على ملابسه، حاول أن يستنجد، يصرخ دون صوت...! أحسّ أنّه كابوس، استيقظ، بصقّ على يساره، وانقلب على الجانب الآخر، حاول النّوم ولكن هيهات! قام، دخل إلى الحّمّام توضّأ صلّى ركعتين، ألحقهما بركعة الوتر برغم أنّه صلّى الوتر قبل النّوم، وشكّ في أنّ العصور قد يكون فيه نوع من أنواع حبوب الهلوسة، حاول أن يطرد هذه الفكرة من ذهنه ولكن عندما صام يوم الخميس كعادته لم يتناول غير حبتين من التّمر وكأسا من الماء برغم أنّ مائدة الإفطار كانت مليئة بما لذّ من الطّعام، إلّا أنّ الكوابيس عاودته مرّة أخرى ليلة الجمعة، وكذلك فعلت ليلة السّبب، استيقظ وكأنّ وحشا يريد أن يفترسه، لم يجدد الكابوس صورة الوحش.

في يوم السّبب وفي السّاعة الثّانية بعد الظّهر فتح محضر التّحقيق العميد (المحقّق) والعقيد عن يمينه والمقدّم عن يساره، يقلب صفحات الملف، قال (بسم الله نبدأ).

المحقّق: في التّحقيق السّابق اعترفت إنّك جهّزت السيّارة بالمتفجّرات وسوّيت الحزام النّاسف، نبغي نعرف نوع المتفجّرات اللي جهّزت بها السيّارة والحزام النّاسف.

عمّار: أوّلاً... أنا آسف على الكلام اللي صدر منّي في المرّة السّابقة، ثانياً... وردّاً على سؤالك أنا كنت منفعلًا لما قلت ذاك الكلام، خبر استشهاد الشهيد "عاصم" الله يرجمه... هزّني... وفقدت أعصابي، الحقيقة أنا زي ما قلت لكم أنا أمين سرّ التّنظيم ومسئول عن تدوين الأسماء والنّقدية، أنا ماني خبير

متفجرات ولا أعرف في الأسلحة غير لما يجيئها أعرف عددها ونوعها
عشان الحسابات فقط مع "جعفر" و"عاصم" الله يرحمه.

المحقق: و"جعفر" و"حبيب" و"زين" إيش كانت شغلتهم؟
عمّار: "جعفر" المسئول المالي يسجل الحسابات، و"حبيب" و"زين"
يبتدئان الشباب، كلنا نبتدئ، ما عدا "عاصم"، "حبيب" مسئول عن
البرامج والدورات التدريبية، وزين عن المستجدين.

المحقق: و"سعد"؟

عمّار: "سعد" من؟!

المحقق: "سعد عبد الله الزدن".

عمّار: ما سمعت واحدًا بهذا الاسم... لا... ما أعرف هذا الاسم...
الحاسب عندكم إذا فيه واحد من المتيمين بهذا الاسم يجوز ناسيه عددهم
حوالي ثلاثية، ما أظن مرّ عليّ هذا الاسم.
المحقق: سمعت عن "ابن الوقاص"؟

عمّار: ولا لك لوا.

المحقق: "الذيب"؟

عمّار: "الذيب"... الذيب الحيوان لك الكرامة!

المحقق: شخص معكم في التنظيم تطلقون عليه الذيب.

عمّار: أبدًا... ما نسّمى نفسنا بأسماء الحيوانات، احنا "سيبويه"،
"الرازي"، "ابن سينا"، "البحري"، "أبو نواس"، "المتنبي"... هذي
ألقابنا.

المحقق: و"عاصم" إيش كان لقبه؟

عمّار: المرحوم كان "عادل إمام".

خَرَجْتُ من العسكري الواقف خلف العميد ضحكة كانت محبوسة في هذا الجو المشحون، جعلت الجميع يتجاوب معها، ولم يهدأ المكان إلا بعد أن تنحنح العميد وعاد الوقار للصَّالة.

المحقّق: ليه كان كوميدي حضرته مضحكّاتي يعني؟
عمّار: لا... كان الزَّعيم.

المحقّق: زعيم مسرحيّة يعني؟

عمّار: الحياة كلّها مسرحيّة... بس مسرحيّتنا للأسف خلصت بدري.
المحقّق: شكلك مبسوط اليوم.

عمّار: الحمد لله... بس أنا أقول الحقّ، كان فعلاً لقبه "عادل إمام".

المحقّق: قلت إن "عاصم" كان أقرب النَّاس لك وأنت أقرب النَّاس له،
ما سمعته يذكر اسم "سعد الرّذن" ولا "الذّيب" ولا "ابن الوقاص"؟
عمّار: لا والله... ما قط جاب طاريه ويش يشتغل "سعد" هذا؟

المحقّق: نحن الي نسألّك، العلم عندك.

عمّار: أبيك تثق فيني، أنا راح أكون متعاون في الإجابة وما أقول إلا الصّدق، الخطأ الي ارتكبته أنا أتحمّله وأتحمل أيّ عقوبة حتّى لو القتل، بس ما أقدر أظلم أحداً وأقول عن واحد ما أعرفه ولا سمعت من أحد من الي أعرفهم عن هذا الاسم وأورّط المسكين.

المحقّق: يمكن سمّي نفسه "سعد سعيد المسعود" أو "مسعود".

عمّار: ولا لك لوا، عندنا "سعد الهاجر"، "سعد القطيفي"،
"سعد الله"، الأسماء كلّها في الحاسب... حظ حرف السّين يظهرها كلّهم.

المحقّق: شوف الصُّورة هذي يمكن تتذكّره لما تشوف الصُّورة، يكون له اسم غير الأسماء الي ذكرتها (العميد يناول العسكري الصُّورة لتقديمها

لـ "عمّار"، يستلم الأخير الصُّور وينظر فيها ويعيدها للعسكري الذي وقف خلفه).

عمّار: لا والله ما قط شفت الرّجال، ذوي شكلهم تبع القاعدة في أفغانستان، ملابسهم تدل على أنّهم أفغان ولا هنود من باكستان، ما أعرف لا والله... لا... لا.

المحقّق: قلت في المرّة السّابقة إنكم ناويين تقوموا بالعملية الكبيرة.

عمّار: نعم.

المحقّق: خطّطوا لها؟

عمّار: نعم.

المحقّق: وين المخطّط؟

عمّار: عندكم في الحاسب هناك ملف فيه الخطّة كاملة.

المحقّق يسأل العقيد: وين الحاسب؟

العقيد: عند الشّباب هناك في المكتب الثّاني.

العميد: شفتوا المخطّط.

العقيد: لا والله في ملف ما فتح معنا.

المحقّق موجّهًا كلامه لـ "عمّار": نبغاك تساعدنا في فتح ملف في حاسوبك.

عمّار: أبشر.

قام الجميع واتجهوا نحو المكتب المجاور، جلس "عمّار" خلف الحاسب، حاول أن يفتح الملف، عرف أنّ الملف تفجّر ذاتيًا، قال للمحقّق: في أحد لعب في الحاسب!

المحقّق: كيف عرفت؟

عمّار: الملف اتفجّر!

المحقّق: كيف؟

عمّار: واحد حاول يدخل وما عرف الكود، الملف بعد خامس محاولة فاشلة يفجّر نفسه، خويكم قام بمئتين وثلاث وعشرين محاولة فاشلة.

العميد: كيف عرفت؟

عمّار: هذا كشف المحاولات وهذا العدد... شوف مجموع المحاولات اثنين اثنين ثلاثة.

المحقّق: وبعدين؟

عمّار: لا تخف... في نسخة ثانية محفوظة.

المحقّق: فين؟

عمّار: في موقع وزارة الداخلية على الإنترنت.

صُبعُ الجميع... ضحك العميد (المحقّق)، ضحكة خليط ما بين الدهشة والحقد والألم: كيف؟... فين... قلت فين؟

عمّار: في موقع لوزارة الداخلية أأمن مكان تحط فيه معلومة مثل هذي ولا الجنّي أبو قرون ما راح يفكّر هناك.

المحقّق: وكيف نوصل له؟

عمّار: عن طريق الإنترنت.

العميد وهو ينقل نظره في وجوه العقيد والمقدّم بعد أن تغيّر لون وجهيهما من الاحمرار إلى ما يشبه الجلطة، فقد حلّ لون رمادي داكن على وجنتيهما وصدغيهما وجفنيهما.

العميد: وين الحاسب المربوط بالشبكة؟

العقيد الذي أذهلته المفاجأة يؤشّر على مكتب آخر: ذاك... هناك.

العميد موجّهاً كلامه لـ "عمار": تفضّل لو سمحت على المكتب الثّاني ورّينا.

"عمّار" وهو في طريقه ليجلس أمام الحاسب، قال العقيد: يجب أن نطلب من أحد الأفراد فتح الحاسب لأن كل واحد منهم له كود خاص. عمّار: ما يحتاج إلا إذا رغب العميد.

العميد: يعني تقدر تفتحه وتدخل للملف.

عمّار: وأي ملف تبغاه، ما سمعت عن الهاكرز؟

العميد: سمعت وشفت... بس موقعنا!...

عمّار: عطني دقائق بس وراح أورك الموقع وملفنا والملفات الأخرى.

المقدّم الذي استعاد توازنه: هذا الكلام خطير... خطير... خطير!

جلس "عمّار" أمام الحاسب وجلس بجواره العميد ووقف خلفهما العقيد والمقدّم، لم يستغرق دخوله إلى الموقع أكثر من دقيقة، فقد توقّف بعد ثمانية عشر ثانية وقال: الحاسب تبعكم بطيء، المفروض يفتح الموقع في خلال ثانيتين لثلاث، ثمان تعش ثانية بالكثير تفك الشيفرة وثانيتين هذي عشرين... البنتيوم حقّه بطيء.

العميد يلتفت إلى العقيد ونظرات عينيه تسأل، أجاب العقيد: هذا أحدث موديل جانا، والرّقيب "عامر" يقول عليه ممتاز.

عمّار: ولا ممتاز ولا يحزنون. (في هذه الأثناء ظهر الموقع)... هذا هو الموقع، وبحركة سريعة من أصابعه؛ ممّا أدهش الجميع، وفجأة إذ به داخل الموقع، وفي موقع من المواقع حرّك أصابعه بسرعة غريبة، وبحركات متتالية، لم يعرف أحد عددها وجد ملف الخطّة كاملة، عندما فتحه، بهت الجميع لكميّة الصّور ودقّتها والمعلومات.

المقدّم بصوت عالٍ: يا أولاد إبليس.

العميد: صدّق اللواء عندما قال احنا نتعامل مع الشّياطين (آمرًا "عمّار") اقفل الموقع.

عمّار: لو قفلت الموقع يتفجّر الملف.

العميد: والحلّ؟

عمّار: ننقله مكان ثاني أو نطبعه.

العميد: أطبعه الأوّل أأمن... وبعدين انقله.

أثناء عمليّة الطّبع قال العميد: أنت موسيقي ولاّ مهندس حاسب ولا أستاذ تربية فنّيّة.

العقيد: هذا ما هو مهندس ولا خبير طال عمرك هذا جنّي الحاسب، عندنا المهندسين والفنيين يا كثرهم غث، الواحد فيهم يا الله يدربي في كرشه و... وأبي دورة وأبي بعثة.

عمّار: الموسيقي هواية بس الحاسب لغة الحضارة... من صغري وأنا أشتغل على الحاسب.

العميد: دخلت مواقع ثانية؟

عمّار: مواقع اللي بالي بالك.

العميد: تقصد الإباحيّة؟!

عمّار بيتسم: إيه!

العميد: لا... أنا ما أقصد هذي... قصدي مواقع ثانية.

عمّار: تقصد للتجسس على بعض الملفات الحكوميّة والتّجاريّة... نعم.

العميد: دول أقصد دول.

عمّار: إيه... عشان نعرف الدّول اللي تكره النّظام عندنا، وذاك اللي تمثّل الحب وهي تكره، والمؤيّد للنّظام، وأعداء الأُمّة، لكن في دولة عملت نظام دّوخنا، وكنا في طريقنا نعبّر.

العميد: نظام إيه؟

عمّار: والله أنا سمّيته (الدَّوامة) كلّ ما تحش بكود يفضل الكود يدور في دائرة الإرباك ويرتبط هناك، ما يخرج وأنت تنتظر على بالك إنّهُ راح يفتح، على طول يجيك صاروخ يحدّد موقع انطلاق الفيروس ويدمّر جهازك... وبعد التّفجير... في البداية كنّا ننقل من مكان لمكان... خسرنا كذا جهاز (هارد وير) برغم أنّنا نستخدم أجهزة ناس في دول مختلفة إلين عرفنا قوّة الصّاروخ، اخترعنا وسيلة لصيده في شبكة وحللناه، عرفنا كيف نسحبه وبعدين فكّرت إنّنا نرجعه للدَّوامة، وسحبناه وأرجعناه للدَّوامة، يفضل يدور وما يلاقي حاجة يصطدم فيها، ما يتفجّر يظله دابر، فكّرنا نستخدم هذه الصّواريخ كسلاح مرتد للدَّوامة نطلق على العمليّة بالانجليزي (فاير باك) ونختصرها الـ (إف بي)، ولما تتكاثر راح تتعب الشّريحة وتنفجر في الوقت اللي يعدوا جنودنا من فوقها إلى الموقع.

العميد الذي شدّه الموضوع، فأخذ يتحدّث مع "عمّار" وكأنّه زميل وليس معتقل في جرم كبير: ووصلتوا للموقع؟

عمّار: لا... يبي لها وقت الشّريحة كبيرة ويبي لها حجم كبير من الصّواريخ، في التّجربة أخذنا أكبر شريحة ممكنة، وهناك برنامج لقياس الرّمن، والحجم، والسّرعة، عشان نحسب الكثافة المطلوبة من الفيروسات، أنا تركته شغال قبل ما تقبضوا عليّ.

العميد: ويش تتوقّع صار فيه؟

عمّار: التّوقّع غير الواقع، لازم أروح أشوف ويش صار في التّجربة، لو سمحت نروح سوا لا تخف، أنا أقول لك على الموقع، أرسل رجالك يؤمّنوا سلامتكم وأرسل معهم العقيد ولا المقدّم عشان ما أحد يفكّر يلعب في الأجهزة وفي الوقت نفسه أورك بير السّلاح.

العميد: عقيد "ظافر" كوّن مجموعة من الشّرقية من الجهاز وروح الموقع معهم عشان الأجهزة، (وموجّهاً كلامه لـ "عمّار") كَمَل موضوع حرب النّجوم.

عمّار: الانتظار... ما لنا غير الانتظار اللين نرسل الفيروس ويصل ويتحرّك الصّاروخ ونرجعه وقت طويل... يمكن الهاكرز المناوئين يبلّغوا عنّا وعن الموقع، بس فكّرت في صناعة الفيروس المتكاثر، نرسل كمية فيروسات منها وكلّ فيروس يروح في حلقة، وأثناء البحث عن الفيروس الصّاروخي يتكاثر بمتواليّة هندسيّة... الدّورة الأولى واحد واللفّة تستغرق واحد على عشرة من الثّانية، هذا واحنا مراعين أكبر دائرة ممكنة، واللفّة الثّانية يصبحوا اثنين، والثّالثة أربعة ثمانية ستعش... اثنين وثلاثين... أربعة وستين... يتكاثروا، في خلال ثانية تكون هناك حوالي ملايين من المليارات في الحلقة، كلّما تكاثروا يضيق الخناق على الصّاروخ حتّى يلاقوا الصّاروخ ويصدموه ويفجّروا بعض داخل الشّريحة اللين يدمّروا الشّريحة أو يشوّهوها أو يضعفوها الضّعف اللي يسمح لنا بالمرور.

المقدّم: جنّ والله شغل جنّ، حرب وصواريخ وتفجير في الحاسب.
العميد: والله علم ما هو جن (موجّهاً حديثه نحو "عمّار") وصنعت الفيروس.

عمّار: تجارب المختبر تقول إنّنا قريبين جدّا، العمليّة من ناحية الإمكانية ممكنة ومن ناحية النّوعية جيّدة... المهم الكميّة والزّمن.
العميد: كيف؟

عمّار: سرعة التّكاثر في الزّمن وحجم الدّائرة اللي في الشّريحة كلّما كانت كبيرة تحتاج لتوالد أكثر... فيزيّا؟ ما هو سحر ولا حجاب أقول لك عليه أو أعطيك إيّاه ولا هو جن وتحاريف.

العميد: وين تسوي الحجاب قصدي التجارب... في حاسبك هذا؟
عمّار: لا... هذا تعبان... الحاسب السريع والجيد في المسرح، هذي
الحواسيب فقط نرسل منها، نستقبل، نخرب، ما هي مهمّة، الحاسوب الي
طوّرناه، سرعته وحجم تخزينه غير.

العميد: مسرح، و"عادل إمام"... انتوا فله.

العميد: نطلق عليه المسرح للتغطية، والقصد مسرح العمليّات.

العميد: فين؟

عمّار: في الشّرقيةّ.

العقيد وهو عائد من مكتبه بعد أن طلب من زميله في الشّرقيةّ تشكيل
القوّة التي ستذهب لحماية الموقع تحت إمّره قال:

- السّاعة ثمانية ونص طال عمرك ودك نطلب عشاء؟

العميد الذي لم يحس بالوقت: ول...! (ناظرًا لساعة يده) إي والله ثمانية
وخمس وثلاثين دقيقة بعد لا... لا... أكيد تعبتوا والأخ "عمّار" ما قصر
اليوم، وأكيد بيبي يرتاح شوي خلاص، قفل المحضر على كدا وحط أوراق
المخطّط مع المحضر، (أمّراً المقدّم) مقدّم "محمد" اكتب تقريراً ملخصاً عن
اليوم واعرضه عليّ بكره الصّباح، عشان أراجعه وأرفعه لسعادة الفريق،
وخليّنا نزور الموقع بعد ما تبّلّغنا، لا أوصيكم على الأستاذ "عمّار"، انقلوه
فيلا كبار الزوّار، ولّبوا كلّ طلباته، الجرايد لازم توصله كلّ يوم من الصّباح.
خرج بعد أن أعطى إشارة للمقدّم بأن يتبعه.

العميد: شفت، ما قلت لك الانفعال ما يودّي لنتيجة، المعلومات الي
حصلنا عليها كلّنا سوا، راح ترفع من قدرنا عند المسؤولين، أبغاك تراعيه
طيّب، أكيد هناك أكثر، أبيك تقرب منه أكثر.
المقدّم: والله يخوّف.

العميد: زي ما وصّيتك، ترى راح أعرف لو قلّيت أدبك معه، احنا نبي
نسابق الوقت قبل ما يقوموا بعملية ثانية.

المقدّم: مين يقوم، وهم رءوس التنظيم.

العميد: كيف عرفت؟

المقدّم: من كلامه.

العميد: حتّى لو كان هذا الكلام صحيح، ممكن خلية تشتغل لوحدها
وتسبّب كارثة ثانية، الله العالم فين، انتبه لكلامك ولا تنفعل يا "أبو حمد"،
نبي شعرة توصلنا بين "سعد عبد الله" وهذي الشبكة.

"حامد" الذي يستلم من "مناحي" رسالة يطلب منه فيها ضرورة
الاجتماع في مكان آمن، وعلى الشاطئ الشمالي من ينبع البحر، وحوالي الساعة
الواحدة بعد منتصف الليل تركا سيّارتيهما وأحذيتيها وربطتا ذيل ثوبيهما في
خصريهما وسارا حافيين على الرمال الناعمة، يسيران متقاربين، كانت السماء
ذاك المساء صافية، فها هي النجوم تتراقص بالرّغم من غياب القمر؛ فهو في
مرحلة مخاض جديدة متكرّرة للولادة في آخر كلّ شهر قمري وأوّله وكأنّها
فرحة منتظرة ولادته، أم غيابه! ليشع بريقها.

مناحي: مجموعة الجريح الله يرحمه سقطت كلّها.

حامد: يا ساتر!

مناحي: قبضوا على حوالي ٢٧٥ رجال، أفرجوا عن ميه وخمسين.

حامد: بس ما طلع بيان من وزارة الدّاخلية بهذي الأرقام!

مناحي: البيان يبي له دراسة وقرار والرّأي العام العالمي والمحطّات
الفضائيّة تبي جنازة وتشبع فيها لطم، تبي صور، أسباب القبض عليهم، مين

رئيسهم؟ علاقتهم بالقاعدة، وهات يا برامج الاتجاه المعاكس من جهة وبلا حدود من الثانية، سرّي للغاية... خذ العلم منّي.

حامد: و"عمّار" أمين سر المجموعة قبضوا عليه معهم؟

مناحي: واعترف، انفعل وسب العميد بعدما عرف عن انتحار الشهيد الجريح، تعرف صداقتهم قويّة شوي.

حامد: إلّا شوي كانوا روحًا في جسدين، قل لي... لا يزال التحقيق مستمر معه؟

مناحي: إيه بالله، وراح يورهم مكان مسرح العمليّات، وبير السّلاح.

حامد: عذبوه؟

مناحي: ما ظنّيت... بس كان يطلب الموت... ما كان خايف.

حامد: عرّفوه على "سعد"؟

مناحي: قال إنّ ما يعرف "سعد" أنكر وأقسم أنّه ما يعرفه.

حامد: أجل... الطّريق مسدود في جناح الشرقيّة فقط.

مناحي: ظنّك في حاسب المسرح "عاصم" ما حط خيط يدل علينا؟

حامد: تسأل ولا عندك علم؟!

مناحي: لا... أسأل.

حامد: ما ظنّيت، غلطة زي هاذي تود في داهية، و"عاصم" حذر.

مناحي: اللي ضحّي بنفسه ما يضحّي بالثّانين.

حامد: وذكّ تروّعني، احنا اخترنا مصيرنا وحددنا مسيرنا وأقسمنا على كذا.

مناحي: والعمل؟

حامد: العمل عمل ربّنا، لا تكون ذلولًا، اصبر وفتح عينك، جناح

الشرقيّة ما عندهم دليل علينا، اعطنا إشارة واحنا نعدم كلّ شيء قبل ما

توصل ليد المباحث أو رجال الأمن... سين جيم ما راح يلاقوا شيئاً، طمّني
بدا التحقيق مع "سعد"؟

مناحي: حتّى هذي الحزة تاركينه في زناينة لوحده، أعتقد أنّهم في مرحلة
ضبابيّة بين الشكّ واليقين، ها الحين يدوروا معلومات عن "سعد سعيد
المسعود" من أهل الجنوب.

تسمّراً عند هذه الكلمة، "سعد سعيد" من أهل الجنوب، لكن "سعد
الزّدن" من تبوك. صاح حامد: يا ابن الإيه، صحيح ذيب وثعلب، مخادع
مثل ذيب وماكر كما الثعلب، ضحك علينا، بس والله براوه عليه، أبشرك ما
راح يعرفوا شيئاً.

مناحي: متفائل!

حامد: ما في شيء يدينا، إذا فتحت أذنك وعينك وحلّلت كلّ كلمة زي
خبري فيك ما راح يصير شيء بأمر الله، في علوم ثانية ولا تنتظر لين يكملوا
تحقيقهم مع "عمّار"؟!

مناحي: وخوينا "ماهر" هو اسمه "ماهر" ولا يكون مزيف كمان؟

حامد: أشوفك بديت تشكّك في مصداقيّة المجموعة.

مناحي: والله العالم ما شكّيت فيك ولا فيهم بس النتائج...

حامد مقاطعاً: يعني أنت عرفتهم على اسمك الحقيقي.

مناحي: ها... ما قلت لي على موضوع "ماهر" ويش أخباره؟

حامد: أعتقد يخزن القات في اليمن، وينتظر الأخبار منّا، بس ما راح أقول
له على هذي الأخبار الآن، كلّ شيء في وقته حلو يا حلو، أستودعك الله ولا
أوصيك فتح أذنك وعيونك، ركّز وحلّل ونتقابل على خير إن شاء الله.

مناحي: مع السّلامة.

في حديقة المنزل الصّيفي الذي تملكه "أم لافي" ورثاً من "أبو لافي"، كان أربعتهم يتناولون الطّعام على الطّريقة الإيرانيّة، فالأرز المفلفل أبو الزّعفران وسلطة اللبن مع الخيار والشّواء المكوّن من لحم وكبد الضّان، كان "ماهر" يأكل ويمدح لذّة الطّعام ويشكر "جنيفر" التي قالت: أنا قمت بالشّواء فقط، فرح هي التي قامت بطبخ الأرز وتبيل اللحم والكبد على الطريقة الإيرانيّة.

ماهر: الحق أبدوّعتي يا "أم لافي"، وشكراً كمان لـ "لافي" الي دعاني لهي الوليمة.

أم لافي: كُُل كمان.

ماهر: الحقيقة أكلت أكثر من طاقتي... الحمد لله على النّعمة.

أم لافي: خذ هذي من يدي لا تردّني خايبة.

ماهر: ما يرد الكريم إلّا لثيم، تكرمي يا "أم لافي"، أبغي مكاناً للشّراب ومكاناً للحلا.

أم لافي: بالعافية.

وعاد الحديث لأحداث الحادي عشر من سبتمبر، قال "لافي": صحفي وتعتمد على أفلام من خيال كاتب؟!

ماهر: مهمّة الصّحفي الاطّلاع والرّبط بين الأحداث والخروج بنتيجة تؤيّد نظرتة للموضوع.

لافي: وأن يبعد الأحداث الي تتناقض مع وجهة نظره!

ماهر: يتجنّبها لأنّها إمّا مضلّلة أو...

لافي مقاطعاً: أو ما تخدم توجّهه.

ماهر: ربما يكون هذا الكلام صحيحاً عندما يكون الصّحفي موجّهاً، لكن أنا مُصر لأنّك لو رجعت أيّام كينيدي والخلاف مع كاسترو ويش قال

رئيس هيئة الأركان في القوّات المسلّحة الأمريكيّة في ذلك الوقت أن بعض الأمريكيين على استعداد لتشويه أنفسهم، يمكن استخدام أصدقاء كوبيين للهجوم على القاعدة الأمريكيّة في غوانتانامو، وإحراق مستودعات ذخيرة، وإغراق سفن، وإسقاط طائرات عسكريّة، واختطاف طائرات مدنيّة، ستؤدّي قوائم الضّحايا في الصّحف الأمريكيّة إلى موجة من السّخط الشعبي، نستطيع أن نظوّر حملة إرهابيّة كويّة شيوعيّة في ميامي ومدن أخرى في فلوريدا حتّى في واشنطن إذا لزم الأمر (قناة الجزيرة - برنامج سريّ للغاية - أجراس الخطر الحقيقة وراء ١١ سبتمبر) وعلى رأي المثل العربي: لأمر ما جذع قصير أنفه.

لافي: أنا قلت لك أنا ديمقراطي، صحيح الحزب الجمهوري له هفواته، وصحيح أنه أخطأ، لكن أشرت لا، انتوا العرب تبوا مخرج.

ماهر: الله يخارجنا منكم الحين، انتوا الي تبون مخرج من العراق مو احنا. لافي: العراق كانت أكبر غلطة، أوّل ما استلموا الجمهوريين السّلطة أوّل اجتماع كان عن العراق.

ماهر: العراق كان مستهدفاً ما في ذلك شك، حتّى بوش أثناء الأحداث يبي يربط العراق بالقاعدة ونسي أو تناسى أنّ القاعدة متطرّفة دينيّاً فهم بين مائة وخمس وثلاثين درجة إلى مائة وثمانين درجة، وحزب البعث علاقته بالذّين من الطّرف الثّاني أي بين الصّففر والخمس وأربعين درجة بمقياس المنقلة، وما يمكن يتلاقوا، "بوش" الابن دخل البيت الأبيض وفي رأسه العراق و"صدّام" بالذّات ولا شيء غير "صدّام"، يبي يتتقم من "صدّام".

لافي: هذا الكلام فيه كثير من الصّحّة، ولكنّ العمليّة ليست انتقاماً، العمليّة تندرج تحت بند الخوف على المصالح الاستراتيجيّة في المنطقة.

ماهر: تقصد البترول؟

لافي: البترول وغيره من المتعلقات معه.

ماهر: لم أفهم قصدك، تقصد أن هناك أهدافاً سياسية؟ تقصد إسرائيل ومصلحة إسرائيل؟

لافي: هذا جزء مهم من السياسة الأمريكية.

ماهر: النفط... ونعرف أن تشيني كان رئيساً لشركة هالي برتن، "بوش" كان رئيساً لشركة بترول، "كوندوليزا رايس" كانت عضواً في مجلس إدارة شفرون وتكسكو النفطية، والمحافظون الجدد مؤيدون لإسرائيل.

لافي: هذا صحيح ولكي يكمل المثلث لابد من ضلع ثالث!

ماهر: من يمثل هذا الضلع؟

لافي: الواس!

ماهر: تقصد الأمريكان البيض السكسونيين من المسيحيين؟ هؤلاء متطرفون يمينيون، يريدون من إسرائيل السيطرة على الأماكن المقدسة. لافي: بالضبط.

ماهر: وتلومونا إذا قلنا أننا مؤامرة يهودية! فأضلاع المثلث كلها تصب في مصلحة إسرائيل واليهود، مؤامرة يهودية، النفط هو محرك اقتصاد العالم، ومعظم اقتصاد العالم في يد اليهود والمحافظين المؤيدين لإسرائيل سياسياً، والأمريكان الـ WAAS البيض السكسون المؤيدين دينياً (وباستهتار) What is left for the party ويش بقى للحفلة.

لا يعرف وهو في طريقه بسيارته البرازيلية الصنع الألمانية الماركة، قاطعاً الطريق ما بين فالباري زو متجهاً إلى عزله الذي اختاره لنفسه في سان أنطونيو يتذكر أحياناً من قصيدة للشاعر المصري فاروق جويده، لم يتذكر

القصيدة كاملة وهي التي كان يرددها دائماً قبل أن يتعرض للأحداث التي مرّت به، ولكن بالرغم من ذلك فهو يتذكّر بعض أبياتها وهو يقول:

دَعْنِي وَجُرْحِي فَقَدْ خَابَتْ أَمَانِيْنَا	هَلْ مِنْ زَمَانٍ يُعِيدُ النَّبْضَ يَحْيَا
يَا سَاقِي الْحَزَنِ أَتَعْجَبُ وَفِي وَطَنِي	نَهَرٌ مِنَ الْحَزَنِ يَجْرِي فِي رَوَابِنَا
كَانَ الدَّوَاءُ سُمُومًا فِي ضَمَائِرِنَا	فَكَيْفَ جِئْنَا بِدَاءِ كِي يُدَاوِينَا
كَانَ الْحَيْنُ إِلَى الْمَاضِي يُورِّقُنَا	وَالْيَوْمَ نَبْكِي عَلَى الْمَاضِي وَيَبْكِينَا
صَرْنَا عَرَايَا أَمَامَ النَّاسِ يَفْزَعُنَا	لَيْلٌ تَخْفَى طَوِيلًا فِي مَا قَيْنَا
مَنْ بَاعَنَا؟ خَبَرُونِي كُلُّهُمْ صَمَتُوا	وَالْأَرْضُ صَارَتْ مَرَادًا لِلْمَرَايِنَا
يَا سَاقِي الْحَزَنِ دَعْنِي إِنِّي ثَمَل	إِنَّا شَرَبْنَاهُ قَهْرًا مَا بِأَيْدِينَا
كُنَّا إِذَا خَانَنَا فَفَرَعُ نَقَطَعُهُ	وَفَوْقَ أَشْلالِهِ تَمْضِي أَغَانِينَا
كُنَّا إِذَا اشْتَدَّ فِينَا الْيَأْسُ وَانْكَسَرَتْ	مِنَّا السَّيُوفُ وَنَادَانَا مُنَادِينَا
عُدْنَا إِلَى اللَّهِ عَلى اللَّهِ يَرْحَمُنَا	وَالآنَ نَحْجَلُ مِنْهُ مِنْ مَعَاصِينَا
الآنَ يَرْجِفُ سَيْفُ الزُّورِ فِي يَدِنَا	فَكَيْفَ صَارَتْ كُھُوفُ الزَّيْفِ تَوُونَا
حَزْنِي عَيْنِدْ وَجُرْحِي أَنْتَ يَا وَطَنِي	لَا شَيْءَ بَعْدَكَ مَهْمَا كَانَ يَعْنِينَا
مَا أَثْقَلَ الْعُمُرُ... لَا حُلْمَ وَلَا وَطَنَ	وَلَا أَمَانَ وَلَا سَيْفَ لِيُحْمِيَنَا

أخذ يبكي بغزارة حتّى أنّه لم يرَ الطريق فخاف أن يصطدم، أوقف سيّارته على ناصية الطريق، شرب قليلاً من الماء، ترك السيّارة ومعه قنينة الماء، بكى بحرقة، وأخذ يقذف ببعض الأحجار من حافة الجبل، أخذ شربة ماء من القنينة وألقى بها على وجهه، بدأ الهدوء يعود إليه، ما هو سرُّ هذه الدُّموع، التي تغسل خطايا النّفس من الدّاخل، كما يغسل الماء البدن أثناء الوضوء من الدّنس، إلهي ما أعظمك حتّى أحزاننا على أخطائنا جعلت دمعنا دواءً لها تغسله فترتاح منها به، وإن كانت محطّات الرّاحة متفاوتة متباعدة متقاربة، إلّا

أَنَّهَا مَحَطَّاتٌ تُشَبِّهُ تِلْكَ الَّتِي نَجِدُهَا فِي الدَّرُوبِ الْوَعْرَةِ مِنَ السَّكَّكِ الطَّوِيلَةِ،
هِيَ دُرُوبُ الْحَيَاةِ.

"عَمَّارٌ" الَّذِي يَرْكَبُ الطَّائِرَةَ الْخَاصَّةَ مَعَ اللِّوَاءِ وَالْعَمِيدِ وَالْمُقَدِّمِ
وَبَصْحَبَتِهِمْ مَلَازِمٌ مُتَخَصِّصُونَ فِي بَرْمَجَةِ الْحَاسِبِ، وَاثْنَانِ مِنَ الرُّقَبَاءِ وَجُنْدِي،
كَانَ يَشْعُرُ بِالزَّهْوِ فِي دَاخِلِهِ، فَهِيَ هِيَ يَرْكَبُ الطَّائِرَةَ الْخَاصَّةَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، قَدْ
تَكُونُ الْآخِرَةَ، وَلَكِنَّهَا بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ مُتَعَةٌ، تَمْتَعُ النَّفْسُ وَلَوْ لِبَعْضِ حِينٍ،
حَاوِلِ الْمَلَازِمِ الَّذِي يَجْلِسُ بِجَوَارِهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَعَهُ عَنْ مَوْضُوعِ الْهَآكِرِزِ وَفَتْحِ
الشَّيْفِرَاتِ وَالِدَّخُولِ لِلْمَوَاقِعِ، لَكِنَّ صَاحِبِنَا كَانَ يَنْظُرُ بِبِلَاهَةٍ فِي وَجْهِهِ مُحَدِّثُهُ،
وَيَجِبُ بِاخْتِصَارٍ شَدِيدٍ عَنْ بَعْضٍ وَلَيْسَ كُلُّ الْأَسْئَلَةِ، إِنَّهُ لَا يُرِيدُ أَنْ يَعْكُرَ
صَفْوِ مُتَعَتِهِ بِهَذِهِ الرَّحْلَةِ الْمُؤَقَّتَةِ، يَعْلَمُ فِي دَاخِلِهِ أَنَّ بَعْدَ هَذَا الْعَزِّ الَّذِي هُوَ فِيهِ
الْآنَ، سَيَنْقَلِبُ كُلُّ هَؤُلَاءِ إِلَى أَسْوَدٍ مُفْتَرَسَةٍ، تُوَصِّلُهُ لِحَبْلِ الْمَشْنَقَةِ عَلَى الْجَرَمِ
الَّذِي ارْتَكَبَ بِحَقِّ الْأَبْرِيَاءِ فِي نَظَرِهِمْ، اللَّوَاءِ الَّذِي كَانَ يَحَاوِلُ أَنْ يَسْتَرِقَ
السَّمْعَ، شَعَرَ أَنَّ الْمَلَازِمَ لَا يَحْسُنُ اسْتِدْرَاجَ الْمَجْرِمِ فِي الْحَدِيثِ؛ فَطَلَبَ مِنْ
الْعَمِيدِ أَنْ يَبْدُلَ مَكَانَهُ مَعَ الْمَلَازِمِ لِيَتَحَدَّثَ مَعَ "أَبُو عَاصِمٍ" (عَمَّارٌ) قَالَ
الْعَمِيدُ: لَقَدْ وَجَدُوا الْمَسْرَحَ، وَقَبِضُوا عَلَى الْحَارِسِ.

عَمَّارٌ: صَدَّقْتَنِي؟!

الْعَمِيدُ: أَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَمُتَعَاوِنٌ وَكُتِبَتْ هَذَا فِي التَّقْرِيرِ (وَبَصُوتِ
أَقْرَبِ لِلْهَمْسِ) صَدَّقْتَنِي أَنَا يَعْجِبُنِي دِمَاغُكَ، بَسْ خُسَارَةٌ، نَبْتَةُ طَبِيبَةٍ فِي حَقْلِ
قَذَارَةٍ.

عَمَّارٌ: قَصْدُكَ تَقُولُ خُضْرَاءُ الدَّمَنِ.

الْعَمِيدُ: إِلَيْهِ بِاللَّهِ، بَسْ أَنَا شَاكٌ إِنَّكَ لَوْحَدُكَ إِلَيَّ تَقُومُ بِهَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ؟
لَا بَدَّ فِي أَحَدٍ يَسَاعِدُكَ!

عمّار: عندك أكثر من ميتين شخص، حوالي الثلثمئة، ومعظمهم من الشُّباب، جيل الحاسب، عندنا مجموعة طيبة منهم، يبي لهم نوع من الثقة، واحنا يوم جئدناهم أعطيناهم كلّ اللي بيونه، ما قصّرنا معهم في شيء، اللي رفع كفاءة وقدرة جهاز التجارب سعودي منّا، قال أبغى وأبغى واحنا: سم حاضرين صحيح صرفنا شوي بس ها لحن تشوف بعينك، أنّا ما كنّا نلعب، الشَّهيد الله يرحمه كان يبي يعرف أسماء المنتسبين للمباحث كلّهم، كيف نجّهز له المعلومات؟ لابدّ من جهاز سريع وفَعّال وواحد محترف في فتح الشِّيفرات وبسرعة ثوانٍ يدخل وينسخ المعلومات ويخرج، تكون الأسماء عندك، وبعدين البحث والتحرّي عنهم وتعمل لكلّ واحد منهم ملف خاص يدرسه رحمة الله عليه.

العميد: يعني اسمي عندكم؟

عمّار: وهو بيتسم بغرور واللواء كمان إيش يحب، متزوّج من مين، أولاده، أقاربه، مَنْ هو المقرّب منه، أصحابه، وين يسهر، رصيد كلّ واحد من ذوي، علاقة نقل المبالغ من حساب لحساب، وهكذا.

العميد: ول... يعني عرّيتمونا.

اللواء يسترق السَّمع للحديث ولا يصدّق أو لا يريد أن يصدّق، طلب من المضيف كأسًا من عصير المانقو.

العميد: في أحد ثانٍ عنده المعلومات ولا...

قاطعهُ "عمّار" وهو ينظر من نافذة الطَّائرة: شوف تلك السَّحابتين الثَّانية تبي تلحق بالأولى ظنّك تلحقها؟

العميد: سحاب إيه وتلحق مين! خلّينا ندردش في موضوعنا تراه ما هو تحقيق لا تخف دردشة طريق.

عمّار: ومين قال أنا خايف، أقول لك على ما أوّمن به، وراح أقول لكم على كلّ شيء.

العميد: قل لي أنت إيش مذهبك؟
عمّار: أنا قدري أوّمن بالقدر خيرّه وشرّه.
العميد: كلّنا نوّمن بالقدر.

عمّار: أجل... وين وجه الاختلاف؟ احنا ما نختلف عن بعض قدرك تكون ضابط، وقدري أن أكون من المجاهدين، إذا حكموا عليّ بالإعدام فهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون، في تلك السّاعة ربي مقدّر لي الموت ما هو أنت وإذا سجنوني هي خلوة من الله وإذا نفوني فهي فسحة من العزيز... وين الخوف؟

العميد: تعتبر هذا جهاداً! قتل النّاس الأبرياء جهاد! التّفجير جهاد!
عمّار: عندي سؤال محيرني طالما أنّنا ندردش.
العميد: اتفضّل اسأل.

عمّار: ويش اللي يؤدّي إلى الانفجار؟
العميد (متهرّباً من الإجابة): ويش تقصد؟
عمّار: تعرف قصدي... بس تراوغ... علمياً اللي يؤدّي إلى الانفجار هو الضّغط... صح؟
العميد: علمياً صح.

عمّار: أعتقد إنّك جاوبت على سؤالك ولا... بقي سؤال السّحابتين.
العميد: قلّي أنت يا فيلسوف!

عمّار (يضحك): جزاك الله خيراً، ورفع من قدرك، أنا ما وصلت هذي المرحلة، الفيلسوف هو محب المعرفة وهي كلمة يونانيّة تُنطق باليونانية بيلا سويّا، سينا من موضوع الفلسفة والفلاسفة اللي يخليّ السّحابة تلحق أو ما

تلحق... كثافة السَّحابة وسرعة الرِّيح، إذا كانت الثَّقيلة مطاردة من الخفيفة
تلحقها وترتطم معها... هذه مرحلة الاحتكاك، البرق، وبعد الضَّوء تسمع
فرقة تلاحم الذَّرَّات والصَّوت الضَّخم صوت الفراغات الي تحدث أثناء
تفجير بعض الذَّرَّات فيسخن الهواء، وصعود الهواء السَّاخن إلى أعلى يضغط
على السَّحب، وبالتالي يبعدها أمَّا عندما تمطر فهذا يعني أَنَّ السَّحب أكثر
كثافة وثقلًا، وبالتالي ينتقل الهواء إلى المساحات الفارغة، فتجد مثلاً عندما
تمطر في القطيف رياحًا، وغبار وأتربة في الدَّمَام والمناطق المجاورة.

العميد: المقصد؟

عَمَّار: نعتبر أنا السَّحابة الثَّقيلة؛ لأنَّ عندي المعلومات وأنت الخفيفة الي
تلاحقني، ولو اصطدمت بي ويش بصير؟
العميد: أنت تستهبل...

عَمَّار: أنت تبي الخير والمطر خير صح.
العميد: صح خَلينا معاك للآخر.

عَمَّار: قربك مِنِّي والتحامك راح يولّد الرَّعد والبرق برغم أَنَّ الرَّعد
بسبب الاحتكاك هو المرحلة الأولى بس نشوف البرق قبل عشان سرعة
الضَّوء أسرع من سرعة الصَّوت.

العميد: المهم الملفَّات الخاصَّة الي تقول عليها، في المسرح بس ولا عند
ناس ثانيين.

عَمَّار: أنت ويش تتوقَّع؟

العميد: التَّوقُّع غير الواقع.

عَمَّار: ما شاء الله عليك تلتقطها وهي طيارة، حط نفسك مكاني وفكّر.

العميد: أنا مني مجرم مثلك، وما أخاف على شيء.

عمّار: بس يمكن، أقول يمكن، يكون في ملفك شيء كذا ولا كذا، ولا ملف غيرك.

العميد (مبتسمًا بمرارة): أنت تهّدّني!

عمّار: أنا ما عندي شيء أخاف عليه... زوجتي... عيالي... أمّي... أبوي الشّافعي قال:

نَفْسِي الَّتِي تَمْلِكُ الْأَشْيَاءَ ذَاهِبَةً فَكَيْفَ أَبْكِي عَلَى شَيْءٍ إِذَا ذَهَبًا
تراني ضاربها صرمه عشان كذا أقول الحقيقة وماني خايف الموت حقّ
والقدر قدر ما يغيّره أحد، تصوّر عمري في حياتي ما تخيلت إنّني أركب طيّارة
خاصّة في هذا الوقت، لكن ها وين احنا الآن في طائرة خاصّة وصحبة لواء
وعميد، يا سيادة العميد، الحياة الي عشناها علّمتنا أشياء كثيرة.
العميد: ها لحين أنت شيعي ولا سنّي.

عمّار: أنا مسلم أقول لا إله إلا الله محمّد رسول الله، ودرست المذهب
الحنبلي، قصدك عشان استشهدت بيت للشّافعي، لا يعني أنّي على المذهب
الشّافعي.

العميد: اربط الحزام، الطيّارة راح تهبط الآن.

عمّار وهو يربط الحزام: قريت مسرحيّة زنزانة الفكر؟

العميد: لا والله ومين مؤلّفها؟

عمّار: المرحوم الشّهيد "عاصم" وأنا اللي لحتتها، ودك في نسخة مطبوعة.

العميد: مكتوبة عندك في الحاسب الي في المباحث؟

عمّار: ما ظنّيت فكّرني أطبع لك نسخة منها لما نوصل المسرح.

العميد: أبليك تنسخ كلّ الي موجود في حاسب المسرح.

عمّار: أبشر... بس كلام في سرّك أنت طمّاع شوي، وخويكم هذا الملازم
خريج حاسب من الجامعة.

العميد: كيف عرفت؟

عمّار: ما خذها By book الرّجال عن طريق التّلقين في التّعليم.

العميد: وأنت؟

عمّار: أنا في عمليّة التّعليم على مذهب باولو فيريري.

العميد: هذا عالم حاسوب.

عمّار: لا... هذا فيلسوف الحرّيّة في العالم الثّالث، المتخلف يعني مثلنا هو مفكّر برازيلي الأصل.

العميد: إيش نظريّته في التّعليم؟

عمّار: يعتمد على ممارسة الجدل الخلاق اللي هو النقاش المبدع وطرح الأسئلة للتّحاور بين النّظريّة والتّطبيق، النّظريّة نظريّة عبارة عن خلاصة أبحاث، تكمن المشكلة في التّطبيق العملي لها، فالتّعليم على أساس الحوار أفضل من التّعليم التّلقيني الموجود في مناهج العالم الثّالث مع شرط أساسي وهو عدم تعارض المعارف الجديدة مع الواقع المعيشي الفعلي.

هبطت الطّائرة بعد منتصف الليل في مطار ما بالقرب من القطيف وتوقّفت بعيداً عن صالة الرّكّاب الأساسيّة بالرّغم من عدم وجود طائرات أخرى في هذا المطار الصّغير، حيث كان هناك عدد من السيّارات الصّغيرة تنتظر القادمين، وعدد من الأفراد اصطقّفوا في جنح الظّلام، هبط اللّواء يتبعه "عمّار" مكبّلاً بأغلاله ثمّ العميد فالمقدّم، الجميع يرتدون الملابس المدنيّة وركبوا السيّارة الأولى، ركب اللّواء في المقعد الأمامي وركب العميد والمقدّم وبينهما "عمّار" في المقعد الخلفي، كانت سيّارة من الدّوريّة تسبقهم وأخرى تتبعهم وعن يمينهم وعن يسارهم سيّارتان مظلّلة من نوع الـGMC (الجمسي) لا يعرف أحد من بداخلها؟ أو عدد من فيها؟ حتّى وصلوا إلى موقع المسرح وهو عبارة عن منزل في أطراف مدينة القطيف من النّاحية

الجنوبيّة الغربيّة للمدينة، لم تكن هناك ضجّة، (فالسيفتي) وهو المنبّه الموجود في السيّارات التّابعة لبعض الأجهزة العسكريّة والأمنيّة، يعمل بالضّوء فقط بناء على تعليمات من اللّواء الذي لم يتحدّث مع "عمّار" أو مع أي شخص أثناء الرّحلة فقط يؤشّر أو يهمس في أذن أحدهم.

الشّوارع خالية تمامًا أو تكاد أن تكون في هذا الوقت، تحس أن هناك خطرًا للتّجول لولا مرور بعض المركبات بين الحين والآخر يبعد هذا الاحتمال من الذّهن.

أمام باب مسرح العمليّات كما أطلق عليه وقف جنديّان بسلاحهما، عندما دخلوا إلى المنزل وجد عدد من الجنود اصطفّوا عند دخولهم وأدّوا التّحيّة العسكريّة، أمّا العقيد فقد كان ينتظر في غرفة الحاسب ومعه أحد الرّقباء، قاما لأداء التّحيّة، بعد ذلك طلب من "عمّار" بعد أن أطلق سراح يديه من القيود، وأبقى على قيد قدميه، الجلوس أمام الحاسب، وكان هناك ستّة أجهزة أخرى من النّوع وبدأ العمل، جلس وبدأ تشغيل الحاسب الذي لا يختلف عن الحاسبات الأخرى من نوع الحاسب الشّخصي في الشّكل، جلس اللّواء وأخرج سيجارًا كوبيّا أشعله بتلذذ مع كأس من الشّاي، أمّا العميد فقد جلس بجوار "عمّار" عن اليمين، وجلس الملازم عن يسار صاحبنا، فتح الوثائق وطلب من الحاسب أن يطبع مسرحيّة زنزانة الفكر، أثناء ذلك سأل العميد: وين التّجربة؟

عمّار: في الحاسب الكبير، أنا طبعت لكم زنزانة الفكر عشان تتسلوا فيها، بعدين ننزل للحاسب الكبير، هذي الحاسبات للعمل الروتيني، الكبير تحت. العميد: تحت... وين تحت؟ (وهو ينظر إلى العقيد) في دور تحت؟

العقيد: فتشنا البيت كله، زي ما أنت شايف، المدخل، المجلس والمقلط
وهاذي الغرفة، وجوّا غرفتين نوم وحمّام، والمطبخ، اللي على يمين المقلط، لا
دور علوي ولا درج لفوق ولا سلام توصل تحت الأرض.

اللواء وهو يستمع ينقل نظره بين "عمّار" والعقيد والعميد، وعندما
وقعت عينه على العميد طلب منه بإشارة من عينيه فهمها الأخير فقال مخاطباً
"عمّار": كيف ننزل تحت؟

عمّار: بس يخلص طبع الملف، أطلب منه يفتح الباب... لا تخف، إنّ الله
مع الصّابرين... خالص هذي آخر صفحة، (طلب من الملازم تجميع
الأوراق) لو سمحت الدّبّاسة هناك واعطها لسعادة اللواء يتسلّى على ما
نخلص.

صرف ذهن الملازم وبسرعة مهولة، أدخل بعض الشّيفرات فسمع الجميع
صوت (بيب) وكأنّه صوت إنذار، أو إشارة بقدوم شخص غريب، وضوء
أحمر وبعد المرّة السّابعة من تردّد الصّوت توقّف، وفتح درجاً صغيراً في
المكتب به جهاز للتّحكّم، أخذه "عمّار"، قال بهدوء وأدب: ممكن نحل قيد
رجلي.

العميد: ليه؟

عمّار: اطمّن ما راح أهرب كيف أهرب منكم، أنا بس عشان أتحرك أفتح
لكم السّرّاب.

نظر العميد في عين اللواء وأخذ الأمر بإشارة من عينيه، قام "عمّار" بعد
أن حرّرت قدماءه، فقام العميد، وقف الجميع ما عدا اللواء، الذي عاد له
هدوؤه بعد اختفاء الصّوت والضّوء، أخذ ينظر في الأوراق.

زنزانة الفكر

(المشهد الأوّل)

موسيقى دعاء يا ربّ... يا ربّ... يا ربّ
يا ربّ إنّ جنود الظّلم قد كثروا وعاثوا في حقوق النّاس بطلانا
يا ربّ يا ربّ... يا ربّ
يا ربّ إنّ ضعيف الرّكن مضطّهداً فابعث إلى جنود منك أعوانا
يا ربّ.. يا ربّ... يا ربّ
(زنزانات ومساجين وزنزانة مفردة في داخلها سجّين وفي يده الأغلال)
يدندن

زنزانتني
زنزانتني صغيرة وضيعة مخنقة
أساوري
في يدي شريتها بنصيحة منمّقة
قصيدي
قصيدي أغنية... حزينة... ممزّقة
كلماتها
كلماتها... معلقة في جبل مشنقة
وأنا
أنا لن أكتب الأشعار
ولن أنقل الأخبار
فالأخبار في أمّتي يا سيّدي ملفّقة
(يدخل ضابط وخلفه بعض الجنود ويتّجه نحو السّجّين الذي يدندن)
الضّابط: هل قرأت بالعربي؟

السَّجِين: يا سيّدي

كل مَنْ نطق بالضّاد عربي
ولكن جاءنا في القديم نبي
علّمنا أن:

لا فرق بين أعجمي وعربي
لا فرق بين فارسي وصيني
لا فرق بين روسي وحلبي
لا فرق بين مشرقي ومغربي
كلنا يا سيدي أمة ذاك النّبي
يُقال إنّه لا فخر عربي

فهل فهمت

يا أيّها السَّجَّان مأربي

الضّابط: لم تجب عن مطلبي

هل قرأت بالعربي؟

السَّجِين يتمم: نظرات عيني تحيب يا له من غبي!

كيف أقرأ يا سيّدي؟

ما لم يسمح به في بلدي.

الضّابط: لم أنت هنا إذّا؟

السَّجِين: سل مَنْ جاء في طلبي!

جندي: لقد كتب يا سيّدي قصيدة

ونشرها في تلكم الجريدة.

الضّابط: شاعر!

أيّها الماكر

تحاول أن تثير عليّ شعبي
تريد أن تزيد من تعبى
سأريك
أيّها الشاعر الفاجر غضبي
(ويلتفت نحو الجندي)
مَا... ماذا يريد؟
ماذا قال في القصيد؟
الجندي: إنّه يأمل في عهد جديد
بحرّض
النّاس على كسر الحديد.
جندي آخر: يحلم بعالم بلا حدود.
يريد شعباً بلا قيود.
السّجين: يا سيّدي
النّاس في أمّتي تنام واقفة
صحيحة سقيمة
غنيّة عديمة
تأوي إلى جحورها
خيفة وخائفة
تثوب أم تغادر
تخنع أم تكابر
انظر إلى عيونها مفزوعة واجفة
وأنا
أنا لن أقذف الأحجار

و لن أقطف الأزهار
فالأزهار في قرיתי يا سيدي ناشفة.
الضابط: ما... ما... ماذا يقول؟
ماذا يريد ذلك المخبول؟
الجندي: دعني يا سيدي أذيقه العذاب
ونمنع عنه الأكل والشراب.
جندي آخر: دعنا نطلق عليه بعض الكلاب
ثالث (وهو يمسك...):

بل دعني أمزق عنه الثياب
وأمرغ أنفه في التراب.
السجين: (يدندن)
الصمت
فوق رأسي يؤلمني كطرق مطرقة
الحزن
الحزن في داخلي يمزقني كشرنقة
الدمع
الدمع ينهار دماً من مقلتي المؤرقة
الموت
الموت أصبح وجهتي
عانقني ... عانقته كعاشق وعاشقة

المشهد الثاني
(يُفتَح الستار على أصوات تفجيرات وصياح وبكاء وإسعافات)

السَّجِين (يدندن بصوت مسموع):

عندما

يصبح الموت ثمنًا لحقِّ ظاهر

عندما

يصبح الدَّم نهرًا من جبان غادر

عندما

يصبح القوت فتاتًا على موائد فاجر

لا فرق بين العيش أم شهادة طاهر

الضَّابَط (يضع أصابعه في أذنيه ويصرخ):

اصمت.

السَّجِين: قد سكتنا

الضَّابَط: لا تقرأ.

السَّجِين: قد جهلنا.

الضَّابَط: لا تكتب.

السَّجِين: قد أطعنا.

ولكن إلى أين المصير؟

إن نحن أخطأنا المسير.

الضَّابَط: قلتُ اصمت أيتها الحقير

أتظنُّ أنك قادر

أم أنك ذكيٌّ ماكر

السَّجِين: يا سيّدي قضيتي معقّدة

قديمة مجدّدة

أخي قابيل قتل أخاه هابيل

ما بين الحقد والغيرة
كانت النتيجة خطيرة
وبدل العتب

في لحظة غضب
ضاع بين الطرفين الحوار
سمع الناس صوت انفجار
أنفس أزهقت

لا تعلم... لا نعلم
بأي ذنب قتلت
أصرت زوجته شريفة
أن يبحث

عن عمل عن وظيفة
رأيته بأم رأسي عند الباب
وفي يده ملف القضية
غاب هاييل
في الطرقات
عله يجد عملاً منه يقتات

وزوجه وجميلة وجميل
صباح الأربعاء
رأيته
ودعته

خرج يسابق المسافات
إلى قدره والقدر آت

في ظهيرة الأربعاء
أصبح أشلاء!
كيف

مَنْ يمشي على قدمين
لا يعلم إلى أين
لأنَّ هناك
قدر

ينتظر
لا تقولوا لي أن
قبايل قاتل قدر
طائش... حاقد... مجنون
فكيف.... نسمح... لمجنون
أن يحمل الموت
ويسير في الشوارع
لا تقنعوني
أنه... ضال... ضائع
الضابط:

اصمت... قلت اصمت لا تقرأ لا تكتب... لا تتكلم
السَّجين: يا سيدي أرجوك أتوسل إليك
لا تغلق ملف القضية
وتجعلها بدون هويّة
فلن يغفر لنا أبناء ودم المقتول
والشكلى زوج المقتول

أمّ المقتول
فالقَاتِل يا سيّدي
ليس قابيل
القاتل هو المسئول
وكلّنا مسئول
خوفنا
صمتنا
تنازلنا عن حقوقنا
غير المقبول... هو المسئول
طمعنا
جشعنا
تغاضينا
وبعدنا عن مبادئنا
غير المقبول... هو المسئول
أتضرّع إليك أيّها القاضي
أن لا تقيّد القضية ضدّ مجهول
فنحن يا سادتي
في زمن اللامعقول

المشهد الثالث

الزّنانات... شاشة في أعلى المسرح... الأخبار من محطة فضائيّة
(استشهاد عشرة فلسطينيين وجرح خمسة وأربعين آخرين، مقتل ثلاثين
عراقياً إثر قصف على البصرة وكر كوك، انفجار في دمشق (سوريا) يؤدّي إلى

مقتل عدد من المواطنين، انفجار في الرياض عشرات القتلى والجرحى، الأردن
يحبط محاولة لقتل مدينة بأكملها باستخدام مواد كيميائية، محاولة تفجير في
الكويت، مقتل عدد من المواطنين في اليمن إثر عملية انتحارية، عشرات
القتلى في المغرب ومحاولة انقلاب فاشلة في موريتانيا).

موسيقى وطني حببي الوطن الأكبر وصوت الكورال - المساجين -:

وطني حببي الوطن الأكبر

يوم عن يوم سرقاته بتكثر

وانتهكاته مالية... حياته

وطني بيصغر... ويتدمّر

أصوات انفجار... أصوات إسعافات وإضاءة ومناظر تظهر عن طريق
السلايد... صور للتدمير والقتل مثل طفلة الرياض... أطفال من العراق،
من فلسطين، منازل مهتمة، بكاء واستمرار النشيد الوطني العربي.

صوت من المساجين:

وطني يا سارق خيرك عمّي

وطني يا وطن الجهل يا أمّي

الكورال يردّدون

من مراكش للبحرين

من موريتانيا حتّى العين

وطني العربي

وطني حببي الوطن الأكبر، يوم عن يوم سرقاته بتكثر

وانتهكاته مالية حياته... وطني بيصغر ويتدمّر وطني وطني...

الكورال يردّد النشيد بصوت منخفض، ويتحوّل اللحن نفسه إلى توزيع

حزين ويظهر صوت السّجين:

الذكريات... الذكريات تَمُور في وجداني
وحينني... أبداً لبعض آيات من القرآني
وأحس... بالخشوع يلفني... يهز كياني
دمع السّجين هنا في أغلاله

صوت الوليد

دم الشهيد

هناك يلتقيان.

الضّابط: أنت أيّها الحقير ألا تصمت؟ (ويأمر جنده اجلدوه عذّبه)

السّجين: يا سيّدي قضيتي قضيتك

قصيدي أغنيّتك...

ردّد معي:

أنا

أنا لن أقلع الأشجار

ولن أزرع الصّبار

فالصّبار في أمّتي يا سيّدي هي منبع الأخطار

الضّابط: عذّبه... جرّدوه من ثيابه... اسنقوه

(والجنود يبدءون في نصب المشنقة ويجلدون السّجين).

ربّاه

الحيل والجلاد ينتظران

أبتاه

ماذا أقول وماذا يخط بنان

هذا خطاب

أكتبه من زنزانة صخريّة باردة الجدران

يا سيدي
لم تبقَ إلا ليلة واحدة
أحيا بها
وأحس أن ظلامها أكفان
أبتاه
أتذكر حكايات من أيام الصبا
رويتها لي عن هوى الأوطان
وعشق الأرض من الإيمان
رباه
ها أنا أهوى الحياة كريمة
لا قيد لا إرهاب لا خوف لا استخفاف بالإنسان
فإذا سقطت
سقطت أحمل عزّي يغلي دم الأحرار في شريان
أبتاه
لم تبقَ إلا ليلة تأتي وتحمل بعدها جثمان
أبتاه
لست أشك في هذا فلا تبك
بل اضحك ليقتل ضحكك السجان
سيزور قبري
حنّا
يومًا
إذا أفاق ضميره الإنسان
يدعو الغفور نادماً

سامحني ربّي أخطأتُ في العنوان
أخطأتُ في العنوان
وإذا سمعتُ بكاء أمّي في الدُجى

تبكي شبّابي

تشكي عذابِي

فأطلب لي منها الصّفح والغفران

لا أبتغي من دنيتي

إلّا رضاكم من رضا الرّحمن.

يا سيّدي ردّد معي:

أنا لن أشعل النّيران

ولن أعبد الشّيطان

ولقاؤنا في ظلّ عدالة قدسيّة الأحكام والميزان

عدالة الرّحمن

عدالة الرّحمن

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

وضع "عمار" جهاز التّحكّم عن بُعد (الرّيموت) على المكتب، وتوجّه
إلى زاوية المجلس، طلب من الرّقيب أن يساعده في تحريك الطّاولة التي كانت
في الزّاوية، وبعد أن أبعدھا أمسك بجهاز (الرّيموت كنترول) ووقف على
الزّاوية، قال بكلّ هدوء موجّها حديثه للجميع: من يبي ينزل أوّلاً؟
العميد: ينزل فين؟

فجأة ضغط على زرّ في جهاز التَّحكُّم، سمع صوت بيب من جميع أجهزة الحاسب الموجودة في الغرفة بالإضافة للحاسب الذي كان يعمل عليه، وانطفأت الأنوار فجأة، واختفى، وعادت أرضيّة الزَّاوية التي كان يقف عليها كما كانت بدونها، وعاد الضَّوء، صعدت المفاجأة الجميع، طلب اللواء الدَّعم لمحاصرة المنطقة.

إلى اللّقاء في الجزء القادم من الزَّاوية المهجورة... الجزء الثَّالث (الجدع).
مع تحيَّاتي
السُّفْياني.